الغارة الجديدة على الإسلام

د. محمد عمارة



الغارة الجديدة على الإسلام

تأليف

د. محمد عمارة



اسم الكتاب: الغارة الجديدة على الإسلام.

المؤلف: د. محمد عمارة.

إشراف عام: داليا محمد إبراهيم.

تاريخ النشر: الطبعة الأولى - يناير 2007م.

رقم الإيداع 2006/ 22872

الترقيم الدولي ISBN 977-14-3829-8

الإدارة العامة للنشر: 21 ش أحمد عرابي - المهندسين - الجيزة
ت: 3466434(02)-3472864(02) فاكس: 3462576(02) ص.ب: 21 إمبابة
البريد الإلكتروني للإدارة العامة للنشر: Publishing@nahdetmisr.com

المطابع: 80 المنطقة الصناعية الرابعة - مدينة السادس من أكتوبر
ت: 8330287 (02) - 8330289 (02) - فاكس: 8330296 (02)
البريد الإلكتروني للمطابع: Press@nahdetmisr.com

مركز التوزيع الرئيسي: 18 ش كامل صدقي - الفجالة - القاهرة - ص. ب: 96 الفجالة - القاهرة.
ت: 5909827 (02) - 5908895 (02) - فاكس: 5903395 (02)

مركز خدمة العملاء: الرقم المجاني: 08002226222
البريد الإلكتروني لإدارة البيع: Sales @nahdetmisr.com

مركز التوزيع بالإسكندرية: 408 طريق الحرية (رشدي)
ت: 5462090 (03)
مركز التوزيع بالمنصورة: 47 شارع عبد السلام عارف
ت: 2259675 (050)

موقع الشركة على الإنترنت: www.nahdetmisr.com
موقع البيع على الإنترنت: www.enahda.com



أسسها أحمد محمد إبراهيم سنة 1938

الفهرس

صفحة

عن الغرب والإسلام

(لقد شعر الكثيرون فى الغرب بالحاجة إلى اكتشاف تهديد يحل محل التهديد السوفييتى. وبالنسبة إلى هذا الغرض، فإن الإسلام جاهز فى المتناول!..

فالإسلام مقاوم للعلمنة، وسيطرته على المؤمنين به قوية، وهى أقوى الآن مما كانت قبل مائة سنة مضت، ولذلك فهو، من بين ثقافات الجنوب، الهدف المباشر للحملة الغربية الجديدة، ليس لسبب سوى أنه الثقافة الوحيدة القادرة على توجيه تحد فعلى وحقيقى للمجتمعات الغربية التى يسودها مذهب اللاأدرِيَّة وفتور الهمة واللامبالاة، وهى آفات من شأنها أن تؤدى إلى هلاك تلك المجتمعات ماديًا، فضلاً عن هلاكها معنويًا!..).

مجلة «شئون دولية» البريطانية

يناير سنة ١٩٩١م

تمهيد

عن الغرب والإسلام

الموقف من الحضارة الغربية واحد من الموضوعات التى يدور حولها الجدل فى دوائر الفكر والثقافة والسياسة، على امتداد وطن العروبة وعالم الإسلام، بل وفى كل أمم وحضارات وقارات جنوب الكوكب الذى نعيش فيه!.

بل لقد غدا هذا الجدل، حول الموقف من الغرب الحضارى، واحدًا من أبرز أسباب الانقسامات الحادة فى العقل العربى والمسلم.. تتشرذم بسببه طاقات كثير من المفكرين والساسة والمثقفين.

وإذا كانت نهضتنا - التى هى طوق نجاتنا من «الانقراض الحضارى!» - مستحيلة دون استدعاء وتوحيد أغلب طاقات الأمة، وخاصة الفكرية والثقافية والسياسية - نظرًا لكثرة وشراسة التحديات - فإن حسم الخلاف حول هذه القضية: - الموقف من الحضارة الغربية - يتجاوز فضيلة - بل وفريضة - الحوار والحسم لقضية من القضايا المثيرة للنزاع، إلى حيث يصبح واحدًا من شروط تمكين الأمة من أن تمضى على طريق النهضة وهى مستجمعة لطاقاتها الحقيقية، ومتمتعة بعافيتها الطبيعية.. وذلك بدلاً من وضعها الراهن.. وضع الذين هم رحماء على الآخرين، أشداء على أنفسهم، وبأسهم بينهم شديد!.

وفى اعتقادنا أن الطريقة المثلى لاستدعاء العقل العربى والمسلم إلى كلمة سواء فى هذه القضية، هى رهن بالمنهج الذى يتناولها عبر تحقيقه لشرطين أساسيين:

أولهما: تصحيح مسار الحوار والجدل حول القضية.. فبدلاً من أن يكون الموضوع: ما هو موقفنا من الغرب؟ فلنجعله:

ما هو موقف الغرب منا؟

فلعل جميع الفرقاء، باكتشافهم موقف الغرب منهم جميعًا، أن يصلوا إلى أرض مشتركة، ،ومرفأ واحد، وكلمة سواء!.

وثانيهما: أن نستدعى نصوص الغربيين أنفسهم، لا من دائرة واحدة من دوائر حضارتهم، وإنما من مختلف دوائرها، حول موقفهم هم منا.. فلعل شهادتهم هم أن تنير لعقلنا العربى والمسلم سبيل الحكم العادل فى هذا الموضوع!.

* * *

ولما كانت هذه الدراسة، التى نقدم بين يديها، هى خاصة بموقف النصرانية الغربية من الإسلام والمسلمين والحضارة الإسلامية.. فإننا سنطلق فيها العنان لنصوص بروتوكولات ومحاورات واتفاقات وقرارات قساوسة هذه النصرانية الغربية، لتحكى هى معالم المخطط الذى وضعوه للحرب التى أعلنوها وشنوها ضد الإسلام والمسلمين والحضارة الإسلامية.. وهى - كما ستروى نصوصهم هم - حرب إبادة للإسلام، واقتلاع له من الجذور!!.. إنهم - كما ستروى وتعلن نصوص مخططهم - يطمعون ويطمحون إلى أن يصنعوا بالإسلام أكثر مما صنعوا بالهنود الحمر، فللهنود الحمر بقايا.. أما الإسلام فلقد أعلنوا العزم وشنوا الحرب التى يريدون بها تنصير كل - نعم كل - مسلم على ظهر هذا الكوكب.. جاعلين من ذلك حربًا «مقدسة»، لتحقيق نبوءة «مقدسة» هى عودة المسيح ليحكم هذا العالم على أنقاض الإسلام والمسلمين!.

ستدع هذه الدراسة نصوصهم هم - حتى لو طال الاقتباس والاستشهاد - للتحدث عن موقف نصرانية الغرب من الإسلام وأمته وحضارته.. فلعل تحقيق هذا الشرط - من شروط المنهج الذى اقترحناه - أن يجمع المختلفين منا، حول الموقف من الغرب، على كلمة سواء!.

وحتى تحقق هذه الدراسة - الخاصة بالتنصير - الشرط الآخر من شروط هذا المنهج.. فلا تدع لمخالف حجة تقول: إن الغرب ليس فقط النصرانية والكنائس ومؤسسات التنصير.. فإننا سنلقى، فى هذا التمهيد، ضوءًا على نصوص غربية، تجسد موقف دوائر الفكر والسياسة فى الغرب من الإسلام وأمته

وحضارته.. لتكتمل، عبر صفحات هذه الدراسة، رؤيتنا لموقف الغرب منا، كما تحكيه وترويه نصوص أهله وشهوده، من مختلف الدوائر.. والتخصصات.. والميادين!.

* * *

ولحسن حظ «الفكر» – وهو من سوء حظ «الواقع» – أن المتغيرات التى أسقطت الماركسية وأحزابها وحكوماتها ونظمها.. والتى أعادت ترتيب «البيت الغربى» قد أبرزت تعاظم الهيمنة الغربية على الأمم والحضارات الأخرى، وخاصة المستضعفة منها وبوجه أخص على وطن العروبة وعالم الإسلام.. حتى لقد برزت وشاعت الكتابات الغربية التى تتحدث عن أن العدو الحالى والمستقبلى للغرب الذى يمثل «إمبراطورية الشر» – بعد زوال المعسكر الشيوعى – هو الإسلام وأمته وحضارته وعالمه!.. الأمر الذى فتح الباب، أمام تيارات الفكر فى بلادنا، لتلمس حقيقة موقف الغرب منا، على نحو من الوضوح لم يسبق له مثيل.. وإذا كان انفراد الولايات المتحدة الأمريكية – ولو مؤقتًا – بالهيمنة.. واغتصابها – تقريبًا – «للشرعية الدولية»، قد اقترن بتوظيف هذه الهيمنة، وهذا الاغتصاب للشرعية الدولية فى وطن العروبة وعالم الإسلام.. فإن نصوص مفكرى الغرب وساسته تنفى عامل «الصدفة» عن هذا التوظيف فى المحيط الإسلامى بالذات، دون غيره من المجالات.

إن حال الهيمنة الأمريكية، وقوتها المتغطرسة اليوم مع الاستضعاف العربى والإسلامى الراهن، تكاد تجعل القلم يستدعى صورًا من عصر المماليك.

فـ «السلطان – الأمريكى» لا يريد منافسًا ولا شريكًا ولا بديلاً.. وهو يريد من النظم «الحاكمة» فى وطن العروبة وعالم الإسلام أن تقنع بدور، وتقف عند حدود «الحريم»...

وهو يسعى مع تيارات الفكر والسياسة التى سقطت مشروعاتها النهضوية – مثل الماركسيين – أو التى تخاف من المشروع الإسلامى للنهضة – مثل قطاع من العلمانيين والليبراليين – يسعى «السلطان – الأمريكى» مع هذه التيارات إلى القبول بدور «الطواشى.. والخصيان» فى «حرملك» بعض النظم فى وطن العروبة وعالم الإسلام!!..

إنه ينزع سلاحنا القتالى.. فى الوقت الذى يعيد فيه عصر القواعد العسكرية الأجنبية على أرضنا من جديد.. وإذا أعطانا سلاحًا.. فهو يحرص على تفوق قاعدته، إسرائيل، على أوطاننا جمعاء.. ثم هو لا يسمح لنا باستخدام هذا السلاح إلا فى صراعات داخلية، يدبرها.. ويدفع إليها.. ويؤجج نيرانها!!

وهو ينهب ثرواتنا بالثمن البخس.. ويعوق تنميتنا المستقلة.. ويحولنا إلى سوق لاستهلاك سلعه المصنعة - التى إذا قابلنا أسعارها الفاحشة بأسعار موادنا الخام المتدنية، ثبت لنا - بالأرقام - أنه يكاد يأخذ موادنا الخام بالمجان!.. ثم هو يأخذ فوائضنا النقدية رهينة فى مصارفه، يدعم بها اقتصاده، ويحكم بها حبال التبعية المالية على أعناقنا!..

ثم ها هو قد نجح، فى العقود الأخيرة أن يضرب «إرادة التحرر الوطنى» فى مقتل، عندما أغرانا بالاستدانة حتى أدخلنا فى آليات جديدة من التبعية الاقتصادية رهنت إرادتنا واستقلالية قرارنا، بل وكرامتنا كأمة.. الأمر الذى أتاح له - بعد المتغيرات التى رتب بها بيت الحضارة الغربية - أن يطمح إلى دور «السلطان - المملوكى»، وأن يطلب إلى بعض «حكامنا» الرضا بمكانة «الحريم» فى «ديوان» «السلطان».

إنها صورة الواقع المعيش.. وما للعصر المملوكى فيها غير اللغة والمفردات والرموز.. لكننا، وفاء بالمنهج الذى اخترناه لمعالجة قضية «الموقف من الغرب»، لن نكتفى بالاحتكام إلى هذا «الواقع» الذى يأخذ منا بالخناق.. وإنما سنستدعى «نصوص» مفكرى الغرب وساسته لتشهد على أن هذا «الواقع.. البائس.. المذل» الذى فرضه ويفرضه الغرب علينا - مباشرة.. أو بالمستبدين الذين يصنعهم أو يحرسهم - إنما هو المقدمة لنتيجة يريد الغرب بها تأبيد تبعية عالم الإسلام لمركزه.. بل وما هو أكثر من «التبعية».. إنه يريد «إلغاء» وجودنا المتميز.. ولذلك تشهد نصوص ساسته ومفكريه على أن المراد والمطلوب هو تجريدنا، لا من «السلاح الحربى» فقط.. و«الاستقلال الاقتصادى» وحده.. و«الإرادة السياسية» فحسب.. وإنما المطلوب، من وراء هذا الطور من أطوار ذلك الصراع «الحضارى - التاريخى» هو تجريدنا من «الإسلام» باعتباره «الهوية» المميزة لأمتنا، و«الشوكة» التى جعلت أمتنا تستعصى على الإلحاق والذوبان.. فأهل الفكر والسياسة يريدون «كسر شوكة الإسلام» بالعلمانية، وذلك عبر «صراعات كثيرة

وطويلة ومؤلمة» – حسب تعبيرهم – على النحو الذى صنعوه مع مسيحيتهم، التى تحولت من «دين» إلى مجرد «تراث».

أما قساوسة التنصير فإنهم يطمعون فى اقتلاع الإسلام من الجذور والغائه من الوجود.. ولما كانت فصول هذا الكتاب معقودة لعرض نصوص قساوسة التنصير الشاهدة على مخطط هذه الحرب التى يشنونها على الإسلام وأمته وحضارته، فإن هذا التمهيد سيكشف للقارئ طرفًا من نصوص مفكرى الغرب وساسته، التى تقول لنا: إنها حرب واحدة يشنها الغرب علينا، مع تعدد فى المواقع والجبهات، وتنوع فى الوسائل والأدوات، وتفاوت وتدرج فى المقاصد والغايات.. لكنها تفضى – إذا نجحت – لا قدر الله – إلى «كسر شوكة الإسلام» تمهيدًا لاقتلاعه من الجذور

* * *

وإذا كان المقام – وهو مقام «التمهيد» بين يدى هذه الدراسة – يفرض انتقاء النصوص الغربية واختيار الشهادات الدالة.. فحتى لا يزعم زاعم بأننا نتعمد تلوين الصورة بواسطة التحكم فى هذا الانتقاء والاختيار.. فلقد عمدنا إلى اختيار النصوص الغربية التى تمثل شهادات لا لبس فيها، صادرة من أناس هم فى القمة من تخصصاتهم، ومعبرين عن دوائر واسعة ومؤثرة فى الفكر الغربى وفى صنع القرار السياسى الغربى..

* فمن مجلة «شئون دولية» International Affairs – التى يصدرها المعهد الملكى للشئون الدولية – بجامعة «كامبردج» – البريطانية – وهى من أكثر المنابر الفكرية المتخصصة فى الشئون والعلاقات الدولية احترامًا – . اخترنا الاستشهاد بدراستين.. أولاهما عن «الإسلام والمسيحية» Christianity and Islam كتبها عالم بارز هو «إدوارد مورتيمر» Idward Mortimer وثانيتهما عن «الإسلام والماركسية» Islam and Marxism كتبها عالم الإنثروبولوجيا «إرنست جيلنر» Ernest Gellner[1].

ونحن نجد فى تقديم المجلة لهذا «الملف» عن موقف الغرب من الإسلام والعالم الإسلامى.. تشديدًا على أن الأفكار الواردة فى هاتين الدراستين، إنما تعبر عن «**الأفكار التى تروج الآن فى الغرب حول الإسلام والعالم الإسلامى**» – الأمر

(١) والدراستان منشورتان – كملف – مع مقدمة للمجلة – فى المجلد ٦٧ عدد ١ – يناير سنة ١٩٩١م.

الذى يعطيها وزنًا كبيرًا وأهمية خاصة - كما تشير المجلة إلى علاقة هذا الموقف الغربى من الإسلام وعالمه بالمتغيرات التى أزالت الانشقاق الذى كان حادثًا فى الموقف الاجتماعي والعسكرى للحضارة الغربية، منذ الثورة البلشفية فى روسيا سنة ١٩١٧م.. وهى المتغيرات التى أزالت وطوت صفحة «العدو الشيوعى»، وأبرزت الدور التوحيدى للتراث المسيحي فى النظام الغربى الدولى الجديد، على النحو الذى وجه عداء الغرب المسيحي إلى الإسلام وأمته وحضارته وعالمه.. فأمر الإسلام إذن فى الغرب، ليس شأنًا كنسيا وحسب.. بل إنه الشغل الشاغل - كما تقول «شئون دولية» - للمعاهد المتخصصة فى الفكر السياسى.. والفكر بوجه عام.. فالحضارة الغربية التى رتبت بيتها الحضارى تعيد تعريف نفسها، من زاوية مغايرتها - كصاحبة تراث مسيحى يوحدها -.. من زاوية مغايرتها.. بل ومن موقع عدائها للإسلام وأمته وحضارته وعالمه.. على هذه الحقيقة تشهد «شئون دولية» فتقول:

«يحظى موضوع العلاقة بين الإسلام والمسيحية باهتمام خاص من جانب العديد من المعاهد الدولية المتخصصة فى العلاقات الدولية، ويرتبط هذا الاهتمام مباشرة بالعلاقات فيما بين الدول الصناعية الغنية، والدول الفقيرة فيما يسمى بـ «العالم الثالث».. كما يرتبط هذا الاهتمام ارتباطًا وثيقًا بالثورة التى شهدتها بلدان أوروبا الشرقية فى عام ١٩٨٩م، مما دفع أوروبا إلى أن تعيد تعريف ذاتها

إن أوروبا التى اعتادت أن تعرف نفسها من خلال تحديد الآخر، كان لابد من أن تبحث عن آخر جديد يحل محل الاتحاد السوفييتى والمعسكر الشرقى بعدما انهارت أيديولوجيته، وكان هذا الآخر هو الإسلام - أو بمعنى أدق العالم الإسلامي القريب من أوروبا.. وفى هذا الملف، مقالان حول الماركسية والإسلام، والمسيحية والإسلام، يعطيان صورة حول الأفكار التى تروج الآن فى الغرب حول الإسلام والعالم الإسلامى...».

ثم تمضى المجلة فى تقديمها للموضوع.. فتتحدث عن البعد المسيحي المتنامى فى الحضارة الغربية.. والذى يزامله بعد يهودى فى هذه الحضارة.. وعن نزعة الهيمنة والواحدية لهذه الحضارة الغربية، التى لا تقنع بأنها «مجرد ثقافة بين ثقافات عديدة يعج بها العالم».. ثم تضع يدنا على القضية موضوع النزاع والصراع الغربى ضد الإسلام وحضارته.. وهى - بعبارة المجلة -: «... والقضية هى ما إذا كان من الممكن جعل الإسلام يقبل بقواعد المجتمع العلمانى، من خلال صراعات «كثيرة

وطويلة ومؤلمة» أم أن رسوخ الإسلام فى المجال السياسي والاجتماعى يجعله يرفض القبول بالمبدأ المسيحى/ الغربى الذى يميز بين ما لله وما لقيصر»؟!.

والمجلة تعترف باستعصاء الإسلام على العلمنة.. ومن ثم ترى فيه – حسب تعبيرها –: «الثقافة الوحيدة القادرة على توجيه تحدٍ فعلى وحقيقى لمجتمعات الغرب التى تسود فيها أمراض الحضارة الغربية المعاصرة»! ولذلك فالإسلام – كما تقول مجلة «شئون دولية» – «.. من بين الثقافات الموجودة فى الجنوب، هو الهدف المباشر للحملة الغربية الجديدة»!

تمضى المجلة، فتعرض شهادتها على هذه الحقائق فى موقف الغرب من الإسلام وأمته وحضارته وعالمه، فتقول:

«.. نحن فى وقت يسود فيه انطباع قوى بتضاعف الإشارات إلى المسيحية فى السياق الدولى. والقضية هى ما إذا كان من الممكن جعل الإسلام يقبل بقواعد المجتمع العلمانى، من خلال صراعات «كثيرة وطويلة ومؤلمة» أم أن رسوخ الإسلام فى المجال السياسي والاجتماعي يجعله يرفض القبول بالمبدأ المسيحى/ الغربى الذى يميز بين ما لله وما لقيصر، وبما لا يسمح لمعتنقيه أن يصبحوا مواطنين خاضعين للقانون بصورة يعول عليها فى ديمقراطية علمانية.

ويعكس هذا الطرح إلى أى مدى يميل الفكر الغربى إلى جعل الحضارة المسيحية – اليهودية / الغربية هى الحضارة المهيمنة، وجعل أفكارها مطلقة، وليست مجرد ثقافة بين ثقافات عديدة يعج بها العالم.

والإسلام من بين الثقافات الموجودة فى الجنوب، هو الهدف المباشر للحملة الغربية الجديدة ليس لسبب سوى أنه الثقافة الوحيدة القادرة على توجيه تحدٍ فعلى وحقيقى لمجتمعات يسودها مذهب اللاأدرية وفتور الهمة واللامبالاة، وهى آفات من شأنها أن تؤدى إلى هلاك تلك المجتمعات مادياً، فضلاً عن هلاكها المعنوى..»[1]

تلك هى شهادة مجلة «شئون دولية» على حقيقة عداء الغرب للإسلام وعالمه، وجعله الإسلام «من بين الثقافات الموجودة فى الجنوب، الهدف المباشر للحملة الغربية الجديدة».. لا لشيء «وليس لسبب سوى أنه الثقافة الوحيدة القادرة على توجيه تحد فعلى وحقيقى» للعلمانية الغربية.. «فرسوخ الإسلام فى المجال السياسى والاجتماعي، الذى يجعله يرفض القبول بالمبدأ المسيحى/ الغربى الذى يميز بين ما لله وما لقيصر».. هذا الرسوخ، الذى يجعل الإسلام

عصيًا على العلمنة، هو الذى يؤجج نيران العداء الغربى للإسلام.. ذلك أن الغرب لا يقنع بأن تكون ثقافته العلمانية «مجرد ثقافة بين ثقافات عديدة يعج بها العالم».. وإنما يريد أن تكون «حضارته المسيحية - اليهودية/ الغربية هى الحضارة المهيمنة».. ومن هنا رأى فى الإسلام التحدى الوحيد لهيمنة الحضارة الغربية على هذا الكوكب الذى نعيش فيه

* * *

وإذا كانت هذه هى شهادة المجلة الغربية، رفيعة المستوى - «شئون دولية» - فما شهادة العلماء الذين كتبوا فيها حول موقف الغرب من الإسلام؟

فى الدراسة التى كتبها «إدوارد مورتيمر» عن «المسيحية والإسلام».. يلفت الأنظار إلى عدد من الحقائق البالغة الأهمية فى هذا الموضوع.. ومنها:

* تزايد المساحة والدور الذى يعطيه الغرب للعامل الدينى فى العلاقات الدولية، فالدين قبل القرن العشرين - قرن الثقافة الغربية العلمانية - كان يلعب دورًا «مركزيًا»، سواء فى العلاقات الدولية، أو فى الحياة الداخلية للمجتمعات الغربية.. وعلمنة الثقافة الغربية، فى القرن العشرين، لم تغيب الدين تمامًا.. وإنما أنزلته من موقع «المركز».. لكنه يعود اليوم، فى الغرب، لاقتحام الشئون الدولية بصورة متزايدة.. يقول «مورتيمر»:

«إنه من الواضح أن الدين أصبح يقتحم الشئون الدولية بصورة متزايدة، أو بالأحرى يعيد إدخال نفسه فيها، لأنه فى القرون الماضية لعب دورًا مركزيًا فى العلاقات بين الدول، وفى حياتها الداخلية، وإذا لم يكن قد اعتبر عاملاً مركزيًا فى هذا القرن، فإن ذلك قد يعكس ببساطة حقيقة أن «المجتمع الدولى» للقرن العشرين، على حد تعبير هيدلى بول، كان إلى حد كبير ثمرة للثقافة الغربية الحديثة، وواحدة من سماتها العلمانية..».

فنحن، إذًا، أمام حقيقة تمثل واحدًا من متغيرات الفكر والسياسة فى الغرب.. حقيقة تزايد دور العامل الدينى فى نظرة الغرب للعالم وعلاقاته بالدول.. فى ذات الوقت الذى يريد فيه كسر شوكة الإسلام بالعلمانية.. فكأنما علمنة الغرب للإسلام ليست حبًا مجردًا للعلمانية، وتفضيلاً لها على الإسلام - وفق معايير الاختيار والتفضيل الفكرية المجردة - وإنما هى وسيلة لكسر شوكة استعصاء الإسلام على التبعية والإلحاق والذوبان والاختراق.

• وحقيقة ثانية تكشف عنها دراسة «إدوارد مورتيمر» – في تأملها فائدة كبرى للذين ظنوا أن علمانية الغرب قد أزالت «العصبية الدينية» من مجتمعاته.. ففي بلد كإنجلترا، يؤكد الكاتب أن العلمانية لا تعدو أن تكون «اسماً» على غير مسمى.

«فعلى الرغم من الإلغاء التدريجي – عبر ٣٠٠ سنة – لكل أنواع عدم الأهلية المدنية والسياسية من الناحية العملية عن معتنقي الديانات والمذاهب الأخرى – (المغايرة لمذهب الدولة الديني) – فإن ذلك لم يجعل المملكة المتحدة دولة علمانية إلا اسماً».

فدور الدين.. بل والمذهبية الدينية.. وإن تراجع في اليقين الديني، والالتزام الخلقي.. إلا أنه لم يتراجع كعصبية وكمعيار لتعريف الذات، ولتمييزها عن الآخرين.

• وحقيقة ثالثة – بالغة الأهمية – تكشف عنها الدراسة، عندما تنبهنا – نحن الغافلين أو المتغافلين – إلى دور البعد الديني – «المسيحي – الكاثوليكي» – في بناء الوحدة الأوروبية.

«فالكنيسة الرومانية الكاثوليكية: هي منظمة غير قومية، كثيراً ما يدلي رئيسها الروحي ببيانات متكررة تمس العلاقات الدولية، يرتبط في كثير منها تعبير «المسيحية» و«أوروبا» بصورة وثيقة.

ويصعب أن تكون مصادفة أن الديمقراطيين المسيحيين في كل بلد أوروبي موجودون على الدوام بين أشد أنصار الوحدة الأوروبية حماساً، أو أن القادة القوميين الثلاثة الذين أرسوا أسس الاتحاد الأوروبي الحالي – كونراد أديناور[٢]، والسيد دي جاسبري[٣]، وروبرت شومان[٤] – كانوا جميعهم من الديمقراطيين المسيحيين، ومن الكاثوليك المخلصين..»

(٢) كونراد أديناور Konrad Adenauer (١٨٧٦ – ١٩٦١م) سياسي ورجل دولة ألماني.. أسس الحزب المسيحي الديمقراطي سنة ١٩٤٥م. تولى مستشارية ألمانيا الغربية منذ سنة ١٩٤٩م وحتى وفاته.

(٣) السيد دي جاسبري Alcide De Gasperi (١٨٨١ – ١٩٥٤م) سياسي ورجل دولة إيطالي، أعاد تنظيم الحزب الديمقراطي المسيحي الإيطالي، رئيس الوزارة الإيطالية سنة ١٩٥٣م. وأدخل إيطاليا في حلف شمال الأطلسي.

(٤) روبير شومان Schumann.R. (١٨٨٦ – ١٩٦٣م) سياسي ورجل دولة فرنسي، ومن كبار مهندسي الوحدة الأوروبية عبر سلسلة من البرامج والخطوات التكاملية.. تولى وزارة الخارجية.. ورأس الوزارة. وترأس البرلمان الأوروبي.. وهو صاحب المشروع السياسي الاقتصادي – الذي اشتهر باسمه – والذي لعب دوراً محورياً في الوحدة الأوروبية.

فللعامل الدينى دوره فى الوحدة الأوروبية – بشهادة «إدوارد مورتيمر» – على حين تشهد حساسية الغرب من أى استثمار للعامل الدينى فى حياة المسلمين وعلاقاتهم الدولية.. بل إن هذا الاستثمار لوحدة أمتنا فى العقيدة هو موضع الإنكار والاستنكار من العلمانيين العرب والمسلمين.

• وحقيقة رابعة، تكشف عنها دراسة «المسيحية والإسلام» – «لإدوارد مورتيمر» – تنبه الغافلين والمتغافلين إلى دور البعد الدينى والعامل المسيحى والكنيسة الغربية فى هذا الزلزال الذى أسقط الشيوعية وطوى صفحة الماركسية، وأعاد الحضارة الغربية إلى حيث تعرف نفسها تعريفًا مسيحيًا، حتى إنها لتستبدل بعدائها للشيوعية العداء للإسلام.

فهذا الغرب الذى أعاد ترتيب بيته الحضارى.. والذى نهضت المسيحية بدور بارز فى المتغيرات التى أعادت هذا الترتيب.. إنما يعرف نفسه – وهو يبحث عن «الآخر – العدو» – بالمسيحية، وبالتراث المسيحى، وبالمغايرة للإسلام وأمته وحضارته وعالمه.. وحول هذه الحقيقة يقول «إدوارد مورتيمر»:

«هناك انطباع قوى بأن الإشارات إلى المسيحية، فى سياق دولى، قد تضاعفت فى وسائل الإعلام الغربية فى السنة الماضية – (١٩٩٠م) – أو ما إلى ذلك. ولا شك فى أن السبب الرئيسى فى هذا هو التغييرات التي وقعت فى الاتحاد السوفييتى واوروبا الشرقية.

ففى بعض بلدان أوروبا الشرقية لعبت الكنيسة دورًا مهمًا فى إحداث التغيير السياسي: بولندا بصورة واضحة، وألمانيا الشرقية، بصورة غير متوقعة، بدرجة أكبر، وكذلك تشيكوسلوفاكيا إلى حد ما.

وفي الاتحاد السوفييتي بدأ التغيير من أعلى، وعلى يد المثقفين العلمانيين، لكن دور المنشقين المسيحيين فى مقاومة النظام، وتقدمهم لإدانته، لم يكن بحال من الأحوال أمرًا تافهًا، والأمر الذى كان مدهشًا حقًا هو السرعة التى اتجه بها المجتمع والدولة على حد سواء إلى الكنيسة فى بحث يائس عن شيء يملأ الفراغ الأخلاقى المروع الذي كشف عنه انهيار الأيديولوجية الشيوعية[٥]..

---

(٥) يشير الكاتب – كشاهد على هذه الحقيقة – إلى مرجع: (جورباتشوف.. الجلاسنوست والإنجيل) من تأليف: مايكل بوردو – طبعة لندن – هورد آندستوتون – ١٩٩٠م

وكان لهذه الأحداث تأثير مدهش على المواقف الغربية، خاصة موقف أوروبا الغربية. فقد حرم انهيار الشيوعية «الغرب» من ذلك «الآخر» ذى المعنى. فالغرب لم يعد يستطيع تعريف نفسه اكتفاء بالإشارة لذلك الآخر، وبدلاً من الكتلة السوفيتية التى يهيمن عليها نظام للقوة معاد وخطر، وتتوحد معه اكتشفنا زملاء أوروبيين يشاركوننا ميراثنا الحضارى والدينى، ويتطلعون لمشاركتنا الحرية والازدهار. لقد ذاب الستار الحديدى فجأة.

مطلوب عدو جديد

أراد الغرب أن يتوحد مع شعوب أوروبا الشرقية التى خرجت من إسار الطغيان، وجعلنا هذا نركز على ما هو مشترك معها، ولكن ليس مع آخرين فالطبيعة البشرية تجعل مجموعة ما تعرف بما ليست عليه ماهيتها، تماماً مثلما تعرف حسب ماهيتها.

بل لقد شعر الكثيرون بالحاجة إلى اكتشاف تهديد يحل محل التهديد السوفييتى. وبالنسبة إلى هذا الغرض، فإن «الإسلام» جاهز فى المتناول.

والتراث المسيحى عنصر مهم فى الثقافة الغربية، التى نشترك فيها، أو نعتقد ذلك، مع الأوروبيين الشرقيين. ومع ذلك فإن الإصرار على المسيحية باعتباره سمة للتعريف، يعنى ضمنا، البحث عن غير المسيحيين المجاورين الذين يمكن أن تتناقض مع مجتمعهم، أوروبا الجديدة/ القديمة هذه.

إن ما كان مطلوباً هو شيء كنا نستطيع أن نعتبره غريباً على مجتمعنا وخطراً عليه، وقد وفى الإسلام بالمراد. لماذا؟

أوراق اعتماد الإسلام

أولاً: هناك قربه الجغرافى. فلو سافرت جنوباً من أى مكان تقريباً فى أوروبا، فإن أول مجتمع غير أوروبى (أو غير مسيحى) ستقابله سيكون مجتمعاً إسلامياً.

تأتى بعد ذلك سلسلة من الذكريات الشعبية التاريخية أو شبه التاريخية عن المعارك بين المسلمين والمسيحيين، تمتد عبر أوروبا كلها. وفى هذه الذكريات يظهر المسلمون كغزاة: المغاربة البربر الذين غزو إسبانيا. والعرب المسلمون الذين أغاروا على فرنسا وإيطاليا، والأتراك على أبواب فيينا، والتتار الذين أخضعوا موسكو.

وغالبًا ما يتم تناسي حقيقة أن الأوروبيين غزوا وفتحوا عمليًا كل البلاد الإسلامية في وقت أحدث، أو ترد ذكرى ذلك فقط بطريقة تصور المسلمين كأشرار، كما أن مقاومتهم للتسلل الاستعماري، والتي تمت غالبًا تحت قيادة دينية أو تمت تعبئتها بشعارات دينية، تذكر باعتبارها تعصبًا. ومازالت هذه الحكايات مستمرة حتى الآن. إن الفلسطينيين يقاومون الاحتلال الإسرائيلي، ويسعون أحيانًا إلى ضرب القوى الغربية مباشرة، لأنهم يعتبرونها مسئولة عن ذلك. وقد تمرد الإيرانيون على النفوذ الغربي، مستخدمين العنف أساسًا داخل إيران في المحل الأول ضد إيرانيين آخرين، مع عدد قليل نسبيًا من الهجمات على أشخاص غربيين، أشهرها عملية احتجاز ٥٠ دبلوماسيًا أمريكيًا كرهائن في سنة ١٩٧٩ – سنة ١٩٨١م، والتي كانت عملاً رمزيًا، وتم حلها سلميًا في النهاية.

ولكن، في التصور الغربي لمثل هذه الأحداث، يتم دائمًا تضخيم العنف الذي يرتكبه المسلمون، أما العنف ضد المسلمين فيتم تجاهله والتهوين من شأنه.

وحتى المقاومة الأفغانية ضد الاحتلال السوفييتي، حظيت فقط بتعاطف من وراء القلب في الغرب، وفي السنتين أو الثلاث الأخيرة، تم اكتشاف مثل هذه التناقضات داخل الاتحاد السوفييتي[٦]، وفيما يتعلق بالصدام بين أرمينيا وأذربيجان، فإن الرواية الأرمينية للأحداث تحظى دومًا في الغرب بمصداقية أكبر من الرواية الأذربيجانية، كما أن استخدام القوة العسكرية لقمع الحركة القومية البازغة في أذربيجان، أثار في الغرب اعتراضًا أقل مما أثاره استخدام الضغط الاقتصادي أساسًا ضد شعوب البلطيق (المسيحية). ويحظى جورباتشوف بالتعاطف في الغرب عندما يعتبرونه داخلاً في صراع مع «نزعة التعصب الإسلامية»، التي تصور دومًا باعتبارها نزعة عنيفة، وعادة نزعة غير رشيدة أيضًا.

وبالمثل، في الشرق الأوسط، فإن امتلاك أسلحة طويلة المدى أو عالية التدمير من قبل دولة إسلامية، كإيران والعراق أو ليبيا، يعتبر بصورة آلية، خطرًا على أوروبا، في حين لا يخرجون بنفس النتيجة عن امتلاك إسرائيل لها (وهي باعتراف الجميع ليست دولة «مسيحية»، ولكنها دولة تصنف عادة، خاصة في الخطاب الأمريكي، تحت عنوان «حضارة يهودية مسيحية»).

(٦) نشرت هذه الدراسة في يناير سنة ١٩٩١م، وبعد ذلك – وفي نفس العام – انهار وتفكك الاتحاد السوفييتي، وتحول إلى جمهوريات مستقلة.

قد تكون هناك مبررات جيدة لذلك، ولكن لا ريب أن واحدًا منها هو أننا لا نتصور أن الغرب سيتخذ إجراءً يدفع إسرائيل للانتقام، في حين أننا، حتى قبل أزمة الكويت، نجد أنه من السهل تخيل أن مثل هذا يسهل اتخاذه ضد الدول الإسلامية.

وقد اتفق أن تواكبت التغيرات في أوروبا الشرقية مع حدوث زيادة مفاجئة في القلق من جراء وجود جاليات إسلامية كبيرة داخل أوروبا الغربية، وارتبط ذلك بقضية سلمان رشدى[٧] في بريطانيا، والخلاف حول الفتيات المسلمات اللاتى يضعن غطاءً على الرأس في مدارس فرنسا.

إن هذه الجاليات «المهاجرة» موجودة منذ ٢٠ أو ٣٠ سنة، ومن ثم لم تعد مهاجرة بالمعنى الدقيق، حيث إنها تتضمن جيلاً واحدًا على الأقل من البالغين الذين ولدوا في البلدان التي يعيشون فيها حاليًا، ومن المؤكد أن الاحتكاك بينهم وبين أجزاء من المجتمع الذى يعيشون فيه ليس أمرًا جديدًا، ولكن قبل سنة ١٩٨٩م[٨] لم يكن السخط عليهم منصبًا على دينهم في المحل الأول، وكانوا إجمالاً يحظون على الأقل بمساندة معنوية من المؤسسة الثقافية الليبرالية ضد الأحكام المسبقة والتمييز العنصرى الذى يتعرضون له، ومع ذلك ففي سنة ١٩٨٩م خسروا هذه المساندة بسبب أن دينهم اعتبر معاديًا لبعض الأسس التقليدية للحرية الغربية: في بريطانيا، حرية التعبير والنشر، وفي فرنسا، العلمانية أى الحياد الدينى للدولة، وبصفة خاصة النظام الدراسي للدولة.

إن كلا الأمرين قد جعل أوروبيين كثيرين يتساءلون عما إذا كان يمكن جعل الإسلام يقبل قواعد المجتمع العلمانى، مثلما فعلت المسيحية بعد صراعات كثيرة طويلة ومؤلمة، وما إذا كان دينًا على قدرٍ من الرسوخ في المجال السياسي والاجتماعي يجعله رافضًا لأى تمييز بين ما لله وما لقيصر، بحيث لا يسمح أبدًا لمعتنقيه أن يصبحوا مواطنين خاضعين للقانون بصورة يعول عليها في ديمقراطية علمانية يسودها التسامح[٩].

---

(٧) كاتب بريطاني الجنسية، هندى المولد، كتب رواية عنوانها (آيات شيطانية) أهان فيها رسول الإسلام، محمد بن عبدالله – ﷺ – وصحابته، وجدف في عدد من عقائد الإسلام ومقدساته، ولقد مثل الانتصار الغربى له موقفًا معاديًا للإسلام والمسلمين.

(٨) هو عام التغيرات التي طوت صفحة الماركسية ونظمها، وجعلت الغرب يعرف نفسه باعتباره مسيحيًا، وباعتبار الآخر، العدو الجديد، هو الإسلام وأمته وعالمه.

(٩) ولنا على معنى التسامح هنا تحفظات، فحرية إنجلترا تتسامح مع إهانة إله المسلمين ورسولهم، ولا تتسامح مع العيب في الذات الملكية، أو عقائد المسيحية، وحرية فرنسا تتسامح مع حق العرى والتذوق الجنسى، ولا تتسامح مع حق المرأة في ستر عورتها!

والواقع أن هناك احتمالاً مماثلاً على الأقل فى أن مثل هذه المشكلات - (الهجرة) - ستنزل على أوروبا الغربية، ليس من الجنوب المسلم، وإنما من الشرق «المسيحى»، لو نجح الانتقال للديمقراطية وللرأسمالية الذى تجرى محاولة تطبيقه حاليًا فى شرق أوروبا والاتحاد السوفييتي. لكن فكرة هبوب موجة من المهاجرين الأوروبيين إجمالاً تسبب انزعاجًا أقل، ويرجع ذلك تحديدًا إلى افتراض أن ميراثهم المسيحى سيجعلهم قابلين للاستيعاب فى أوروبا الغربية بطريقة لا تتوافر للمسلمين القادمين من شمال إفريقيا أو تركيا، وليس هناك شك كبير فى أن هذا الاعتقاد يكمن وراء كثير من المبررات التقنية والظرفية التى تقدم للاعتراض على النظر فى قبول تركيا عضوًا كاملاً فى الاتحاد الأوروبى، أو على الأقل تأجيل ذلك.

إن كل هذه العوامل تدفع أوروبا لأن تعرف نفسها، ربما ليس من زاوية المسيحية نفسها، وإنما بالقطع من زاوية التراث المسيحي، والتركيز بصورة حادة بقدر الإمكان على التمايز والحدود بينها وبين عالم الإسلام.

تلك هى الحقيقة الرابعة من حقائق شهادة «إدوارد مورتيمر».. حقيقة دور العامل الدينى - المسيحى - فى المتغيرات التى وحدت الحضارة الغربية.. وكيف أصبحت هذه الحضارة - المسيحية - اليهودية/ الغربية - تعرف نفسها بالمسيحية، أو بالتراث المسيحي الجامع لها.. وأيضًا بمغايرتها للإسلام وأمته وحضارته وعالمه.. إلى الحد الذى جعلها تتخذ منه العدو الذى أحلته محل «إمبراطورية الشر الشيوعية».

* أما الحقيقة الخامسة، والأخيرة، من حقائق شهادة «إدوارد مورتيمر» - فى دراسته عن «المسيحية والإسلام» - فإنها تكشف عن ارتباط «الدنيوى» بـ «الدينى» فى هذا الموقف الغربى من الإسلام وأمته وحضارته وعالمه.

فالبعد «الدينى - المسيحى»، الذى يدفع الغرب إلى مناصبة الإسلام وعالمه العداء.. إنما هو موظف لا فى حرص الغرب على «هداية» المسلمين إلى الصراط الدينى المستقيم، أو الخوف عليهم من أن يحرموا، فى الآخرة، من «جنات النعيم» التي يتصورها نصارى الغرب خاصة بهم.. وإنما وظيفة هذا العامل الدينى، الذى يؤجج نيران عداوة الغرب للإسلام وعالمه، هى السعى للحيلولة بين الإسلام وبين إيقاظ أمته وعالمه، مخافة تأثير هذه اليقظة على النظام الدولى والعلاقات الدولية والهيمنة الغربية على الشرق الإسلامى.

إن ما بين «غانة» و«فرغانة» – غربًا وشرقًا – وما بين حوض نهر الفولجا وأسفل خط الاستواء – شمالاً وجنوبًا – وهو عالم الإسلام – إنما يمثل أكبر «الغنائم» فى فم «الأسد الغربى».. وإن إيقاظ الإسلام لأمة هذا العالم إنما يمثل أعظم زلازل وانقلابات التاريخ الحديث والمعاصر.. وتلك هى المقاصد «الدنيوية» التى يستعين الغرب فى صراعه حولها بكل السبل والآليات.. الدينية والدنيوية جميعًا.. فمن الخطأ – بل والحماقة – تفسير هذا الصراع «الحضارى – التاريخى – المصيرى» بعامل واحد – سواء من جانب الغرب.. الذى يعرف نفسه مسيحيا.. أو من جانب المسلمين، الذين يمثل الإسلام بالنسبة إليهم مصدر الحياة والإحياء فى الدنيا وفى الآخرة معًا..

إلى هذه الحقيقة يشير «إدوارد موروتيمر».. وينبه على دورها فى ذلك الاهتمام الذى تحظى به ظاهرة الإحياء الإسلامى، فى مؤسسات البحث العلمانية ومراكز الدراسات السياسية.. وليس فقط فى دوائر الكنيسة واللاهوت.. فيقول

«إن ظاهرة الإشارة إلى الإسلام، واستخدام اللغة الإسلامية لدى دول منظمة المؤتمر الإسلامى – كما اكتشف مؤتمر معهد تشاثام هاوس فى سنة ١٩٨٢م – تتباين بصورة واسعة. ومع ذلك فقد وجد أن هذه الظاهرة آخذة فى الزيادة فى عدد من الدول الإسلامية كمصر والعراق وباكستان

إن الحساسيات الإسلامية، مقترنة بالقومية العربية، تعتبر بصفة عامة الخطر السياسى الرئيسى الذى يواجه الدول الغربية التى تسعى للقيام بدور نشط فى الشرق الأوسط. وبالإضافة إلى ذلك، فإن صعود الأحزاب التى تصف نفسها بأنها إسلامية فى السياسة الداخلية لطائفة عريضة من البلدان، وبصفة خاصة تلك الأقرب إلى أوروبا، مثل الجزائر وتونس، أمر مرجح أن يؤثر على العلاقات بين تلك البلدان والغرب..»[١٠].

وحتى لا تغير اليقظة الإسلامية موازين القوى السائدة – وغير المتكافئة – فى علاقة الغرب بعالم الإسلام.. كان اهتمام الغرب بدراسة هذه اليقظة.. والكاتب يضرب مثالاً – مجرد مثال – على هذا الاهتمام فيقول:

(١٠) لقد نشرت هذه الدراسة قبل إجهاض الديمقراطية فى الجزائر - يناير سنة ١٩٩٢م – عندما أتت بالإسلاميين.. و قبل تجريد الإسلاميين.. من أبسط حقوق الإنسان.. ولقد أيد الغرب – «الديمقراطى» المناصر «لحقوق الإنسان» – أعداء الديمقراطية وحقوق الإنسان، حتى لا تؤثر اليقظة الإسلامية فى علاقة الغرب بتلك البلدان!

«إن الإسلام مطروح على جدول الأعمال الدولى، على الأقل منذ الثورة الإسلامية فى إيران – (سنة ١٩٧٩م) – ولقد كان مؤتمر معهد تشاثام هاوس سنة ١٩٨٢م، إلى جانب مؤتمر آخر حول «الإسلام في العملية السياسية» – الذى عقد فى سنة ١٩٨١م – جزءاً من مشروعٍ كبير للبحوث لمعهد تشاثام هاوس حول تأثير الإسلام على النظام الدولى، مولته مؤسسة فورد. ولم يكن المعهد منفرداً فى تناول موضوع إسلامى فى ذلك الوقت»..

تلك هى شهادة خبير، من رجالات الفكر الغربى، نشرتها واحدة من أكثر المجلات الغربية تخصصاً ورصانة.. عن موقف الغرب، المعادى للإسلام وأمته وحضارته وعالمه..

فالغرب، الذى توحدت حضارته، بعد انهيار الماركسية وأحزابها وحكوماتها ونظمها، تتزايد مساحات البعد الدينى – المسيحى – فى تعريفه لذاته.. وهو قد قرر اتخاذ الإسلام وعالمه عدواً، أحله محل «إمبراطورية الشر الشيوعية»؛ لأنه يرى فى الإسلام وثقافته التحدى الوحيد الذى يهدد حضارته التى تأخذ الأمراض المادية بخناقها.. فيسعى لكسر شوكة الإسلام بعلمانيته، كى لا يوقظ المسلمين فتتحرر أوطانهم من الهيمنة الغربية، ويقع الزلزال الذى يخافه الغرب فى موازين القوى والعلاقات الدولية..

* * *

* والشهادة الثانية من شهادات رجال الفكر الغربى – والتى نشرتها المجلة البريطانية الأكاديمية المتخصصة – «شئون دولية» – هى لعالم الإنثروبولوجيا «إرنست جيلنر» عن «الإسلام والماركسية».. تؤكد هى الأخرى أن قضية الغرب مع الإسلام وأمته وحضارته وعالمه هى قضية الهيمنة والإلحاق.. وأن عداء الغرب للإسلام نابع من استعصاء الإسلام على العلمنة، التي هي شرط التبعية والإلحاق. فالحضارة الغربية العلمانية، التى هيمنت على العالم بالغزوة الاستعمارية الحديثة، قد اكتشفت أن الإسلام هو الحالة الوحيدة والنموذج الفريد، الذى لا يقف من النموذج الغربى في موقف المقلد الذليل المحاكى، لأن هذا الإسلام، فضلاً عن إحساسه بسمو صورة نموذجه الحضارى الخاص تاريخياً، فإن هذا النموذج الخاص المستعصى على العلمنة قادر على التجدد، ومالك لإمكانات وشروط التحديث «المحلية» غير الغربية.. أى غير العلمانية.. وهذه الحالة الإسلامية

الفريدة، التى تعوق عموم هيمنة النموذج الغربى فى أنحاء العالم، هى التى تؤجج نيران عداء الغرب للإسلام وأمته وحضارته وعالمه.. لقد ظن الغرب أنه - بالتصنيع وبالعلم الحديث - قد تخلص من الإيمان الدينى.. وأن العلمانية قد سادت.. ثم اكتشف استعصاء الإسلام على هذا المقصد، الذى هو لب النموذج الحضارى الغربى الحديث!

تعرض شهادة «إرنست جيلنر» هذه الحقيقة - داعمة شهادة «إدوارد مورتيمر» - فتقول:

«إن النظرية التي يعتنقها علماء الاجتماع، والتى تقول: إن المجتمع الصناعى والعلمى الحديث يقوض الإيمان الدينى - مقولة العلمنة - صالحة على العموم. بالطبع إنها ليست صالحة بنسبة مائة فى المائة. وهى تتباين فى التفاصيل والفروق الدقيقة من حالة إلى حالة، لكن التأثير السياسى والسيكولوجى للدين قد تناقص عملياً فى كل المجتمعات، وبدرجات متفاوتة وأشكال مختلفة.

وعالم الإسلام استثناء مدهش وتام جداً من هذا[١١].

أعتقد أنه من العدل القول بأنه لم تتم أى علمنة فى عالم الإسلام. إن سيطرة الإسلام على المؤمنين به هى سيطرة قوية، وهى بطريقة ما أقوى الآن عما كانت من ١٠٠ سنة مضت. إن الإسلام مقاوم للعلمنة نوعاً ما، والأمر المدهش هو أن هذا يظل صحيحاً فى ظل مجموعة كاملة من النظم السياسية، فهو صحيح فى ظل نظم راديكالية - (ثورية) - اجتماعياً، تحاول أن تدمج الإسلام فى المصطلحات والأفكار الاشتراكية، وهو صحيح أيضاً فى ظل النظم التقليدية التى تنتمى الصفوة فيها إلى عالم ابن خلدون، والتى تأتى من الشبكة القبلية الحاكمة، وهو صحيح بالنسبة إلى النظم التى تقف بين النوعين..».

ثم يبرز «إرنست جيلنر» سر استعصاء الإسلام على العلمنة، ومقاومته لتأثيراتها.. برغم التصنيع والعلم الحديث.. بل وتزايد هذه المقاومة، حتى إن سيطرة الإيمان الدينى الإسلامى على أتباعه قد غدت الآن أقوى مما كانت منذ قرن من الزمان.. فقبل قرن كان تخلف المسلمين أكبر، وكان انبهارهم بالنموذج الغربى أكثر.. أما اليوم، وبعد وضوح سلبيات وانكشاف عورات النموذج الغربى،

(١١) لاحظ أوصاف: «مدهش» و«تام» و«جداً».

فإن التقدم الصناعى والعلمى لم يحدث فى عالم الإسلام، التأثيرات العلمانية التى حدثت فى العوالم الأخرى.. لا لشىء إلا لأن فى النموذج الإسلامى، وفى تقاليده المحلية البواعث والمنطلقات والمعايير التى هى قادرة على إفراز نموذج للتقدم والتحديث إسلامى، أى غير علمانى.. فعالم الإسلام يستطيع أن يتقدم ويتجدد، ويصبح حديثًا، دون أن يتعلمن ويفقد إيمانه الدينى.. أى دون تقليد للنموذج الغربى العلمانى.. ومن ثم دون أن يقف موقف الذليل الذى يتطلع، بصغار، إلى «المثال العلمانى».

يبرز «إرنست جيلنر» هذه الحقيقة، التى تلح على العلمانيين من أبناء جلدتنا، كى يفهموها.. حقيقة امتلاك الإسلام «لبديل حضارى متميز».. فيقول – لهم ولنا :

«إن وجود تقاليد محلية للإسلام.. قد مكن العالم الإسلامى من أن يفلت من المعضلة التى أرقت مجتمعات أخرى «غير متطورة»، أثار الغرب فيها الاضطراب والإذلال: معضلة ما إذا كان ينبغى إضفاء طابع مثالى على الغرب ومحاكاته (خيار باعث على الإذلال).

لم يكن الإسلام فى حاجة إلى هذا الخيار؛ لأن صورته السامية الخاصة يتوافر لها السمو من الناحية الدولية، وبرغم ذلك فهى محلية من الناحية الفعلية.. ونتيجة لذلك، فإن عملية الإصلاح الذاتى استجابة لدواعى الحداثة، يمكن أن تتم باسم الإيمان المحلى، وذلك هو تفسيرى الأساسى لمقاومة الإسلام المرموقة لاتجاه العلمنة..».

ونحن نلفت النظر إلى عبارة هذا المفكر الغربى: «إن عملية الإصلاح الذاتى، استجابة لدواعى الحداثة، يمكن أن تتم باسم الإيمان الإسلامى المحلى»

وندعو إلى مقابلة دلالاتها بدلالات عبارة الأستاذ الإمام محمد عبده (١٢٦٦ – ١٣٢٣هـ = ١٨٤٩ – ١٩٠٥م) – التى قالها منذ أكثر من مائة عام.. والتى تقول عن الخيار الإسلامى للنهضة والإصلاح:

«إن سبيل الدين، لمريد الإصلاح فى المسلمين، لا مندوحة عنها، فإن إتيانهم من طرق الأدب والحكمة العارية عن صبغة الدين يحوجه إلى بناء جديد، ليس عنده من مواده شىء، ولا يسهل عليه أن يجد من عماله أحدًا

وإذا كان الدين كافلاً بتهذيب الأخلاق، وصلاح الأعمال، وحمل النفوس على طلب السعادة من أبوابها، ولأهله من الثقة به ما ليس لهم بغيره، وهو حاضر لديهم، والعناء في إرجاعهم إليه أخف من إحداث ما لا إلمام لهم به، فلم العدول عنه إلى غيره؟!

لقد جاء الإسلام فهدى ضالاً، وألان قاسياً، وهذب خشناً، وعلّم جاهلاً، ونبه غافلاً، وأثار إلى العمل كسلاً، وأقدر عليه وكلاً، وأصلح من الخلق فاسداً، وروّج من الفضيلة كاسداً، ثم جمع متفرقاً، ورأب متصدعاً، وأصلح مختلاً، ومحا ظلماً، وأقام عدلاً، وجدد شرعاً، ومكن للأمم التي دخلت فيه نظاماً امتازت به عن سواها ممن لم يدخل فيه، فكان الدين بذلك عند أهله: كمالاً للشخص، وألفة في البيت، ونظاماً للملك، وظهرت به آثار النعمة عليهم في جميع شئونهم، ولم يفت العلم حظه من عنايته، بل كان قائده في جميع وجوه سيره..»(١٢)

فالإسلام هو السبيل لمريد الإصلاح في المسلمين، وهو الكافل لمن أراد: كمالاً للشخص، وألفة في البيت، ونظاماً للملك.. وليست سبيل الإصلاح في المسلمين هي السبل «العارية عن صبغة الدين» - أي «العلمانية».

هكذا قال الإمام محمد عبده، منذ أكثر من مائة عام، للذين انحازوا إلى النموذج الغربي العلماني.. واليوم يكتشف المفكر الغربي، عالم الإنثروبولوجيا «إرنست جيلنر» أن الإسلام، لامتلاكه النموذج الإيماني في النهضة والتجديد والتحديث، قد استعصى على العلمنة.. وتفرد بهذا الاستعصاء من بين كل الأنساق الحضارية التي ابتليت أممها بهيمنة الحضارة الغربية.. الأمر الذي أجج نيران عداوة الغرب للإسلام وأمته وحضارته وعالمه

* * *

- وإذا نحن شئنا - بعد نماذج «شهادات الفكر» - التمثيل بنماذج من «شهادات السياسة والسياسيين» على عداء الغرب للإسلام وأمته وحضارته وعالمه.. وسعيه لكسر شوكة الإسلام بالعلمانية، حتى يلحقه، تابعاً ومقلداً، للنموذج الحضاري الغربي، لتتأبد التبعية في مختلف الميادين.. إذا نحن شئنا نماذج لشهادات رجالات السياسة الغربيين على هذا الأمر، فإن لدينا «شهادة»

(١٢) (الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده) جـ٣ - ص٢٢٦، ٢٣١ - دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة - طبعة بيروت - سنة ١٩٧٢م.

تكاد أن تكون «إعلانًا للحرب» ضد العالم الإسلامى.. إما أن يقبل النموذج الغربى، وإما أن يكون العدو – بدلاً من «إمبراطورية الشر الشيوعية» التى انهارت – فتتوجه إليه «قوى الدمار التى كانت موجهة للستار الحديدى»، وبذلك يصبح «العالم مكانًا فى منتهى الخطورة».

إنها شهادة «جيانى ديميكليس» – السياسى الإيطالى البارز – لا بوصفه، فقط، وزير خارجية إيطاليا.. فلقد كان يتولى، عندما قال ما قال، رئاسة المجلس الوزارى الأوروبى.. فلقد سأله مراسل مجلة «النيوزويك» الأمريكية:

– «ما مبررات بقاء حلف الأطلنطى – الناتو – بعد زوال المواجهة بين الغرب الليبرالى والمعسكر الذى كان اشتراكيا؟».

– فأجاب رئيس المجلس الوزارى الأوروبى: «صحيح أن المواجهة مع الشيوعية لم تعد قائمة إلا أن ثمة مواجهة أخرى يمكن أن تحل محلها بين العالم الغربى والعالم الإسلامى».

– فلما عاد مراسل «النيوزويك» ليسأل: «وكيف يمكن تجنب تلك المواجهة المحتملة؟».

– لم يتردد «جيانى ديميكليس» فى أن يعلن أن الشرط هو تعميم النموذج الحضارى الغربى وقبول المسلمين له.. فقال: «ينبغى أن تحل أوروبا مشاكلها، ليصبح النموذج الغربى أكثر جاذبية وقبولاً من جانب الآخرين فى مختلف أنحاء العالم. وإذا فشلنا فى تعميم ذلك النموذج الغربى فإن العالم سيصبح مكانًا فى منتهى الخطورة»[١٣].

نعم.. إنه بمثابة «إعلان حرب» من الغرب على العالم.. حرب «حضارية».. فإما القبول بـ«النموذج الغربى».. وإما أن تتحول المواجهة من قبل حلف الأطلنطى – التى كانت مصوبة «لإمبراطورية الشر الشيوعية» – إلى «العالم الإسلامى»، المستعصى على العلمنة، والرافض للنموذج العلمانى الغربى سبيلاً للنهضة والتحديث.

* * *

(١٣) (الأهرام) عدد ١٧ يوليو سنة ١٩٩٠م، من مقال الأستاذ فهمى هويدى «من يعادى من؟» وهو ينقل عن عدد «النيوزويك» الصادر بتاريخ يوليو سنة ١٩٩٠م.

• وعند هذا الحد من الحديث عن أن القضية ليست موقفنا نحن من الغرب.. وإنما هى الموقف الغربى المعادى لنا.. عند هذا الحد من الحديث.. قد يتساءل البعض: ألا يمكن أن تكون هذه «الشهادات» – مع صدقها.. وتوثيقها – مجرد تعبير عن شريحة محدودة فى فكر الغرب وسياسته؟.. وألا نكون أمام خطر ووهم التعميم والإطلاق الذى يظلم الغرب كحضارة وأمم وشعوب ومدارس فى الفكر والسياسة؟!

ونحن نعترف بأن هذا التساؤل مشروع.. ونبادر فنشدد على خطر وخطأ التعميم والإطلاق.. فليس كل مفكرى الغرب أعداء للإسلام وأمته وحضارته وعالمه.. وليس كل ساسة الغرب دعاة حرب حضارية ضد عالم الإسلام.

ولكننا نؤكد أن هذه المواقف المعادية للإسلام وحضارته ليست مجرد «شريحة هامشية» فى العقل الغربى.. بل إنها التعبير الأمين عن «القسمة الرئيسة» فى هذا العقل.. والترجمة للمخزون الضخم من العداء المستقر فى وجدان الإنسان الغربى تجاه عالم الإسلام!

ونحن، هنا، سندع الحديث جانبًا عن «ممارسات الغرب» ضد عالمنا الإسلامى، فى السياسة والاقتصاد والعسكرية والمحافل الدولية.. فتلك صفحات من التاريخ القديم والحديث والمعاصر تحتاج إلى مجلدات طافحة صفحاتها بدماء ودموع المأساة..

ولن نتحدث عن المجلدات الثمانية التى رصد فيها مشروع بحثى واحد الأخطاء والافتراءات التى ألصقت بالإسلام فى الكتب الدراسية ببلد غربى واحد – هو ألمانيا[١٤]..

ولن نعرض لما كتبه عالم فذ – غير مسلم – ويعيش فى الغرب – وهو الدكتور إدوارد سعيد – عن «الاستشراق» وعن صورة الإسلام وحضارته وأمته وعالمه فى الفكر والوجدان والإعلام الغربى[١٥]..

لن نعرض لشىء من ذلك – فالمقام لا يحتمل – وإنما سنقدم شهادة سياسى غربى بارز – هو الرئيس الأمريكى الأسبق «ريتشارد نيكسون» – فى أحدث كتبه

(١٤) وهى مجلدات أنجزها مشروع بحثى نهضت به «جمعية الدعوة الإسلامية العالمية».

(١٥) انظر له كتاب (الاستشراق. المعرفة. السلطة. الإنشاء) ترجمة: كمال أبوديب. طبعة بيروت – سنة ١٩٨١م. وله كذلك كتاب (تغطية الإسلام).

«الفرصة السانحة» SEIZE THE MOMENT» التى تؤكد أن هذا الموقف العدائي من الغرب تجاهنا، والذى تعبر عنه هذه «الشهادات»، إنما يترجم ويفصح عن الفكر والتصورات السائدة لدى الرأى العام الغربى.. فهؤلاء المفكرون والساسة الذين قدمنا شهاداتهم ليسوا نشازًا ولا شذوذًا.. وكما قدمت مجلة «شئون دولية» لهذه الشهادات الفكرية فقالت: إنها «صورة الأفكار الرائجة الآن في الغرب حول الإسلام والعالم الإسلامى».. فإن «نيكسون» هو الآخر - وهو سياسى ومفكر استراتيجي - يؤكد هذه الحقيقة، عندما يقول:

«إن الكثيرين من الأمريكيين قد أصبحوا ينظرون إلى كل المسلمين كأعداء..

وقليل من الأمريكيين يدركون مدى عراقة العالم الإسلامي. إنهم يذكرون فقط أن سيوف محمد وأتباعه هى السبب فى انتشار الدين الإسلامى فى آسيا وافريقيا وحتى أوروبا، و ينظرون بارتياح إلى الحروب الدينية فى المنطقة..

ويتصور كثير من الأمريكيين أن المسلمين هم شعوب غير متحضرة، ودمويون، وغير منطقيين، وأن سبب اهتمامنا بهم هو أن بعض زعمائهم يسيطرون - بالمصادفة - على بعض الأماكن التى تحوى ثلثى النفط الموجود فى العالم.

ويتذكرون ثلاث حروب قامت بها الدول العربية في محاولة لمحو إسرائيل.

ويتذكرون أيضًا احتجاز الرهائن الأمريكيين فى إيران بواسطة آية الله خمينى المتطرف.

وكذلك هجوم الارهابيين على القرية الأولمبية فى ميونيخ بواسطة جماعة «أيلول الأسود».

والمذابح التى لا نهاية لها ولا معنى بين الميليشيات المسلمة فى لبنان

وتفجير الطائرات المدنية بواسطة السوريين والليبيين

وغزو الكويت الذى قام به صدام حسين تشبهًا بهتلر.

وليس هناك صورة أسوأ من هذه الصورة - حتى بالنسبة إلى الصين الشيوعية - فى ذهن وضمير المواطن الأمريكى عن العالم الإسلامى.

ويحذر بعض المراقبين من أن الإسلام سوف يصبح قوة جيوبوليتيكية متطرفة، وأنه مع التزايد السكانى، والإمكانات المادية المتاحة سوف يؤلف

المسلمون مخاطر كبيرة، وسوف يضطر الغرب إلى أن يتحد مع موسكو ليواجه الخطر العدواني للعالم الإسلامي

ويزيد هذا الرأي: إن الإسلام والغرب متضادان، وإن نظرة الإسلام للعالم تقسمه إلى قسمين: «دار الإسلام» و«دار الحرب»، حيث يجب أن تتغلب الأولى على الثانية، وأن المسلمين يوحدون صفوفهم للقيام بثورة ضد الغرب، وعلى الغرب أن يتحد مع الاتحاد السوفييتي ليواجه هذا الخطر الداهم بسياسة واحدة[16]».

تلك هي الصورة الزائفة والظالمة، التي زيفت بها مؤسسات ووسائل الفكر والثقافة والإعلام وعي الإنسان الغربي.. حتى غدت «أسوأ صورة» في وعي ذلك الإنسان.. بل أسوأ من صورة «إمبراطورية الشر الشيوعية» في ذهن ذلك الإنسان، حتى غدا ذلك الإنسان «ينظر إلى كل – (نعم.. كل) – المسلمين كأعداء» – كما يقول نيكسون.

ومن ثم.. فنحن أمام «رصيد ومخزون من العداء» يستند إليه وينطلق منه ويستجيب له المفكرون والساسة الذين يخططون وينفذون لكسر شوكة الإسلام، ومناصبة أمته وعالمه العداء.. ولسنا بإزاء موقف هامشي لا سند له في الغرب ولا رصيد..

إنها – بتعبير مجلة «شئون دولية» – : «الأفكار الرائجة في الغرب حول الإسلام والعالم الإسلامي».. وليست الشذوذ، ولا الاستثناء.. فضلاً عن أن تكون وهماً نخترعه نحن؛ لأننا من هواة شن الحرب على الغرب وحضارته.. كما يدعي نفر من إخواننا العلمانيين.

ولو أن هذه الصورة – التي ليس هناك صورة أسوأ منها – في ذهن وضمير المواطن الأمريكي – الذي قلد رعاة البقر من أبنائه سيوف سلاطين المماليك – في النظام العالمي الراهن.. لو أن هذه الصورة عن الإسلام وأمته كانت واقعية لالتمسنا للغرب الأعذار في عدائه لنا، وفي حربه علينا.. ولكن حتى «نيكسون» – الذي أورد ملامح هذه الصورة – دون أن يوافق عليها – لم يفتح الله عليه بتفنيدها.. فلم يقل للرأي العام في الغرب:

(16) ريتشارد نيكسون (الفرصة السانحة) ص ١٣٥، ١٣٨، ١٣٩ – ترجمة أحمد صدقي مراد – طبعة القاهرة – سنة ١٩٩٢م

– إن سيوف نبى الإسلام وأتباعه لم تحارب شعباً من شعوب البلاد التى فتحها المسلمون.. وإنما حاربت الغزاة البيزنطيين الذين كانوا يحتلون الشرق منذ غزوات الإسكندر المقدونى (٣٥٦ – ٣٢٤ق.م).. وذلك فضلاً عن أن أغلب البلاد والشعوب التى اعتنقت الإسلام قد عرفته عن طريق التجار والعلماء وليس عن طريق الفتوحات والسيوف.

– وإن الدمار المادى الذى صنعته الحروب العالمية الغربية.. والدمار المعنوى الذى صنعه الانحلال الغربى.. جدير بأن يطرح السؤال: من هم الدمويون.. غير المنطقيين.. وغير المتحضرين؟

– وفى الحروب مع إسرائيل.. من يمحو من.. الصهاينة.. أم الفلسطينيون؟.

– واحتجاز الرهائن الأمريكيين في إيران – ونحن لسنا من مؤيديه – كرد فعل – هل يوازى احتجاز الهيمنة الأمريكية لمقدرات كل إيران قبل الثورة وبعدها؟..

– وهل من الإنصاف الوقوف عند هجوم جماعة «أيلول الأسود» على القرية الأولمبية، دون التساؤل عمن جعل «أيلول» «أسود».. بل وجعل السنين والعقود – بالنسبة إلى أمتنا – حالكة السواد..؟!

– ومن الصانع الحقيقى للنزاعات الطائفية، المحركة لصراعات الميليشيات؟

– ومن «مختطف الأوطان» الذى يدفع ضحاياه إلى الصراخ «بخطف الطائرات»؟

– ومن الذى دفع صدام حسين لغزو إيران؟.. ثم استدرجه إلى «مصيدة الكويت»؟..

لم يفتح الله على نيكسون بتفنيد الصورة الزائفة، التى صنعها لنا الغرب، والتى جعلت صورة كل المسلمين أسوأ الصور فى ذهن وضمير الإنسان الغربى.. والتى أتاحت وتتيح لساسة الغرب أن تزداد جماهيريتهم كلما أهانوا الإسلام وأذلوا المسلمين..

* * *

* ومرة أخرى.. وعند هذا الحد من هذا الحديث.. قد يتساءل البعض:

– وهل كل ساسة الغرب يريدون شن الحرب على الإسلام والمسلمين؟.. وأليس فيهم معتدل.. أو رشيد؟..

وهنا، أيضًا، نعود فنتذكر برفضنا للإطلاق والتعميم في الأحكام.. لكننا ننبه على أن التيار الأغلب والأعم في الفكر وفي السياسة الغربية إنما يجمعه جامع السعي لفرض النموذج الحضاري الغربي – العلماني – على الحضارة والتحديث في عالم الإسلام.. وأن الخلاف بين الغربيين لا يعدو الاختلاف حول أسلوب تحقيق هذه الهيمنة والتبعية والاحتواء.. وحتى «ريتشارد نيكسون» – الذي لا يرضى عن هذه الصورة للمسلمين ودينهم في الوعي الأمريكي – والذي يقول: «إن الإسلام ليس مجرد دين، بل هو أساس لحضارة كبرى.. وبينما كانت أوروبا ترتع في غياهب العصور الوسطى كانت الحضارة الإسلامية في أوج ازدهارها.

ولقد أسهم المسلمون كثيرًا في تقدم العلم والطب والفلسفة..»[١٧] والذي يتحدث عن حاضر العالم الإسلامي وتطلعاته فيقول: «إن العالم الإسلامي هو حضارة مهمة تبحث عن شخصيتها التاريخية. لقد تمكن هذا العالم من تحرير نفسه من الاستعمار في الخمسينيات والستينيات، وبعد ذلك اندفع، وهو مغمض العينين – في اتجاه عدم الانحياز، واتحاد العرب – وسياسة رد الفعل.

وسوف يعاود البحث في التسعينيات، وما بعدها، عن مكانه اللائق به بين دول العالم، وعلى الولايات المتحدة أن تساعده في ذلك بطريقة بناءة.. فترسم سياسة طويلة المدى تؤدي إلى توجيه العالم الإسلامي الوجهة الصحيحة التي تتفق مع تاريخه وحضارته السابقة»[١٨].

حتى «نيكسون» – الذي يتخذ هذا الموقف «المعتدل».. والذي يدعو إلى سياسة أمريكية «تؤدي إلى توجيه العالم الإسلامي الوجهة الصحيحة التي تتفق مع تاريخه وحضارته السابقة..»: لأن هذا العالم «يبحث عن مكانه اللائق به بين دول العالم».. نراه – أي «نيكسون» – لا يتصور لعالم الإسلام مكانة إلا مكانة «تركيا.. العلمانية التي تسعى إلى ربط المسلمين بالعالم المتحضر – (الغرب) – من الناحية السياسية والاقتصادية»[١٩].. فكأنما الحد الأدنى أو الأقصى «للاعتدال الغربي» هو العلمانية والإلحاق.. وكأنما التمايز والاختلاف هما فقط في سبل وآليات العلمنة والإلحاق.

(١٧) المصدر السابق. ص١٣٦، ١٣٨.
(١٨) المصدر السابق. ص ١٣٨، ١٣٩.
(١٩) المصدر السابق. ص١٤٠.

إن «نيكسون» يصنف تيارات الفكر والسياسة ونظم الحكم فى العالم الإسلامى إلى قوى:

أ - **التقدم**، التى تأخذ بالعلمانية، والانحياز للغرب، ونموذجه الحضارى. ومثالها - بتعبيره : «نموذج تركيا فى انحيازها نحو الغرب والتحضر، وسعيها إلى ربط المسلمين بالعالم المتحضر -(الغرب) - من الناحية السياسية والاقتصادية».

ب - **والرجعية**: «الديكتاتورية، صاحبة الأيديولوجية القومية المتعصبة».. ونموذجها - عنده - عراق البعث وصدام حسين.

جـ - **والأصولية الإسلامية**: التى يراها - بذكائه - حركة ثورية - وليست محافظة - ولذلك فهو يعاديها عداءً شديداً.. كما يراها حركة «مستقبلية» «تنظر إلى الماضى لتتخذ منه هداية للمستقبل».. وعداؤه لها نابع من: رفضها للغرب وحقدها الشديد عليه.. ومن سعيها لبعث الحضارة الإسلامية.. وتطبيق الشريعة الإسلامية.. والمناداة بأن الإسلام دين ودولة.. وبعبارته، فإن الأصوليين الإسلاميين هم «الذين يحركهم حقدهم الشديد ضد الغرب، وهم مصممون على استرجاع الحضارة الإسلامية السابقة عن طريق بعث الماضى. ويهدفون إلى تطبيق الشريعة الإسلامية. وينادون بأن الإسلام دين ودولة، وعلى الرغم من أنهم ينظرون إلى الماضى، فإنهم يتخذون منه هداية للمستقبل. فهم ليسوا محافظين، ولكنهم ثوار»![1]

يصنف «نيكسون» تيارات الفكر والسياسة ونظم الحكم فى عالم الإسلام إلى هذه التيارات الثلاثة.. ثم يدعو إلى تأييد العلمانيين - الذين يسميهم التقدميين - الذين «يسعون إلى ربط المسلمين بالعالم المتحضر - (أى الغرب) - من الناحية السياسية والاقتصادية».. تأييدهم ومساعدتهم فهم - كما يقول - «محتاجون إلى أن يحملوا أنصارهم بديلاً لأيديولوجية الأصوليين المتطرفين، وانغلاق الرجعيين..».. أى أيديولوجية بديلة عن بعث الحضارة الإسلامية.. واتخاذها هداية للمستقبل .. وتطبيق الشريعة الإسلامية، وتطبيق الإسلام باعتباره ديناً ودولة - فهذه - فى نظر «نيكسون» - أيديولوجية الأصوليين المتطرفين وبديلاً، كذلك، للأيديولوجية القومية - فتلك - بنظره - أيديولوجية الديكتاتوريات الرجعية.. و«نيكسون» يرى أن معاونة أمريكا وأوروبا - الغرب - للعلمانيين - ضد الإسلاميين والقوميين - «فيه مصلحتهم ومصلحتنا».

ويعد أن يتساءل: أى هذه النماذج سيختار «العالم الإسلامى، المتقلب، وغير المستقر»؟.. يقول: «إن الإجابة عن هذه الأسئلة ستكون لها ردود فعل خطيرة فى العالم، وسوف تلعب السياستان الأمريكية والغربية مع المسلمين دورًا رئيسا فى تحديد الخيار الذى تختاره الشعوب المسلمة..»[20]

وهو بذلك يذكرنا «بإنذار» «جيانى ديميكليس».. فعلى أمريكا والغرب أن يلعبا الدور الرئيسى فى «تحديد الخيار الذى تختاره الشعوب المسلمة» – أى هكذا والله!.. هم الذين يحددون لنا «الخيار»!.. ومع ذلك ينسبون إلينا هذا «الاختيار»!.. حتى لو حدث أن «اخترنا» غيره..

– ففى نظر «جيانى ديميكليس»: «سيصبح العالم مكانًا فى منتهى الخطورة».. وستوجه قوى حلف الأطلنطى إلى «العالم الإسلامى»!!..

– وفى نظر «ريتشارد نيكسون»: «ستكون لهذا الاختيار ردود فعل خطيرة فى العالم..»..

هذا هو موقف الغرب – الفكرى.. والسياسى.. بل والعسكرى – من الإسلام وأمته وحضارته وعالمه.. وهو يتمحور حول: الاستقلال – بكل أبعاده وميادينه – بواسطة الإسلام.. أم التبعية – بكل أبعادها وميادينها – بواسطة العلمانية الغربية.

وعلى الذين لا تزال لديهم شبهة تعجب أو استغراب من أن تكون هذه هى حقيقة الموقف الغربى – فى مجمله.. وتياراته الرئيسة – من الإسلام والنهضة الإسلامية، أن يتأملوا – مرة ومرات – كلمات مجلة «شئون دولية» عن «الفكر الغربى المعاصر، الذى يميل إلى جعل الحضارة المسيحية اليهودية/ الغربية هى الحضارة المهيمنة، وجعل أفكارها مطلقة، وليست مجرد ثقافة بين ثقافات عديدة يعج بها العالم».

وأن يتأملوا، كذلك كلمات الرئيس الأمريكى الأسبق «ريتشارد نيكسون» التى تقول: «إن أكثر ما يهمنا فى الشرق الأوسط هو النفط وإسرائيل.. وإن التزامنا نحو إسرائيل عميق جدًا، فنحن لسنا مجرد حلفاء، ولكننا مرتبطون ببعضنا بأكثر مما يعنيه الورق، نحن مرتبطون معهم ارتباطًا أخلاقيًا.. ولن يستطيع أى رئيس أمريكى أو كونجرس أن يسمح بتدمير إسرائيل[21]»..

---

(٢٠) المصدر السابق، ص ٢٨، ١٤٠، ١٤١.

(٢١) المصدر السابق، ص١٥٢، ١٥٣.

فالمشكلة هى مشكلة الغرب معنا.. والعداء هو عداوة لنا.. لأنه يرى أن حضارته الحضارة «الإنسانية.. الوحيدة» فيسلك كل السبل لفرض نموذجها على العالم، «لا كرسالة حضارية» مجردة، وإنما كسبيل وآلية من سبل وآليات الإلحاق السياسى والاقتصادى والعسكرى.. إنه يريد فى الحضارة - كما فى السياسة والاقتصاد والأمن - تابعين - بل وعملاء - لا أندادًا وشركاء.. أما النظرة الإسلامية، فإنها تريد العالم «منتدى حضارات».. تتفاعل، دونما تبعية وإلحاق.. ودونما عداوة وانغلاق.. وذلك لأن ديننا يعلمنا أن ماعدا الذات الإلهية الواحدة قائم على التعددية والتوازن والارتفاق..

- ففى الشرائع تعددية ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾[٢٢].

- وفى الألسنة والألوان - أى فى القوميات والأجناس - تعددية ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ﴾[٢٣].

- وفى الشعوب والقبائل - حتى داخل الدين الواحد والحضارة الواحدة - تعددية ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[٢٤]. فالأصل، فى النظرة الإسلامية، هو «التعددية».. والاعتراف «بالآخرين».. وما يريده المسلمون هو قبولهم كأصحاب هوية حضارية متميزة.. لا يريدون أن يكونوا «بديلاً للآخرين» - فبديلهم الإسلامى هو لنهضتهم الإسلامية - ولا يريدون أيضًا لنموذج الآخرين الحضارى أن يكون بديلاً لنموذجهم الإسلامى.

تلك هى القضية.. وهذا هو موقف الغرب: الفكرى.. والسياسى من الإسلام وأمته وحضارته وعالمه..

والآن.. ماذا عن موقف «الغرب - الدين» - النصرانية الغربية - من الإسلام وأمة الإسلام؟

* * *

---

(٢٢) المائدة: ٤٨.

(٢٣) الروم: ٢٢.

(٢٤) الحجرات: ١٣.

الفصل الأول

مؤتمر كولورادو
التخطيط.. والتنظيم..
والأهداف المعلنة

(يجتمع المؤتمرون فى كثير من المؤتمرات، فيتبادلون الرأى، ويعلنون بعض القرارات، ثم ينفضون، فتصبح قراراتهم خبراً على ورق..

ولكن بعض المؤتمرات تغير مجرى التاريخ.

ولا ريب أن هذا المؤتمر قد أصبح واحداً من هذه المؤتمرات القادرة على تغيير مجرى التاريخ.

فهذه هى المرة الأولى، خلال جيلين، يعقد فيها مؤتمر يضم هذا العدد من قيادة النصارى، ليناقشوا عملية تنصير المسلمين)

و. ستانلى مونيهام

رئيس مؤتمر كولورادو - بأمريكا

لتنصير المسلمين

الفصل الأول

مؤتمر كولورادو

التخطيط .. والتنظيم .. والأهداف المعلنة

البروتوكول:

وجمعه: بروتوكولات، هو: «ضرب من الاتفاقات الدولية، وقد يقتصر مدلوله على إثبات ما حدث فى مؤتمر دولى، وقد يكون اتفاقا دوليا بالمعنى الدقيق، ويغلب أن يكون وثيقة مكملة لمعاهدة تثبت موافقة إرادة أطرافها على مسائل تابعة للمعاهدة»..

هذا هو التعريف المعجمى للبروتوكولات[1].

لكن.. ومنذ أن عرفت حياتنا الفكرية كتاب (بروتوكولات حكماء صهيون[2] – PROTOTO COLS OF THE LEARNED ELDERS OF ZION) فإن البروتوكولات – فى مجال الفكر الدينى – وخاصة فى العلاقات التنافسية بين أمم الديانات، قد غدت تنصرف، بالدرجة الأولى، إلى: الاتفاقات والمخططات غير الأخلاقية، فى ميادين تستوجب، بطبيعتها، أرفع مستويات الأخلاق!

وإذا كان البعض يشكك فى سند ورواية ونسبة «نصوص» هذه البروتوكولات والاتفاقات والمخططات إلى رءوس صهاينة اليهود. فلا أعتقد أن التشكيك وارد فى نسبة «مضامينها».. فالشواهد العملية والتطبيقات الواقعية، عبر التاريخ – القديم منه والوسيط والحديث والمعاصر – تقطع بممارسات صهاينة اليهود لإفساد كل مناحى العمران لأهل الملل والديانات الأخرى.. إن فى الخلق أو السياسة أو الاقتصاد أو الاجتماع أو التربية أو الآداب أو الفنون.. إلخ.. إلخ..

(١) انظر (المعجم الكبير) وضع مجمع اللغة العربية – القاهرة – طبعة سنة ١٤٠١ هـ – سنة ١٩٨١م

(٢) انظر الطبعة العربية لهذا الكتاب.. دراسة وترجمة عجاج نويهض.

لقد كانوا، ولا يزالون يستحلون ذلك في علاقاتهم ومعاملاتهم وتدبيراتهم مع غير اليهود.. وهذا هو «مضمون» البروتوكولات.. فحتى لو سلمنا بالشكوك الواردة في «النص» و«المتن» و«الرواية».، فإن الواقع التاريخي والمعاصر – وهو واقع حي – شاهد صدق على صحة «مضمون» هذه البروتوكولات..

بل إننا نستطيع أن نستشهد على هذه الحقيقة بالقرآن الكريم، الذي قطع بأن هذا السلوك هو بعض من خلق نفر من اليهود، الذين يستحلون الحرام، ويسلكون السبل اللاأخلاقية في التعامل مع غير اليهود.

وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[٣].

هذا عن بروتوكولات حكماء صهيون..

أما المداولات والاتفاقات والمخططات الخاصة بجبهة التنصير في الحرب الغربية المعلنة على الإسلام وأمته وحضارته وعالمه – وهي التي نعقد لكشفها هذا الكتاب – فإنها بروتوكولات ثابتة «المتن».. و«الرواية».. و«المضمون».. فنحن أمام مؤتمر عقده المنصرون بمدينة «كلن إير»، في ولاية «كولورادو» بأمريكا الشمالية – الولايات المتحدة الأمريكية – في ١٥ من مايو سنة ١٩٧٨م.. وخططوا وقرروا فيه شن حرب تنصيرية، لتنصير كل المسلمين، في كل أرجاء الدنيا، واقتلاع الإسلام من جذوره، وطي صفحته من هذا الوجود.

وأصحاب هذه البروتوكولات هم الذين نشروا أغلب أبحاث ومداولات هذا المؤتمر في كتاب (The Gospel and Isam)[٤] ولقد ترجم هذا الكتاب إلى العربية، بعنوان (التنصير: خطة لغزو العالم الإسلامي)، وبلغت صفحات ترجمته قرابة الألف صفحة..

وإذا كان من حق كل متدين بدين من الأديان أن يعرض دينه على الآخرين، ويدعوهم إلى التدين به.. وأن يزين لهم بضاعته.. بل وينتقد الديانات الأخرى فإن من حق كل متدين بدين من الأديان أن يدافع عن ديانته، وأن يحصن عقائده

(٣) آل عمران: ٧٥

(٤) نشرت طبعته الإنجليزية دار MARC سنة ١٩٧٩م – في كاليفورنيا – بالولايات المتحدة الأمريكية.. انظر صورة صفحة الغلاف للطبعة الإنجليزية في نهاية هذا الكتاب.

ضد هجمات الآخرين، كاشفًا الثغرات ونقاط الضعف في عقائد المهاجمين.. وتلك واحدة من مهام هذه الدراسة التي نقدمها، كشفًا لزيف بروتوكولات ومقاصد ووسائل قساوسة التنصير..

لكن الأمر الذي ستركز هذه الدراسة على كشفه وتعريته.. هو السبل اللاأخلاقية التي اعتمدها هؤلاء المنصرون، في ميدان هو بطبيعته مستلزم لأرقى وأدق معايير الأخلاق..

إن البديهة والمنطق، فضلاً عن وحي الله ورسالات الرسل، جميعها تقتضي أن يكون التبشير بالدين، والدعوة إلى التدين، منطلقة وقاصدة الأخذ بيد الإنسان إلى طريق النجاة والسعادة في الدار الآخرة، بما تستلزمه هذه النجاة وتلك السعادة من أخلاقيات دينية تحكم سعي الإنسان في حياته الدنيا أيضًا. فالدعوة إلى الدين، والتبشير بعقائده وشرائعه، لابد من أن تنبع من حب الخير لمن ندعوه، والحرص على أن يشاركنا سعادة النجاة الدينية، التي نعتقد أننا قد امتلكناها بتديننا بديننا.. ومن ثم فإن سبلنا ووسائلنا وآليات دعوتنا هذه لابد من أن تحكمها المعايير الأخلاقية للدين والتدين.. أما إذا نحن سلكنا سبيل الميكيافيلية - الغاية تبرر الوسيلة - فسلكنا السبل اللاأخلاقية في الدعوة إلى الدين - الذي هو في جوهره مكارم أخلاق - فإن مثل الذين يسلكون هذا السبيل سيكون كمثل «المومس» التي تزني لتتصدق.. ويا ليتها لم تزن ولم تتصدق..

وللكشف عن هذه النقيصة في مخططات وبروتوكولات قساوسة التنصير - كما وردت في أبحاثهم ومداولاتهم ومقرراتهم - التي أعلنوها - ناهيك عن التي اعترفوا بأنهم حجبوها فقالوا: «.. لكننا لن ننشر هذه التقارير كاملة؛ نظرًا لاحتوائها على معلومات حساسة للغاية..»[٥] -.. للكشف عن لاأخلاقية هذه المخططات والبروتوكولات والممارسات تأتي فصول هذا الكتاب..

والأمر الذي لا شك فيه هو ارتباط الغايتين.. فتحصين الذات الإسلامية باكتشاف صدقها ومنطقيتها وأخلاقيتها إنما يتجلى أكثر ما يتجلى عندما تعرض مقارنة بكذب وتهافت وتناقض ولاأخلاقية أصحاب هذه المخططات والبروتوكولات من قساوسة التنصير..

* * *

(٥) (التنصير: خطة لغزو العالم الإسلامي) بحث: حان الوقت لمنطلقات جديدة «لدون ماكري» - ص١٧

لقد حقق الإسلام أعظم انتصاراته، عندما دخل النصارى الشرقيون فيه أفواجاً – بشهادة المنصفين من علماء الغرب – بسبب الإفلاس الذاتى للعقائد المسيحية، بعد أن شوهتها الثقافة الهلينية، فأخرجتها عن بساطة التوحيد، وجعلتها عاجزة عن تلبية الاحتياجات الإيمانية والروحية للإنسان.. وكما يقول «كيتانى» Caetani «فإن انتشار الإسلام بين نصارى الكنائس الشرقية إنما كان نتيجة شعور باستياء من السفسطة المذهبية التى جلبتها الروح الهلينية إلى اللاهوت المسيحى، أما الشرق الذى عرف بحبه للأفكار الواضحة البسيطة، فقد كانت الثقافة الهلينية وبالاً عليه من الوجهة الدينية؛ لأنها أحالت تعاليم المسيح البسيطة السامية إلى عقيدة محفوفة بمذاهب عويصة، مليئة بالشكوك والشبهات، فأدى ذلك إلى خلق شعور من اليأس، بل زعزع أصول العقيدة الدينية ذاتها. فلما أهلت آخر الأمر أنباء الوحى الجديد فجأة من الصحراء، لم تعد تلك المسيحية الشرقية التى اختلطت بالغش والزيف، وتمزقت بفعل الانقسامات الداخلية، وتزعزعت قواعدها الأساسية، واستولى على رجالها اليأس والقنوط من مثل هذا الريب، لم تعد المسيحية بعد ذلك قادرة على مقاومة إغراء هذا الدين الجديد الذى بدد بضربة من ضرباته كل الشكوك التافهة، وقدم مزايا جليلة إلى جانب مبادئه الواضحة البسيطة التى لا تقبل الجدل، وحينئذ ترك الشرق المسيح وارتمى في أحضان نبى العرب..».

لقد أقبل الناس على الإسلام – الذى رأوه – كما يقول «مونتيه» : «عقلانى الجوهر، بأوسع معانى هذه الكلمة..» أقبلوا عليه «دون أية محاولة للإرغام والاضطهاد..» – كما يقول «أرنولد» فى كتابه (الدعوة إلى الإسلام)[٦].

فالمد الدينى الإسلامى، التاريخى، كانت له أسبابه المنطقية والواقعية.. إفلاس للمسيحية التى أخرجتها الثقافة الهلينية عن حقيقتها الإلهية، وعقدتها حتى أعجزتها عن تلبية الاحتياجات الإيمانية والروحية للإنسان.. فى ذات الوقت الذى شهد حيوية الإسلام وبساطته وعقلانيته.. فكان أن دخل نصارى الشرق فى الإسلام أفواجاً، دونما اضطهاد أو إكراه.

(٦) (الدعوة إلى الإسلام) ص٨٩، ٩٠، ٤٥٥، ٩٨، ٩٩. ترجمة د. حسن إبراهيم حسن، د. عبدالمجيد عابدين، إسماعيل النحراوى. طبعة القاهرة سنة ١٩٧٠م.

والذين يتتبعون تاريخ التنصير وجهود المنصرين، وخاصة فى المحيط الإسلامى، يشعرون بالازدراء لهؤلاء الذين حلموا بالمستحيل، عندما توهموا إمكانية إخراج المسلمين من الإسلام إلى النصرانية.. فمع قدم محاولات التنصير ونشاط المنصرين إلا أن استعصاء الإسلام والمسلمين على هذه المحاولات قد ظل سبباً فى إحساس المسلمين بانعدام جدية، ومن ثم خطر، هذه المحاولات.

لكن الغزوة الاستعمارية الغربية الحديثة لعالم الإسلام، وإن لم تصحبها تغيرات فى الإيمان النصرانى ونهضة فى التدين بالنصرانية، وصحوة نصرانية بين النصارى، قد صحبها مد فى نشاط التنصير فى عالم الإسلام.

وهذا هو اللامنطق واللا أخلاق فى المد التنصيرى الذى جاءنا من الغرب، منذ النصف الثانى من القرن التاسع عشر الميلادى.. والذى تتصاعد موجاته وتتزايد مخاطره منذ منتصف هذا القرن العشرين..

لقد جاء التنصير والمنصرون فى ركاب الغزاة.. وليس تعبيراً عن صحوة إيمانية نصرانية فى المجتمعات الغربية.. بل لقد كان الأمر على العكس من ذلك تماماً.. فمع تصاعد إفلاس النصرانية وكنائسها فى الغرب، بعد أن عزلتها العلمانية عن كل معارف وتطبيقات العمران الحضارى، بل وحتى عن معايير الأخلاق الإنسانية، يتزايد مد النشاط التنصيرى، وبين المسلمين على وجه التحديد..

بل إن اللامنطق واللاأخلاق فى هذه المفارقة يتزايدان عندما نعلم أن تصاعد النشاط التنصيرى قد حدث ويحدث لإجهاض اليقظة الإيمانية والصحوة الدينية بين المسلمين.. فبدلاً من أن تركز الكنائس الغربية جهودها لإنقاذ الدين والتدين فى بلادها، وتخليص إنسانها من المادية والشك واللاأدرية والإلحاد والانحلال الذى يفتك بدنياه وبحضارته، فضلاً عن بوار آخرته.. وبدلاً من تركيزها النشاط فى بؤر المادية والوثنية.. نراها تصعد من نشاطها لتنصير المسلمين، الذين يشهدون يقظة إسلامية تزيد من التزامهم بحدود الدين وأخلاقيات الإيمان.

ونحن لا نميل إلى اتهام هذه الكنائس الغربية بـ «العبثية» فى موقفها هذا الذى يمثل مفارقة من المفارقات الغريبة.. وإنما نرى فى حمى التنصير التى تملكتها، وخاصة فى العقود الأخيرة - والتى جسدها مؤتمر كولورادو - جزءاً من ذلك التصاعد فى هيمنة الحضارة الغربية العلمانية، على حضارات الأمم الأخرى، وعلى الحضارة الإسلامية بالذات.. فمفهوم ومنطقى، من وجهة نظر

الهيمنة الغربية، أن تتصاعد الضغوط الغربية لتحول بين اليقظة الإسلامية وبين النهضة الحضارية التي تسد ثغرات التدخل الغربي والاختراق الأجنبي.. ومفهوم كذلك، ومنطقي أن تحرك قوى ودوائر ومؤسسات هذه الهيمنة الغربية، كنائس الغرب ومؤسسات التنصير فيه لتعلن هي الأخرى حربها الدينية، التي تصاعد بها مؤتمر «كولورادو» من «التنصير في صفوف المسلمين» إلى «تنصير كل المسلمين، وطي صفحة الإسلام، واقتلاعه من الجذور».

فما نحن بصدده.. وبصدد كشف مخططه، هو قطاع.. وثغرة من ثغرات الحرب التي أعلنها الغرب، كحضارة، على الإسلام وأمته وحضارته وعالمه.. دونما ذرة من أخلاقيات الدين، أي دين، ودونما منطق لهذا المد التنصيري الغربي المصاحب لإفلاس النصرانية، إلى الحد المزري، في سائر المجتمعات الغربية.

إنني - بسبب إسلامي - أسعد عندما أرى النصارى في بلادي متدينين حقًا بشرائعهم وأخلاقيات دينهم.. لأنني، بتدينهم، سأتعامل مع مواطنين صالحين.. أما أن يستفزني تدينهم، فأسعى إلى إفساده، مع تركي لإصلاح التدين بين أهل ديني، وإهمالي لنشر ديني بين الماديين والملحدين والوثنيين واللاأدرية.. فهذا هو الموقف الخالي من «منطق الدين والتدين».. وهو حال الكنائس الغربية التي تصعد من نشاط التنصير بين المسلمين.. لا خدمة للدين - مطلق الدين - والتدين - مطلق التدين - وإنما خدمة لهيمنة الحضارة الغربية العلمانية، التي تصعد من معدلات هيمنتها على عالم الإسلام، مخافة أن تحرره من هيمنتها الصحوة الإسلامية المعاصرة.

إن تصاعد التدخل الغربي في شئوننا - وخاصة في العصر الحديث - قد تزامن دائمًا مع مشاريع النهضة والإحياء والتجديد، التي خشي الغرب أن تسد أمام تدخله الثغرات والفجوات.. صنع ذلك في مواجهة النجاحات التجديدية التي حققها مشروع محمد علي باشا الكبير (١١٨٤ - ١٢٦٥ هـ = ١٧٧٠ - ١٨٤٨م) لتجديد شباب الدولة العثمانية.. وصنع ذلك مع الثورة التي قادها كل من أحمد عرابي باشا (١٢٥٧ - ١٣٢٩ هـ = ١٨٤١ - ١٩١١م) بمصر (١٢٩٨هـ = ١٨٨١م) ومحمد أحمد المهدي (١٢٦٠ - ١٣٠٢هـ = ١٨٤٤ - ١٨٨٥م) في السودان.. عندما رأى فيها حركات يقظة ذاتية وتجديد داخلي توشك أن تسد الثغرات التي تتيح للغرب التدخل والاختراق والهيمنة على مقدرات البلاد.

واليوم، فإن سباق الغرب محموم مع الصحوة الإسلامية المعاصرة، يسعى بكل السبل والآليات - ومنها التنصير - كي يقطع عليها الطريق.

وإذا شئنا من بروتوكولات قساوسة التنصير التي تضمنتها أبحاث مؤتمر «كولورادو». شواهد على أن تصاعد حمى التنصير هذه لا علاقة لها باحتياجات روحية قدروها على الجانب الإسلامي، ولا بفقر في الإيمان رأوه عند المسلمين. وإنما هي مواجهة للنهضة الإيمانية الإسلامية والصحوة الإسلامية المعاصرة. فإن في «الخطاب الرئيس» للمؤتمر الذي ألقاه «و. ستانلي مونيهام».. وفي البحث الذي ألقاه «محرر» كتاب أبحاث المؤتمر، و«الكادر» الرئيس من «كوادره» «دون ماكري» بعنوان «حان الوقت المناسب لمنطلقات جديدة».. في هذين البحثين الشواهد الكثيرة على صدق هذا التحليل الذي نقدمه لدوافع تصاعد موجات التنصير للمسلمين.

يحدد «و. ستانلي مونيهام» - في الخطاب الرئيس للمؤتمر - مكانة هذا المؤتمر في سلسلة مؤتمرات التنصير الغربي للمسلمين.. ويرى تميزه، كمؤتمر «تاريخي».. بل لتغيير مجرى التاريخ.. فيقول

«إنني أشعر بأن هذا المؤتمر سيكون تاريخياً، فهو واحد من سلسلة لقاءات يجرى عقدها للتشاور في أماكن متعددة من أرجاء العالم، كما أنها المرة الأولى خلال جيلين يعقد فيها مؤتمر يضم هذا العدد من قادة النصارى جاءوا ليناقشوا معالجة حالة عملية تنصير المسلمين.

ففي بداية هذا القرن قام صموئيل زويمر[٧] عام ١٩٠٦م بتنظيم مؤتمر في القاهرة وصف بأنه «يمثل بداية عهد جديد لإرساليات التنصير بين المسلمين». وقد ضم ذلك المؤتمر ٦٠ ممثلاً لثلاثين كنيسة وإرسالية للتنصير، وكان هذا المؤتمر هو الذي هيأ الجو لعقد مؤتمر أدنبرة للإرساليات العالمية عام ١٩١٠م، ومؤتمر لكناو، في الهند، عام ١٩١١م، واللذين ركزا على حاجات العالم الإسلامي.

ولكن هذا تم قبل سبعين سنة «حضارية» حدثت خلالها تغيرات واسعة في شتى المجالات، ولهذا يدعو الوقت الحاضر إلى تفهم جديد وطرق جديدة.

(٧) Zwemer (١٨٦٧ - ١٩٥٢م) منصر أمريكي، يعد من أبرز قادة الحركة التنصيرية أواخر القرن التاسع عشر الميلادي وأوائل القرن العشرين.

أنا لا أؤمن بأن الوقت مناسب تماماً تاريخياً فحسب، بل إن من الضرورة الملحة أن نلتقى ونناقش ونصلى من أجل الواجب الملقى على عاتق الكنيسة النصرانية تجاه ٧٢٠ مليوناً[٨] من البشر يؤمنون بالإسلام، وهذه الضرورة الملحة هى الإحساس الذى أشعر به تجاه هذا المؤتمر، فلا يمكننا بعد اليوم أن نعتمد الأساليب القديمة فى مواجهة الإسلام الذى يتغير بسرعة وبصورة جوهرية، فالحصاد الذى حان قطافه لا يسمح لنا بتأخير جنى الثمار بانتظار الوقت الذى يلائمنا..»[٩].

ثم يمضى «ن. ستانلى مونيهام»، فيتحدث عن طرف من هذه المتغيرات «السريعة والجوهرية»، التى حدثت فى الإسلام وعالمه، والتى استدعت من قساوسة التنصير «تفهماً جديداً وطرقاً جديدة.. بدلاً من الأساليب القديمة.. فى مواجهة الإسلام..».. فيقول كلاماً مهماً عن المواجهة بين العرب والصهيونية.. وعن دور النفط ومنظمة «أوبك» فى موازين القوى بين الشرق الإسلامى وبين الغرب.. وعن الصحوة الإسلامية – التى يسمى تحركات جمهورها «شغباً يقوم به المسلمون المحافظون».. لإعادة حاكمية الشريعة الإسلامية والتى يسميها «الرجوع إلى الطرق التقليدية» – فى مصر وإيران[١٠] وباكستان.. وهو يسمى هذه التحركات: «الجانب الثورى للإسلام الذى نسينا وجوده» وهو يعزو هذه الصحوة إلى رفض المسلمين «لحركة العلمنة» وما صاحبها من تغيرات أحدثها النمط الاستهلاكى فى مجتمعات الثروة النفطية.. الأمر الذى جعل المسلمين «يندفعون إسلامياً للعودة إلى الجذور»..

يشير الخطاب الرئيس لمؤتمر «كولورادو» إلى عوامل ومظاهر الصحوة الإسلامية هذه باعتبارها ناقوس الخطر الذى استنفر منظمات التنصير لمعالجة هذه الصحوة قبل فوات الأوان.. فيقول:

(٨) هذا هو الرقم الذى يرد فى أبحاث المؤتمر لعدد المسلمين سنة ١٩٧٨م. وهذا العدد يصل الآن إلى مليار ونصف المليار.

(٩) (التنصير: خطة لغزو العالم الإسلامى) – الخطاب الرئيس – ص٢١، ٢٢.

(١٠) لم تكن الثورة الإيرانية قد حدثت يومئذ بعد.. وإنما كانت إرهاصاتها – المظاهرات – قد بدأت. وكانت تتم فى مصر يومئذ جهود كبيرة لتقنين الفقه الإسلامى، تمهيداً لاعتماده قانوناً للبلاد، بدلاً من القوانين الوضعية، ذات الفلسفة الغربية.. وهى الجهود التى أجهضت بعد عقد الصلح مع إسرائيل سنة ١٩٧٩م

«أولاً: إننى أشعر بدقة التوقيت الصحيح لهذا المؤتمر، وأشعر أنه عقد فى الوقت المناسب الذى اختاره الرب، إن العالم الإسلامى يشغل اليوم حيزًا مهمًا فى الأخبار أكثر من أى وقت مضى. فالمواجهة فى الشرق الأوسط لا تزال بعد عقدين من الزمن تقلق العالم كل لحظة، وكل إنسان فى العالم يتأثر فى الواقع تأثرًا مباشرًا متى اجتمعت الأمم الإسلامية المنتجة للنفط لتقرر كم ستتقاضى على برميل النفط الخام، ويحبس العالم كله أنفاسه قلقًا كلما اجتمعت منظمة «الأوبك». والمظاهرات وأعمال الشغب التى يقوم بها المسلمون المحافظون فى مصر وإيران وباكستان مطالبين بالرجوع إلى الطرق التقليدية توضح لعالم القرن العشرين الجانب الثورى للإسلام الذى نسينا وجوده.

وإليكم ما استنتجته إحدى المجلات الأمريكية فى أحد أعدادها الأخيرة: «تصارع الثروة النفطية وحركة العلمنة فى الشرق الأوسط طرق الحياة القديمة، مما أوجد اندفاعًا إسلاميًا للعودة إلى الجذور».. وتسترسل المجلة قائلة: «إن التعصب الدينى يتحرك باتجاه المواقع السياسية الأمامية فى أرجاء العالم الإسلامى، من كازبلانكا[11] وحتى مضيق خيبر»[12].

«إن مؤشرات هذا الوضع بالنسبة إلى حركة التنصير ملحة، وتؤلف تحديًا خطيرًا لا يمكن تجاهله»[13].

ونحن أمام هذه العوامل التى ذكرها صاحب الخطاب الرئيس فى مؤتمر «كولورادو»، نتساءل: أين هى مبررات ودواعى وأسباب تصعيد حركات التنصير للمسلمين؟

إن الرجل يتحدث عن صحوة إسلامية، يواجه بها المسلمون الهيمنة الغربية - دعم الصهيونية على حساب العرب - تدنى أسعار المواد الخام مقابلة بأسعار المواد المصنعة - استلهام الإيمان الإسلامى فى السلوك الأخلاقى والشريعة الإسلامية فى القوانين، بدلاً من المادية والتحلل ومعصية الله -.. فهل فى ذلك ما يغضب «رجل الدين» - فى أى دين -؟.. أم أننا - كما أسلفنا - بإزاء حرب نصرانية على الإسلام وأمته، تدعيمًا لهيمنة الحضارة الغربية العلمانية على عالم الإسلام.. وهى حرب لا يراد بها وجه الله بأى حال من الأحوال.

(١١) هى «الدار البيضاء» بالمغرب على ساحل المحيط الأطلسى.

(١٢) بين الباكستان وأفغانستان، على الطريق من كابل إلى بيشاور.

(١٣) (التنصير: خطة لغزو العالم الإسلامى) - الخطاب الرئيس - ص٢١.

ثم يأتى «دون ماكزى» - الذى كان محور نشاط المؤتمر - ومن ألمع نجومه(١٤) - ليحدد، فى وضوح وحسم، أن الصحوة الإسلامية هى التى جعلت الغرب يستدعى نصرانيته - المنبوذة فى بلاده.. والمعزولة عن عمرانه - ليوظفها فى مواجهته مع هذه الصحوة، التى تهدد بتحرير عالم الإسلام - من كازبلانكا وحتى مضيق خيبر - تحريره من أسر الغرب واستغلاله.. فيقول - دون مواربة - بل ودون حياء -:

«لقد بلغت الصحوة الإسلامية، التى تجيش فى أعماق ٧٢٠ مليون مسلم، شأوًا لم تبلغه لعدة قرون مضت، فقد ظل النزاع العربى - الإسرائيلى محط أنظار السياسة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، والنفط الذى يمثل شريان الحياة الصناعية فى الغرب هو اليوم أساس الاقتصاد العالمى، ولا يلعب المسلمون دورًا أساسيًا فى هذه المشاكل فقط، ولكن اهتماماتهم تجسد القضايا الرئيسة فى العالم كله، والأمثلة على ذلك كثيرة:

تمرد جبهة تحرير المورو فى الفلبين، والحرب الأهلية الحديثة فى جنوب باكستان، والتى أدت إلى قيام دولة بنجلادش، والحرب القبرصية بين المسلمين الأتراك والنصارى اليونان، والحرب الأهلية التى لم تقف فى جنوب لبنان، والمشاكل التى لم تحل بين إثيوبيا والصومال، وحركات التخريب التى تثيرها ليبيا فى شتى أنحاء العالم، ومظاهرات الطلبة الإيرانيين فى الولايات المتحدة.

إضافة إلى كل هذا يأتى الصراع الذى استرعى اهتمام وسائل الإعلام العالمية بين المسلمين التقليديين والاتجاهات العلمانية، والذى كاد أن يفرض تطبيق الشريعة الإسلامية فى مصر، ويمزق إيران اليوم نزاع بين الملالى والجيش، كما ستقوم باكستان بتطبيق الدستور الإسلامى لأول مرة فى تاريخها ابتداء من آذار - (مارس) - عام ١٩٧٨م».

وعند هذا الحد من حديث «دون ماكزى».. يتساءل الإنسان دهشًا، أين فى هذا الذى تحدث عنه ما يغضب الله، فيستدعى غضب رجل الدين، من أى دين؟!.. شعوب تسعى لتحرير أوطانها أو ثرواتها، أو تعالج مشكلات عرقية وطائفية وحدودية صنعها بها ولها الاستعمار الغربى، أو تتململ من الهيمنة الغربية، وهى فى كل ذلك تبحث عن جذورها، لتستعيد هويتها الحضارية المتميزة، وتستدعى شريعة

(١٤) انظر تعريفًا بالمساهمين الرئيسيين فى هذا المؤتمر بـ «الملحق» المنشور بنهاية أبحاثه

الله لتحتكم إليها في شئون الدولة والمجتمع والأخلاق.. فماذا في هذا مما يغضب النصرانية وكنائسها؟..

إن العجب يزداد عندما ينحاز رجل الدين النصراني إلى العلمانية ضد الشريعة الإلهية عندما يكون الأمر أمر اختيار للمسلمين بين الطريقين.. فالعلمانية خصم تاريخي للنصرانية، ولكل دين سماوي.. والدفاع عنها كمنهج للنهضة الإسلامية هو موقف الحضارة الغربية، والهيمنة الاستعمارية من التطور الإسلامي.. فما يخشاه المنصرون من الصحوة الإسلامية هو ذات الذي يخشاه منها «ريتشارد نيكسون»: بعث الحضارة الإسلامية، وتحكيم الشريعة الإسلامية، واتخاذ الإسلام دينًا ودولة، والنظر إلى المستقبل انطلاقًا من الجذور الإسلامية. الأمر الذي يقطع بوحدة المواجهة الغربية ضد الإسلام وأمته وحضارته وعالمه، مع تميز الجبهات..

فمؤسسات الفكر والسياسة تريد كسر شوكة الإسلام بالعلمانية، لإحكام قبضة الغرب على عالم الإسلام. وكنائس الغرب ومنصروه يريدون اقتلاع الإسلام من الجذور، وطي صفحته من الوجود بتنصير كل المسلمين.. باعتبار ذلك قمة الانتصار الغربي في الحرب المعلنة على الإسلام والمسلمين..

ثم يمضي «دون ماكري» فيعلن كيف أن هذه الصحوة الإسلامية، التي - وفق عبارته - «قد بلغت شأوًا لم تبلغه لعدة قرون مضت»، هي «الفعل» الذي جعل النصرانية الغربية تقرر تصعيد المواجهة مع الإسلام، من مستوى «التنصير بين المسلمين» إلى مستوى «تنصير كل المسلمين».. فيقول

«في الوقت الذي تتطور فيه هذه الاتجاهات المذكورة، تصب في الحركة النصرانية تيارات جديدة..»[١٥]

وتؤكد هذا الارتباط - بين الصحوة الإسلامية وبين تصاعد مواجهة التنصير للإسلام وأمته - مقدمة الكتاب الذي ضم أعمال مؤتمر «كولورادو»، فتقول

«كانت عملية تنصير المسلمين من أعظم التحديات التي واجهت الكنيسة على مر العصور، وأصبح ذلك التحدي أكثر وضوحًا بسبب الأحداث السياسية التي تشد الأنظار نحو الأراضي الإسلامية»!![١٦].

---

(١٥) المصدر السابق - حان الوقت المناسب لمنطلقات جديدة - ص٨

(١٦) المصدر السابق - المقدمة - ص١.

فنحن لسنا بإزاء نشاط دينى يبتغى أصحابه إنقاذ الروح الإنسانى من الانحراف عن الدين.. وإنما بإزاء حرب على النهضة الدينية للإسلام والمسلمين، تتصاعد بها النصرانية الغربية إلى مستوى الإبادة الكاملة.

* * *

وتحكى أبحاث مؤتمر «كولورادو» خطوات الإعداد والتنظيم لعقده وإدارته..

* ففى سنة ١٩٦٦م عقد فى برلين «المؤتمر الإنجيلى الأول حول تنصير العالم»، وأعقب انعقاده عقد اجتماعات ومؤتمرات إقليمية ووطنية فى جميع أنحاء العالم..

* وفى سنة ١٩٧٤م عقد فى لوزان «المؤتمر العالمى الثانى حول تنصير العالم».. وانبثقت منه «مجموعة إعداد الاستراتيجية»[١٧].

* ثم قدم القس «دون ماكرى» - الذى سبق أن عمل منصرًا فى باكستان منذ سنة ١٩٥٠م.. ثم التحق بكلية فولر لإرسالية تنصير العالم، والداعى لإنشاء كنيسة تلائم التقاليد المحلية للبلاد الإسلامية - قدم اقتراح عقد مؤتمر «كولورادو» إلى لجنة التنصير فى لوزان.. فتبناه الدكتور «بيتر واكنر» - عضو كلية فولر لإرسالية تنصير العالم[١٨]..

وفى الحقيقة فإن التخطيط والإعداد والإدارة والاستثمار لهذا المؤتمر، لهى دروس وخبرات تستحق التأمل.. لدلالتها على خطر المخطط والمواجهة والتحدى.. ولضرورة وأهمية التعلم من هؤلاء الأعداء.

لقد عقد اجتماع استشارى فى مدينة «كراند رابدز» للتخطيط والإعداد للمؤتمر.. ورسموا ونفذوا خطة عبقرية لإنجاز مهامه.. فكانت أغلب الجهود والأعمال خارج المؤتمر، وسابقة على انعقاده، بحيث أصبح أسبوع اللقاء بمثابة موسم الحصاد للجهود التى تمت قبل انعقاده.

لقد قرروا «إشراك كفايات عالية، ذات دوافع قوية، تتمكن من إحداث تغيير أساسى فى عملية تنصير المسلمين».. و«تحديد القضايا الأساسية التى تدعو

(١٧) المصدر السابق - الوصول إلى الذين لم يتم الوصول إليهم - لـ «مجموعة العمل الاستراتيجية»، فى مؤتمر «ديلوبانك» ١٦ - ٢٠ من يناير سنة ١٩٧٨م - ثم ضم البحث إلى وثائق مؤتمر «كولورادو» - ص ٩٠٩.

(١٨) المصدر السابق - المقدمة - ص١.

الحاجة إلى طرحها ومناقشتها» فاتفقوا على أربعين موضوعًا «جسدت أساسًا لعناوين الأبحاث».. وأعدوا «خطة تضمن مشاركة أكبر عدد من العلماء قبل انعقاد المؤتمر، ليحضر المؤتمرون متهيئين تمامًا..».

وبعد تجنيد المؤلفين الذين كتبوا الأبحاث الأربعين.. أخذوا يرسلون الأبحاث أسبوعيًا إلى دائرة واسعة من ذوى التخصصات المختلفة ذات العلاقة بعملية تنصير المسلمين، وهم لاهوتيون من مختلف التقاليد الكنسية.. وعلماء الأجناس البشرية.. وأصحاب التجارب فى التنصير.. وإداريون.. ومنصرون عاملون، وأساتذة إرساليات تنصير.. ومتخصصون بالشئون الإسلامية.. واستشاريون قوميون من مختلف البلاد وخبراء فى وسائل الاتصال والإعلام.. إلخ.. إلخ.. وطلبت التعليقات والتعقيبات ممن أرسلت إليهم الأبحاث.. ثم أعطيت إلى المؤلفين، الذين أعادوا تحرير الأبحاث على ضوء رؤيتهم للتعليقات والتعقيبات.. – ولقد استغرقت هذه العملية – مع التنظيم المحكم – ستة أشهر، سبقت انعقاد المؤتمر.

ومن خلال الجدية ومستوى التعليقات والتعقيبات تحددت معايير الاختيار لمن سيدعون لحضور المؤتمر، مع مؤلفى الأبحاث، للاشتراك فى مداولات لجانه النوعية والمتخصصة، وفى مناقشاته العامة، وصياغة توصياته.

ولقد حرصوا على دعوة «عدد كبير من الرجال والنساء من أعضاء الكنائس المختلفة فى الشرق الأوسط وآسيا وإفريقيا، وكان هؤلاء أيضًا يمثلون قطاعات متباينة، ويحتلون مراكز مختلفة، بينهم كهنة لاهوتيون، ومتخصصون بالشئون الإسلامية، وأشخاص لديهم بعض النشاط فى مجال التنصير..».

وفى أسبوع انعقاد المؤتمر، اجتمع ١٥٠ شخصًا «يمثلون نوعية خاصة ومتميزة من الأشخاص».. ثم توزعوا خلال أيام المؤتمر على مجموعات متخصصة، وفق تخصصات المؤتمرين – لاهوتيين.. ومنصرين.. وعلماء أجناس بشرية.. وخبراء اتصال وإعلام.. وأساتذة تنصير.. ومختصين بالشئون الإسلامية.. ومديرى إرساليات.. ومع كل مجموعة متخصصة المستشارون القادمون من وراء البحار، إضافة إلى أبناء أمريكا الشمالية..

ولقد كلفت كل مجموعة أن تطرح على نفسها هذا السؤال: «**ما المساهمات المحددة التى يمكن، بل يجب علينا أن نقدمها لتعزيز عملية تنصير المسلمين؟**».

ومن خلال الجولة الأولى للنقاش تحددت أكثر من ثلاثين مهمة أساسية وثيقة الصلة بتنصير المسلمين.. وبدأ سيل الاقتراحات المقدمة لإنجاز هذه المهام.. ولما تزايدت الاقتراحات، كوّنوا «قوى عمل» مهمتها «اقتراح الخطوات الأولى التى تؤدى إلى ترجمة هذه الاقتراحات وتحويلها إلى خطط محددة».

ثم وصل المؤتمرون إلى مرحلة «تحديد الغايات ورسم الأهداف، ودارت النقاشات حول الأشياء الملموسة والواقعية، مثل الوسائل والطرق والموارد وجدول الأعمال» أى تحديد الغايات، ورسم الأهداف، وإقامة آليات التنفيذ.

وفى النهاية، عقدت جلسة عامة مطولة، استمع فيها جميع المشاركين إلى التقارير.. وقدمت فيها مقترحات وأفكار إضافية..

وهكذا حق لمنظمى هذا المؤتمر أن يقولوا – فى التقديم لأبحاثه –

«.. ولا ريب أن هذه هى المرة الأولى فى التاريخ التى يجتمع فيها هذا العدد الكبير، والذى يمثل مختلف الدوائر والهيئات وأنواع رجال الدين من أجل توحيد جهودهم وإمكاناتهم والاستفادة من بعضهم بعضا فى عملية تنصير المسلمين وتقويم تجارب الماضى وجهود الحاضر بصدق وأمانة.

وساعد وجود قطاعات مختلفة من المشاركين بينهم: منصرون ومديرو إرساليات تنصيرية ومتخصصون بعلم الأجناس البشرية والدراسات الإسلامية ومستشارون فى شئون العالم الثالث، على إجراء مناقشة متزنة وواقعية لاستراتيجيات وخطط جديدة»!

وحق لهم أن يصفوه بأنه «المؤتمر الاستراتيجى»[(١٩)] لتنصير كل المسلمين

وحق لنا أن نقول: إننا بإزاء حرب دينية، أعلنتها النصرانية الغربية، من أمريكا، لاقتلاع الإسلام من جذوره، وطى صفحته من الوجود.. وأن مخطط هذه الحرب متمثل فى أعمال مؤتمر «كولورادو».. التى تمثل بحق بروتوكولات قساوسة التنصير.

* * *

(١٩) المصدر السابق – حان الوقت المناسب لمنطلقات جديدة – لدون ماكرى – ص١٦، ١٧ وتقرير المؤتمر لأرثر. ف. كلاسر – ص ٤٥، ٦٥، والمقدمة ص٢١.

وإذا كان قساوسة التنصير، في مؤتمر «كولورادو»، قد أشاروا إلى أن صراعهم ضد الإسلام هو صراع تاريخي وقديم.. «وأن الإسلام، منذ ظهوره في القرن السابع، إنما يمثل تحديا لكنيسة يسوع المسيح» وتحدثوا عن «التقدم الذي أحرزه الإسلام في قرونه الأولى.. والمحاولات التي تمت لوقف المد الإسلامي بالقوة العسكرية.. وعدم فعالية الحملات التنصيرية نسبيا في استعادة مناطق إسلامية إلى المسيح، بينما استمر الإسلام في الانتشار على طول آسيا وإفريقيا، وينتشر اليوم في العالم الغربي..»[٢٠]، فإن التخطيط الجديد الذي اتفقوا عليه، والذي جاء عبر نقد التجارب التنصيرية السابقة، قد جعلهم يتحدثون - في ثقة - عن «أن المؤتمر قد انتهى بعد أن ملأ المؤتمرين بروح الأمل وشجعهم على السير قدمًا نحو هدفهم الكبير، وهو العمل على تنصير الـ ٧٢٠ مليون مسلم الذين تتوزعهم ٣٥٠٠ مجموعة إسلامية عرقية في العالم - وبث في المؤتمرين عزمًا جديدًا لتجميع طاقاتهم وتنسيق جهودهم للوصول إلى هذه الغاية»[٢١].

لقد خطط قساوسة التنصير لوراثة الإسلام وأمته وعالمه.. ورفعوا - بلسان «دون ماكري» صاحب الدور البارز في التخطيط وأيضا في التنفيذ - شعارا لهم مقطعًا من مزامير داود - (٨:٢) -: «سلني فأعطيك الأمم ميراثا لك[٢٢]»..

لقد جعلوا تدمير الإسلام رسالة حياتهم.. واعتبروه «التغيير لمجرى التاريخ».. فكتبوا في التصدير لأعمال هذا المؤتمر: «يجتمع المؤتمرون في كثير من المؤتمرات، فيتبادلون الرأي ويعلنون بعض القرارات ثم ينفضون، فتصبح مجهوداتهم حبرًا على ورق، ومداولاتهم مجرد صدى، ولكن بعض المؤتمرات تغير مجرى التاريخ، ولا ريب أن المؤتمر الذي انعقد في أمريكا الشمالية عام ١٩٧٨م قد أصبح واحدًا من هذه المؤتمرات القادرة على تغيير مجرى التاريخ..»[٢٣]

ولم ينس المؤتمرون، بالطبع، تغليف مقاصدهم وغاياتهم هذه بغلاف من نصرانيتهم، فرددوا التفسيرات الحرفية لرؤيا يوحنا، عن عودة المسيح ليحكم العالم من جديد ألف سنة، والشروط التي جعلتها هذه التفسيرات البروتستانتية

(٢٠) المصدر السابق - مقارنة بين وضع النصرانية والإسلام في الغرب - لـ «د. ماكس كيرشو» - ص٣٢٩.
(٢١) المصدر السابق - المقدمة - ص٢. وحان الوقت المناسب لمنطلقات جديدة لـ «دون ماكري» - ص١٨.
(٢٢) المصدر السابق - حان الوقت المناسب لمنطلقات جديدة - ص١٩
(٢٣) المصدر السابق - تصدير - لـ «و. ستانلي موتيهام» - ص٤

مقدمات لهذه العودة، ومنها تنصير العالم، بعد إبادة المستعصين على التنصير - وهى تفسيرات تلعب، فى الغرب، دورا كبيرا فى تأجيج نيران العداوة حتى فى الصفوف العلمانية ضد العرب والمسلمين..

فتحدث الخطاب الرئيس لأعمال المؤتمر عن «أن كل العلامات تشير إلى أن عودة المسيح قريبة جدا، وقد شعر حتى السياسيون والفلاسفة بأن معاناة هذا العصر تتصاعد باتجاه أهم حدث فى العصور، وعلى ضوء هذه الحقيقة لا يوجد لدينا أمر أكثر أهمية وأولوية من موضوع التنصير.. وخاصة فيما يتعلق بالهدف الذي نحن بصدده، ألا وهو تنصير المسلمين»[٣٤].

* * *

وإذا كانت أعمال هذا المؤتمر - التحضير.. والقرارات.. والتنفيذ - قد جاءت ثمرة لجهود مشتركة، أسهمت فيها كنائس مختلفة، وتخصصات متعددة، ومنظمات للتنصير يحتاج تعدادها إلى دراسة خاصة.. فإن الأمر الواضح والملموس هو أن الدور القائد فى هذا المخطط إنما كان للكنائس الإنجيلية الأمريكية ومنظمات التنصير التابعة لها والمنبثقة عنها والعاملة بتوجيه منها..

فالحقبة الحالية من النظام الدولى القائم بعد المتغيرات التى أطاحت بالشيوعية وأحزابها ونظمها، هى حقبة هيمنة أمريكا على العالم - ولو لحقبة لم تتحدد نهايتها حتى الآن - وفى هذه الحقبة اغتصبت أمريكا «الشرعية الدولية»، على النحو الذى كادت أن تذهب فيه معالم الفروق بين «مجلس الأمن» الدولى وبين «مجلس الأمن» القومى الأمريكى.. والحدود الفاصلة بين «الأمم المتحدة» وبين «الولايات المتحدة».. فغدا «راعى البقر» هو «السلطان - الأمريكى - للعالم».. الذى يقود المواجهة - بعد طى صفحة «إمبراطورية الشر الشيوعية» - مع الإسلام وأمته وحضارته وعالمه ومعه، فى هذه المواجهة - وعلى الثغرة الدينية - تقف الكنيسة الإنجيلية الأمريكية فى حربها المعلنة ضد الإسلام.. فكما تتزعم أمريكا - مستعينة بكل القوى الأخرى - المواجهة الغربية «لكسر شوكة الإسلام بالعلمانية» وإلحاق أمته وعالمه بالمركز الغربى..

(٣٤) المصدر السابق - الخطاب الرئيس - لـ «د. ستانلى موتيهام» - ص٢٢، ٢٣.

تتزعم الكنيسة الإنجيلية الأمريكية - مستعينة بكل قوى التنصير الأخرى العالمية.. والكنائس المحلية فى عالم الإسلام - هذه الحرب الدينية التى أعلنوها على الإسلام..

إنهم يعترفون، فى أعمال مؤتمر «كولورادو» بالدور القيادى لإرساليات التنصير فى أمريكا الشمالية فى التخطيط والتنفيذ لعملية تنصير كل المسلمين.. وحتى عندما يدعون إلى الاستعانة بالآخرين، فإنهم إنما يدعون إلى ذلك من باب «الضرورات» التى لا تمكن الإرساليات الأمريكية من الوصول إلى بعض البلاد، فيحتاج الأمر إلى استدعاء الآخرين، دون تخلى الأمريكان عن الهيمنة على «النظام العالمي للتنصير»..

فالواقع القائم - باعترافهم - يقول: «إن إرساليات أمريكا الشمالية تؤلف حاليًا الجزء الأكبر من الإرساليات التنصيرية البروتستانتية المخصصة للأقطار المسلمة. وهناك ميل طبيعى لتصور العمل النصرانى بين المسلمين فى هذا الربع الأخير من القرن وكأنه أساسًا مسئولية إرساليات أمريكا الشمالية..»

والمستقبل الذى يتطلعون فيه إلى إشراك الكنائس والإرساليات الأخرى - وكثير منها تابع لكنيستهم الأم أو متعاون مع إرسالياتهم - فإنهم يتحدثون عن هذا الاشتراك، وهذا التعاون، كضرورة من الضرورات.. التى لن تمنع قيادتهم لمجمل حرب التنصير.. كما يتحدثون عنه كاحتمال من احتمالات العقود القادمة.. فيقولون: «وحيث إن إرساليات أمريكا الشمالية مبعدة عن بعض أجزاء العالم الإسلامي، ومقيدة فى أجزاء أخرى، وبما أن التجمعات النصرانية المحلية موجودة داخل أجزاء العالم الإسلامى وفى أقطار العالم الثالث الأخرى المحيطة به، فإنه يجب علينا أن ندرك الاحتمال القوي وإمكانية أن يقوم ربنا المسيح، خلال العقود القادمة، باستخدام كنائس العالم الثالث ووكالاته التنصيرية لتحل محل - أو على الأقل - لتكمل سعى إرساليات أمريكا الشمالية. وإذا كان الأمر كذلك، فعلى مديرى إرساليات أمريكا الشمالية والقادة المنصرين الآخرين أن يكتشفوا ويوطدوا أساليب جديدة للتعاون والمشاركة مع كنائس العالم الثالث وعملها المنظم للوصول إلى المسلمين»[٢٥]!

(٢٥) المصدر السابق - روابط أمريكا الشمالية مع إرساليات العالم الثالث التنصيرية العاملة بين المسلمين - لـ «والدرون سكوت» - ص٧٨٩، ٧٩٠

بل إن بحثًا من أبحاث هذا المؤتمر ترد فيه إشارة توحى بأن الكنيسة المشيخية الإنجيلية فى أمريكا، إنما تعتبر قيادتها وهيمنتها على هذا «النظام العالمى للتنصير» – للمسلمين – إنما هو «حق إلهى» لهذه الكنيسة..!! فنقرأ فى هذا البحث:

إنه «منذ سنوات مضت تحدثت الكنيسة المشيخية العاشرة فى فلادلفيا حول العبارة التالية من الكتاب المقدس: «ها أنا فتحت لك بابًا» – (رؤيا يوحنا ٣:٨) – إن لدى الكنيسة فى أمريكا اليوم فرصة لدعوة المسلمين لم تتوافر سابقًا على الإطلاق»[٢٦].

فالباب الذى تحدثت «الرؤيا» عن فتحه «ليوحنا» رأته الكنيسة الأمريكية «باب» تنصيرها للمسلمين!

* * *

وإذا كنا قد سبق أن أشرنا – فى التمهيد لهذا الكتاب – إلى تحالف نصرانية الغرب مع اليهودية على جبهة فكر «الحضارة المسيحية اليهودية / الغربية» ضد الإسلام وأمته وحضارته وعالمه.. وتحالف مؤسسات الغرب السياسية مع إسرائيل، تحالفًا أكبر وأقوى من أن يكتب على الأوراق! – على حد تعبير «ريتشارد نيكسون» –.. فإن جبهة النصرانية الغربية لم تتخلف عن إنجاز هذا التحالف مع اليهودية ضد الإسلام.. فالتفسير البروتستانتى – الحرفى – لرؤيا يوحنا.. يشترط لتمام العودة المادية للمسيح:

(أ) تنصير العالم، وفى المقدمة منه كل المسلمين..

(ب) «عودة» اليهود إلى أرض فلسطين.

وفى إطار سعى النصرانية الغربية – وخاصة البروتستانتية – وكنيستها الإنجيلية فى أمريكا – إلى تحقيق ذلك كان الحلف الذى أثمر ما يمكن أن يسمى بدين جديد: «يهودى – مسيحى».. وفى أحد أبحاث مؤتمر «كولورادو» إشارات ذات معنى واضح على هذا الحلف.. تقول واحدة منها:

(٢٦) المصدر السابق – الحاجة إلى مجلة جديدة خاصة بالإرساليات التنصيرية الموجهة نحو المسلمين – لـ «س. جورج فراى» – ص ٨١٦.

«إنه خلال السنوات العشر الماضية أصبح آلاف من اليهود: يهوداً مسيحيين.. وتقوم إحدى مدارس اللاهوت الآن بتدريب حاخامات نصارى للعمل فى ٥٠٠ – ١٠٠٠ كنيس نصرانى، خطط لإنشائها خلال السنوات القليلة القادمة فى أمريكا..»[٢٧] فتنصير كل المسلمين، باقتلاع الإسلام من الجذور.. وعودة اليهود إلى الأرض الواقعة ما بين النيل والفرات – عبر فناء المسلمين والعرب فى معركة «هرمجدون» – وهو التفسير الحرفى – البروتستانتى – لرؤيا يوحنا قد صنع قواعد هذا التحالف «النصرانى – اليهودى» ضد الإسلام والمسلمين... و إذا كانت بشاعة هذا المخطط الذى تحدثت عنه بروتوكولات قساوسة التنصير، فى مؤتمر «كولورادو» قد فاقت الحدود.. فإن الأمر الذى يزيد من بشاعتها، ومن مخاطرها. أن أصحابها قد أعلنوا أن ما نشروه ليس كل الذى خططوه.. فهناك مخططات سرية لم يعلنوها؛ لأنها تفوق فى الخطورة والغرابة والشذوذ، هذا الذى أعلنوه، لقد أقام المؤتمرون مؤسسة جديدة، لتكون بمثابة العقل والمركز العصبى والقيادة الموحدة لكل أعمال الحرب التنصيرية التى أعلنوها على الإسلام.. وأطلقوا عليها اسم واحد من أبرز رموز التنصير فى العصر الحديث – «زويمر» (صموئيل) Zwemer (١٨٦٧ – ١٩٥٢) – (معهد زويمر) – وولوا مسئوليته واحداً من ألمع رجالات مؤتمر «كولورادو» – «دون ماكرى».. – الذى أعلن هذه الحقيقة – حقيقة الجانب السرى من هذه البروتوكولات – عندما قال: «لقد لخصت التقارير التى قدمتها قوى العمل فى تقرير المؤتمر، الذى يتضمنه هذا المجلد – (أى أن ما بأيدينا – القريب من ألف صفحة – هو «الملخص».. وليس كل «الأصل»).. ولكننا – والكلام (لدون ماكرى) – لن ننشر هذه التقارير كاملة نظراً لاحتوائها على معلومات حساسة للغاية. ولكن العديد من الأشخاص المسئولين يقومون بتنفيذ ما طرحته هذه التقارير. وسوف يسهل المعهد – (معهد زويمر) – تنفيذ العديد من النشاطات فى هذا المجال..»[٢٨] فإذا كان هذا هو القدر المعلن من خطط الحرب المعلنة على الإسلام، فما هو – يا ترى – ذلك الذى لم يعلنوه «لاحتوائه على معلومات حساسة للغاية».

وإذا كان هذا هو مخطط النصرانية الإنجيلية الأمريكية وحدها.. فما آفاق مخططات كل الكنائس النصرانية، ومؤسساتها التنصيرية فى قوميات الغرب ومذاهبه ودوله، التى تواجه الإسلام والمسلمين؟! ثم ما معالم وسمات ووسائل وآليات مخطط هذه البروتوكولات؟

---

(٢٧) المصدر السابق – تطوير وسائل جديدة لتساعد فى تنصير المسلمين – لـ «دونالد ر. ريكاردز» – ص٦٤٣

(٢٨) المصدر السابق – حان الوقت المناسب لمنطلقات جديدة – ص١٧، ١٨.

الفصل الثانى

نظرة نقدية
لواقع التنصير .. وتاريخه

(لا يمكننا بعد اليوم اعتماد الأساليب القديمة للتنصير فى مواجهة الإسلام الذى يتغير بسرعة، وبصورة جوهرية!

لقد كانت استراتيجية التنصير الأوروبية – الأمريكية مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالعقلية الاستعمارية.

وإن الغرض من عقد هذا المؤتمر هو الإيمان بعدم جدوى وفعالية الطريقة التقليدية لتنصير المسلمين..)

من أبحاث مؤتمر كولورادو
لتنصير المسلمين

الفصل الثانى

نظرة نقدية

لواقع التنصير .. وتاريخه

لقد انطلق قساوسة التنصير فى مؤتمر «كولورادو» من النظرة النقدية لتاريخ التنصير من حيث أساليبه وآلياته – مع الإصرار على أهدافه – بل وتصعيد طموحاتها – حتى لقد استخدموا عبارات «الندم» و«التوبة» عن الأساليب القديمة التى وقفت بهم، برغم الجهود والإمكانات التى بذلت عبر تاريخ التنصير الطويل، أمام حائط مسدود، فالإسلام مغلق فى وجه النصرانية، والمسلمون مستعصون على التنصير، اللهم إلا حالات هامشية لنماذج منحلة أو ضحايا لمشكلات توقعها فى حبائل المنصرين.. وحتى هؤلاء، فإن المنصرين يكتشفون هشاشة وسطحية علاقتهم بالنصرانية.. والنجاحات «الكمية» التى تحققت إنما تمت فى بيئات كان أهلها على هامش الإسلام الحقيقى.. لما يدخل الإسلام فى قلوبهم بعد..

لقد انطلقوا من النظرة النقدية للأساليب القديمة للتنصير.. بل لقد اعتبروا هذا النقد، وما يترتب عليه من تغيير جذرى فى الأساليب مع تصعيد فى الطموحات والمقاصد، هو الغرض من عقد هذا المؤتمر الذى أرادوه نقطة انطلاق «لتغيير مجرى التاريخ».. فقالوا، صراحة: «إن الغرض من عقد هذا المؤتمر هو الإيمان بعدم فعالية الطرق التقليدية[1]» للتنصير.. ولقد كان فى مقدمة الانتقادات التى وجهوها إلى أساليب التنصير التقليدية، والتى رأوها عيوبا ذاتية أدت إلى الإخفاق، وقدموا لها البدائل عبر صفحات أبحاث المؤتمر والحوارات التى دارت حولها

* أنهم كانوا يجابهون الإسلام، فعجزوا عن مغالبته.. وأن عليهم أن يخترقوه ليقوضوه من داخله، فالتنصير يجب أن يتم من خلال القرآن الكريم وليس بالتهجم عليه! ومن خلال الثقافة الإسلامية والعادات والتقاليد والأعراف الإسلامية، وليس من خلال تجاوزها، فضلاً عن احتقارها.

(١) المصدر السابق – الطرقية والتحول والتأصيل – لـ «تشارلى. ر. تيبر» – ص ٢٢٠

* وأنهم كانوا يقدمون النصرانية مقترنة بالثقافة الغربية.. الأمر الذى جعل المسلمين ينظرون إلى النصرانية كديانة أجنبية – ديانة الرجل الأبيض – الذى غالبًا ما كان المستعمر لبلادهم.. حتى إن من يتنصر من المسلمين كان مضطرًا إلى أن ينخلع من ثقافته الوطنية والقومية، فيصبح معزولاً ثقافيًا، عاجزًا عن التواصل، ومن ثم التأثير فى محيطه.. بل وينظر إليه باعتباره «خائنًا»، وأن عليهم فى المخطط الجديد أن يقروا بالتعددية الثقافية – وذهبوا يؤصلونها، ويصطنعون لها نسبًا حتى فى الإنجيل – وخاصة لدى «بولس» –.. وعليهم أن يضعوا «المضمون» النصرانى فى «أوعية» الثقافة الإسلامية، بل وفى أوعية «الدين الإسلامى».. فدعوا إلى اكتشاف المصطلحات القرآنية التى يمكن أن تمثل «جسورًا» يعبرون عليها بالمضمون النصرانى إلى عقول الضحايا من المسلمين.. من مثل «كلمة الله»، و«روح الله» و.. «رفع عيسى» إلى الله.. إلخ.. إلخ.. كما دعوا إلى صب «مضامين» الشعائر النصرانية فى «قوالب» الشعائر الإسلامية.. فتكون الصلاة النصرانية – لدى المتنصرين من المسلمين – ركوعًا وسجودًا، وليست جلوسًا على المقاعد – كما هى فى النصرانية –.. بل أن تكون فى المسجد الإسلامى، الذى اقترحوا أن يسمى «المسجد العيسوى».. بل اقترحوا تسمية المتنصرين بـ «المسلمين العيسويين» وطالبوا لهم بكنيسة متميزة، تصب «المضامين» النصرانية فى «قوالب» الإسلام وثقافة المسلمين!

وأكدوا أن هذا «تكتيك» و«مرحلى».. فالتغيير الثقافى.. والاقتلاع من كل ما له صلة بالإسلام هدف استراتيجى وثابت.. ولكنه يتم بالتدريج، وتبعًا لنمو «المضامين» النصرانية لدى المتحولين عن الإسلام، الأمر الذى جعل من حديثهم عن «التعددية الثقافية» التى استعانوا على اكتشافها وتأصيلها بعلماء الأجناس البشرية، ضربًا من النفاق والتحايل الرخيص والميكافيلية التى لا علاقة لها بأى دين..

* ودعوا إلى الفرار من مواجهة الإسلام الحقيقى، إسلام القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، فالمؤمنون وفق معاييرهما لا سبيل إلى عقولهم وقلوبهم –.. أما الحقل الذى تنادوا إلى العمل فيه فهو ذلك الذى أسموه «الإسلام الشعبى»، «الإسلام الأرواحى»، «إسلام» الشياطين والعفاريت والشعوذات والخزعبلات.. واستدلوا على هذا التخطيط بأن النجاح الحقيقى الذى حققه التنصير فى عالم الإسلام إنما تم فى إندونيسيا بين الذين وقف إسلامهم عند هذا المستوى، ولم

يدخل إسلام الكتاب والسنة فى عقولهم أو قلوبهم.. وقالوا: إن من السهل عليهم أن يقدموا المسيح مخلصا لهؤلاء من الشياطين والعفاريت.

* ودعوا إلى حملة لدراسة الإسلام.. وأكدوا أن جهلهم به هو عامل من أبرز عوامل الإخفاق الذى أصاب جهودهم فى التنصير.. ونبهوا على أهمية التنسيق الذى يجمع كل ثمرات الدراسات التى تقوم بها مختلف المراكز والمؤسسات التنصيرية والعلمانية - الحكومية وغير الحكومية - للإسلام وأمته وحضارته وعالمه.

* ودعوا إلى الظهور بمظهر من فك الارتباط بينه وبين التاريخ الاستعمارى والعنصرى والاستعلائى للغرب، فى علاقاته مع عالم الإسلام، ومن فك الارتباط بينه وبين سياسات الغرب المعاصرة، والمعادية لعالم الإسلام.

* ودعوا إلى الاعتماد المتبادل فى التنصير مع الكنائس المحلية والوطنية فى العالم الإسلامى.. سواء منها تلك التى تتبع تقاليدهم الإنجيلية أو التى تتبع تقاليد كنيسة أخرى.. وإلى زيادة الوظائف التنصيرية للمؤسسات الكنسية - العالمية والإقليمية - مثل «مجلس الكنائس العالمى».. و«مجلس كنائس الشرق الأوسط».

لقد نقدوا تاريخ التنصير وأساليبه.. تلك التى ذهبت بجهودهم هباء وأدراج الرياح ودعوا إلى تسلل ميكافيلى لا أخلاقى، غريب وشاذ أن يتخلق به اللادينيون فضلاً عن المتدينين ناهيك عن رجال الدين.

وكما هو نهجنا فى هذه الدراسة، فسندع نصوص هذه البروتوكولات تعلن عن مقاصد ووسائل هؤلاء.. ففى الخطاب الرئيس للمؤتمر يقولون:

«من حقنا التساؤل: لماذا لم يتم تنصير العالم الإسلامى بصورة أفضل؟»

وكلنا يستطيع أن يقدم الكثير من الأجوبة من بينها شح الموارد وعدم وجود المال اللازم.. وموقف المجتمعات الإسلامية المنغلقة على نفسها، وضعف الكنائس المحلية الأهلية، وعدم وجود قادة وطنيين محليين. إن جميع هذه الأجوبة صحيحة.

ولكن، هل لى أن أشير، فى الوقت نفسه إلى أن كل هذه الأجوبة تتعلق بأمور خارجية؟

هل من الممكن وجود أمور داخلية أكثر أهمية كانت سببًا للنتائج المحدودة التى حققناها بين المسلمين؟.. وهل نحن ناضجون بما يكفى لأن نواجه بشجاعة

السؤال الأخير فيما إذا كانت المشكلة ترتبط بنا نحن المنصرين؟ إني أود أن أقول إننا كنا حتى الآن ضعفاء إلى درجة خطيرة جداً. ضعفاء في معرفتنا وأسلوبنا ومحبتنا. ونحن بحاجة ماسة إلى أن نبدأ توبتنا وإعادة تجددنا منطلقين من هذه النقاط على الأقل:

١ - لقد كانت لدينا، في أكثر الأحيان، معرفة محدودة وغير كافية بالإسلام وثقافته. فلم نكن أولئك الطلاب الجادين بدراسة الإسلام كما يجب علينا أن نكون. أين هم الطلبة الذين يدرسون الإسلام، والذين يستطيعون أن يباروا طلاب الماضي؟

ليعطنا الرب رجلاً مثل صموئيل زويمر، الذي أتقن اللغة العربية، وكان عالماً محترفاً في الإسلاميات، ومنصراً مقنعاً. لقد عمل لمدة ٢٣ سنة منصراً في الجزيرة العربية، وستة عشر عاماً مديراً لمركز الدراسات الإسلامية والمطبوعات في القاهرة. واستطاع في الوقت نفسه أن يشرف على تحرير أهم مجلة نصرانية عن الإسلام لمدة ٣٦ سنة، وهي مجلة «العالم الإسلامي».

أعطنا يا رب رجلاً آخر مثل تمبل كيردنر، الذي كان عالماً شهيراً في الدراسات الإسلامية، ومترجماً حاذقاً للآداب الإسلامية، وكاتباً غزير الإنتاج. لقد قضى كيردنر ١٦ عاماً يدرس اللغة العربية والإسلاميات للمتطوعين ومواطني البلاد العاملين في مجال التنصير؛ لأنه كان يعتقد بضرورة معرفة أفكار أولئك الذين يحاول الوصول إلى قلوبهم وعقولهم معرفة دقيقة شاملة

أعطنا يا إلهي رجلاً آخر مثل جورج ليفروي، الأسقف الأنجلكاني والمنصر الذي كان متقناً للغة العربية والأردو، ويحب الوعظ في الأسواق المكتظة في شمال الهند. وعندما حدد ليفروي مؤهلات المنصر الفعال في صفوف المسلمين أورد ما يلي:

- التمكن من اللغة العربية والقرآن والمصادر اللاهوتية الإسلامية.
- التحلي بالصبر والحزم في النقاش.
- الشعور المتعاطف الذي يمكنه أن يقود المسلم من الحقائق التي يؤمن بها إلى المسيح
- الاستعداد لنبذ الطرق القديمة البالية التي تثير الكثير من الجدل.
- أن تكون لديه روح الأمل.

٢ - لقد استخدمنا فى الكثير من الأحيان طرقًا وأساليب غير فعالة وغير ملائمة لتبليغ الكتاب المقدس. وقد تداخلت خلفياتنا الثقافية والحضارية مع الرسالة الإنجيلية، لقد أصررنا على طرق معينة للشهادة والعبادة، وأساليب معينة فى البناء، وأنواع معينة من الموسيقا، إلى درجة أدت فى الحقيقة إلى أن يساوى بين الشخص الذى يعتنق النصرانية فى العالم الإسلامى وبين ذلك الذى يصبح أجنبيًا. قال أحد المسلمين الذين تحولوا إلى النصرانية فى الهند ما يلى: «إذا تقبل المسلم المسيح كمخلص ورب ينظر إليه كمرتد وكشخص يجب أن ينبذ أخلاقيًا، وفى العديد من البلدان كخائن سياسى».

فهل يمكننا عدم إلقاء عبء زخارفنا الحضارية والثقافية على عواتق أولئك المتحولين حديثًا عن الإسلام وعلى سبيل المثال، فهل من تعاليم الإنجيل أن نفرض أساليب عبادتنا على ثقافة أخرى؟ ألا توجد هناك بعض التقاليد والصيغ الإسلامية التى يمكن استخدامها بمحتوى نصرانى، ألا يمكن أن تكون لبعض أساليب العبادة الموجودة فى العهد القديم معنى أكثر للمسلمين المتحولين إلى النصرانية من ذلك الأسلوب الصاخب والمروع والبعيد كل البعد عن الطقوس الدينية والذى يمارس فى مدينة تايلر فى ولاية تكساس الأمريكية. هل سعينا إلى إيجاد مؤلفين للترانيم بين صفوف المسلمين المتحولين إلى النصرانية، أو طلبنا منهم ان يؤلفوا ترانيم تناسب ثقافتهم؟ فعندما يتصل الأمر بالثقافة يجب على المبلغ، وليس على السامع أن يقدم التنازلات.

لقد حدثنا أحد أبحاث مؤتمرنا عن كاهن قبطى يعمل فى مجال التنصير ويؤدى الصلاة والطقوس الدينية بطريقة تشابه ما يجرى فى الجامع، واكتشف أن صلواته قد أصبحت أكثر شعبية، ويحضرها الكثير من الناس، وقد عرف عن تمبل كيردنر استعداده لتجريب طرق مختلفة لتبليغ النصرانية للمسلمين فى مصر، وقد كان شغوفًا بصورة خاصة بالدراما والموسيقا والشعر.

وفى بنجلاديش توجد حركة بين الشباب المسلم المتنصر لمتابعة لقائهم فى الجامع كل يوم جمعة لممارسة عبادتهم النصرانية. حيث يستعملون أشكالاً إسلامية فى محتوى نصرانى.

دعونى أثر موضوعًا آخر، بخصوص هذه القضية التى تتعلق بمنهجية التبليغ. هل نحن مستعدون لدراسة برنامج للتنصير تكون فيه الشريك الثانوى.

وليس الشريك المسيطر. أي هل نحن على استعداد لأن نستخدم أموالنا لتمكين المنصرين من أبناء العالم الثالث من الذهاب إلى العالم الإسلامي؟ أم هل يجب أن يكون المنصرون كافة الذين يتلقون دعمنا غربيي الثقافة والخلقية لينالوا رضا أولئك المصلين الذين يتبرعون بالأموال.. وبالطريقة نفسها، دعوني أسأل ما الذي يمكننا أن نفعله أكثر من هذا لكي نستطيع حقًا أن نجعل من المسلمين المتحولين عن دينهم منصرين عاملين بين أبناء بلدهم؟

٣ - النقص الثالث لدينا يتعلق بجانب الاهتمام والمحبة. لقد أخطأنا كثيرًا عندما عاملنا الآخرين معاملة الأبوين للأولاد، منطلقين من شعورنا بالتفوق الثقافي..[٢]».

وعلى ذات الدرب، درب نقد الأساليب التقليدية للتنصير واقتراح ثورة تغير تلك الأساليب يتحدث «آرثر ف. كلاسر» - في «تقرير المؤتمر» فيقول:

«لم يكن جميع المنصرين حكماء وأتقياء ونبلاء ومحبين. لقد اتجه بعضهم إلى تشويه وتقليل قيمة المنزلة الخلقية والدينية لمحمد والقرآن. كما قام الكثير منهم بالدفاع الأعمى عن إرساليات التنصير إلى العالم الإسلامي خلال السنوات الطويلة للسيطرة الغربية السياسية، ونتيجة لذلك فقد كانوا غير مهتمين بصورة كبيرة بمهمة التقليل من شعور عدم الثقة وسوء الفهم الذي أفرزته التوترات والصراعات السابقة. لقد أعطوا الانطباع بأنهم يفتقرون إلى الاهتمام بتدهور القيم النصرانية في العالم النصراني، بينما يشجعون علانية عملية العلمنة في العالم الإسلامي.

ولقد كان إذلالاً لنا أن نواجه مثل هذا الدليل على الاستعمار الثقافي مقترنًا بمحاولة للهداية تبدو عدوانية وتفتقر إلى الإحساس. لقد كنا متفقين - (يقصد في المؤتمر) - على أن هنالك الكثير داخل الحركة التنصيرية الحديثة والذي يحتاج إلى تقويم».

فعبر قرون عديدة عزز النصارى وشجعوا شعورًا بالعداء تجاه المسلمين.

لقد أصابنا الرعب لأن عددًا قليلاً من المسلمين قد ولدوا ثانية من خلال تجاوبهم مع دعوة الكتاب المقدس. فنحن النصارى قد قدمنا القليل من المحبة وبذلنا القليل من الجهد من أجل أن نعتبر المسلمين أناسًا مثلنا. وإن وكالات التنصير في أمريكا الشمالية مازالت مستمرة في اتباع الأسلوب الذي لا يتحسس القضايا الثقافية.. ونميل نحن نصارى أمريكا الشمالية إلى انتقاد الثقافة

(٢) التنصير: خطة لغزو العالم الإسلامي - الخطاب الرئيس - لـ «و. ستانلي مونيهام» - ص٢١ - ٣٦.

الإسلامية. وقد قادنا غرورنا وشعورنا بالتفوق العرقى أيضًا إلى أن ننسى أن ثقافتنا نفسها مليئة بالعيوب. صحيح أن ثقافتنا تعكس الإبداع الخلاق لمجتمع متعدد الأهداف، ولكنها تعبر في نفس الوقت عن انحدارنا.

يجب أن يكون أحد أوجه اهتمامنا تعهد الإدراك الجديد لطبيعة الدين الإسلامي. لقد بدأنا نحن نصارى أمريكا الشمالية نكتشف الآن فقط أننا قد دعونا فى أغلب الأحيان، وأكثر مما يجب إلى رسالة مبتورة، وذات طابع غربى»[٢].

على هذا النحو تم نقد أساليب المواجهة مع القرآن ونبى الإسلام.. وربط التنصير بالسيطرة السياسية للغرب على العالم الإسلامى.. وبالغزو الثقافى الغربى للمسلمين.. والصورة العدوانية للتنصير.. الأمر الذى زاد عداوة المسلمين للمتصرين، وقلل حصاد الجهود الكبيرة التى بذلها المنصرون.

إنهم لم يوجهوا الاحتقار فقط إلى القرآن ونبى الإسلام وثقافته.. بل لقد نظروا للمسلمين باعتبارهم أقل فى الإنسانية من الغربيين.. وذلك بسبب من غرور الشعور بالتفوق العرقى للغربيين على غيرهم من الأمم الأخرى.

الأمر الذى بدت معه نصرانيتهم «رسالة مبتورة، وذات طابع غربى».

تمَّ نقد هذه الأساليب.. ودار الحوار عبر كل أبحاث المؤتمر حول البدائل التى تحقق مستويات أعلى لذات المقاصد والأهداف و الغايات.. تنصير كل المسلمين.. واقتلاع الإسلام من الجذور وطىِّ صفحته من كتاب الوجود!

وتتردد هذه النظرة النقدية فى كل الأبحاث وسائر المناقشات بالمؤتمر، على النحو الذى يجعلها أمرًا مجمعًا عليه بين قساوسة التنصير.. كما تقترن هذه الانتقادات بتقديم البدائل التى تتفرع عن محور اختراق الإسلام وثقافته لتقويضه بالنصرانية من داخل البناء مع استخدام كل السبل اللاأخلاقية والوسائل المكيافيلية فى هذا الميدان..

وفى بحث عن «المسلم المتنصر وثقافته» يتحدث «هارفى م. كون» عن الصورة الغربية للنصرانية بنظر المسلمين.. فيقول:

«إن شهادات المتنصرين المدونة تبين أن المسلم لا ينظر إلى النصرانية على أنها فقط كفر دينى، بل إنه يراها أيضًا نظيرة للاستعمار وللحضارة وللثقافة الغربية».

(٢) المصدر السابق – ص ٥٠ – ٥٢، ٦٢.

وتعطي مجموعة التجارب الذاتية لأشخاص من شمال إفريقيا، العديد من الآمثلة على هذا الموضوع

فقد رد أخو «مليكة» بغضب، على رفضها الصوم قائلاً: «لقد كنت تأكلين في بيت المنصرين، إنهم يحولونك إلى امرأة أوروبية». وقد اتهمت «مليكة» بأنها قد أصبحت «كافرة، وكلبة أوروبية».

وقابلت أسرة «نورية» تحول ابنتهم إلى النصرانية بتحذيرها من «الدين الزائف للأوروبيين» متسائلين: «ألا تعرف أن محمدًا هو نبيها، وأن يسوع هو نبي الأوروبيين».

وقد علق «أرك نيلسون» السكرتير العام السابق لجمعية التنصير الدنماركية، قائلاً: «غالبًا ما تحدثت إلى شخص – وعلى سبيل المثال في إندونيسيا – وسألته عما إذا كان مسلمًا، فيجيب: «نعم»، فأقول له: «إني نصراني» وعندها يقول، وهو يبتسم: «نعم، إني ألاحظ هذا». أي أنه يعرف هذا من خلال لون بشرتي، فكون الرجل أبيض البشرة يعني أنه نصراني بالنسبة إلى مثل هذا الشخص».

«.. إن قبول النصرانية أصبح لا يقرن بالولاء للمسيح، كما يقرن عادة بقبول الثقافة والمدنية الفرنسية.. وهكذا يستمر المسلمون، بكل نجاح، يزعمون أن العقيدة النصرانية هي دين الإنسان الأبيض..»[٤].

وهذه الصورة للنصرانية، هي التي تجعل المسلم المحترم يأنف من قبولها.. وكما يقول أحد تقارير المؤتمر: «فإن الدعوة إلى المسيح لا تجد استجابة إلا من الأشخاص الهامشيين أو المنحرفين الذين ينتمون إلى القطاعات الفقيرة نسبيًا في المجتمع الإسلامي. وفي الأماكن التي يحدث فيها هذا تصبح النصرانية دينًا هدامًا منبوذًا اجتماعيًا، كما تفشل في التغلغل بين أفراد غالبية المجتمع، والمسلم «العادي» يجد تأكيدًا لاعتقاده أن النصرانية جسم غريب ينبغي مقاومته، أما المسلم الذي يتحول إلى النصرانية فيشعر بالحرج وبالإهانة وبفقدان الدعم والانتماء العائلي وبالنبذ الاجتماعي، ويصبح عالة على المجتمع النصراني المدعوم من الخارج..»[٥].

(٤) المصدر السابق – ص١٣٩، ١٤٧.

(٥) المصدر السابق – تطبيق «مقياس إينكل» في عملية تنصير المسلمين – لـ «ديفيد أ. فريزر» ص٢٤٣

وللهروب من هذا النبذ والاحتقار.. يسعى قساوسة التنصير إلى تغليف المحتوى النصراني في غلاف الأشكال الإسلامية، وإلى إبقاء المرتدين عن الإسلام في رحم الثقافة الإسلامية، مرحلياً، مع التحلل من الأشكال الإسلامية كلما نمت المضامين النصرانية لدى هؤلاء المرتدين.

ويعترف تقرير آخر من تقارير المؤتمر، أنه وحتى بالنسبة إلى القلة التى تتحول عن الإسلام إلى النصرانية، فإن أغلبيتهم الساحقة لا يمكن أن يعدوا نصارى حقيقيين..

«فالقس «باتمان» – من الجمعية التنصيرية الكنسية – عندما اختبر «تعميد» الذين «تعمدوا» كتب يقول: عندما قابلنا هؤلاء الناس، ورأينا شهادات تعميدهم، لم نجد فيهم خمسة أشخاص من كل مائة شخص يعرفون أي شيء يمكن أن يوصف بأنه نصراني، على الرغم من أن بضع مئات منهم يحضرون الكنيسة باستمرار، وكثيرون منهم يقولون: إنهم أصبحوا نصارى ليحصلوا على الخلاص. ولكن إذا سئلوا: ماذا يعنون بالخلاص؟ لا يستطيعون أن يعطوا أية إجابة»[(٦)].

ثم.. هم يعترفون بارتباط النصرانية، في ذهن المسلم بالتاريخ الدموي للغرب مع عالم الإسلام.. من الحروب الصليبية.. إلى إقامة إسرائيل.. ولذلك يدعون إلى الظهور بمظهر الذين «فكوا ارتباطهم» بصناع هذا التاريخ الدموي، حتى ولو أدى ذلك إلى «ارتكاب أنواع من أعمال «الخيانة» لأممهم ومجتمعاتهم».. «فطرق الأساليب غير المباشرة».. و«البراءة من الإرهاب الصهيوني ضد الفلسطينيين».. و«تجنب الخرائط التي تربط فلسطين بدولة إسرائيل».. و«تفادي الاعتقاد السائد بين المحافظين من النصارى بأن قيام دولة إسرائيل هو تحقيق وعد الرب لإبراهيم».. إلخ.. إلخ.. إلى آخر هذه «التنازلات» – التي تتحدث عنها هذه البروتوكولات – والتي يجب لذلك ألا تخدعنا عن نيات وأهداف النصرانية الغربية والمنظمات والكنائس المتعاونة معها في بلادنا، عندما نراها في قرارات وتوصيات مؤتمراتها.. فبروتوكولاتهم هي التي تعترف بأن هذا مجرد «طعم» يتوسلون به إلى ستر عورات التنصير للمسلمين.. وذلك بدليل أنهم يعترفون أيضاً أن هذا موقف «ظرفي» تقتضيه «الظروف».. إنهم هم الذين يعترفون بذلك، عندما يقولون:

(٦) المصدر السابق – دور الكنائس المحلية في خطة الرب لخلاص المسلمين – لـ «فرانك ل. خير الله» – ص٨٥٣

«ما الأمور الملحة التي تحتم اتباع منهج سليم للتنصير بين المسلمين؟»

إن الشرط الأساسي هو أن نتوب من طبيعة علاقاتنا (الغربية النصرانية) التاريخية والحالية مع العالم الإسلامي. وإذا لم نخط هذه الخطوة فلا جدوى من التقدم إلى الأمام. ولن يفيدنا التنصل من مسئوليتنا عن الجرائم البشعة التي ارتكبها الصليبيون ضد المسلمين، ولا عن الإرهاب الصهيوني ضد المسلمين. فالاعتقاد السائد بين المسلمين هو أننا نشترك في المسئولية عما ارتكبه أسلافنا وحلفاؤنا أبناء جلدتنا إذا لم نشجب تلك الأعمال ونتصرف بطريقة مختلفة عنها.

إن الظرفية تلزمنا أن نبدأ العمل وفق شروطهم وليس وفق شروطنا. وبمعنى آخر، فإن الموقف يتطلب منا أن نرتكب عن عمد أنواعًا من أعمال «الخيانة» لأممنا ومجتمعاتنا..»[7].

إنهم يعترفون، علنا، بالمكيافيلية في الوقت الذي يرتدون فيه مسوح رجال الدين، ويتحدثون عن خلاص الأرواح.

وتتردد هذه الأفكار في العديد من الأبحاث[8].. حتى ليسأل سائل، في مناقشات المؤتمر: «هل نعمل، وبصورة جادة على أن نرسل الآن منصرين من الأقطار غير الغربية؟ أي من تلك الأقطار التي ليس لها ماض في مساعدة إسرائيل»[9].

وفي واحد من أبحاث هذا المؤتمر اعتراف بأن ما حققه التنصير من نجاحات محدودة بين المسلمين، ما كان – برغم محدوديته – أن يتم ، لولا سلطات القهر الاستعماري التي مكنت له من هذه النجاحات.. وهي حقيقة تاريخية، أصبحت عقبة أمام التنصير..

«حقيقة أن استراتيجية التنصير الأوروبية – الأمريكية كانت عمومًا مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالعقلية الاستعمارية. ولهذا السبب كانت ناجحة كلما تعرضت الشعوب إلى التأثير القوي، وحتى إلى التخويف بالإنجازات الثقافية الأوروبية – الأمريكية.. لقد كنا مثل المهودين، أكثر نجاحًا حيث يكون الناس على الأقل

---

(٧) المصدر السابق – الظرفية والتحول والتأصيل – لـ «شارلي: و. تيبر» – ص ٢١٤ – وانظر – بالنسبة إلى التوصية ربط خريطة فلسطين بدولة إسرائيل – بحث «الوضع الراهن لترجمات الإنجيل إلى لغات المسلمين» – لـ «وليام د. رايبرن» – ص٥٥٣

(٨) المصدر السابق – مقارنة بين وضع النصرانية والإسلام في الشرق الأوسط – لـ «نورمان هورنر» – ص٤٠٢.

(٩) انظر ص ٤٠٣

مستعدين للتحول إلى أجزاء من ثقافتنا. وقد قاوم المسلمون بصورة عامة، بالطبع هذا الإكراه الثقافى»[١٠].

كما يتساءلون - بصدد المقتضيات «الظرفية» - : «كيف يمكننا أن نفصل أنفسنا عن مواقف الحكومات الغربية من النزاع الإسرائيلى - الفلسطينى؟ وأهم من ذلك كيف يمكننا أن نتفادى الاعتقاد السائد بين المحافظين من النصارى أن قيام دولة إسرائيل إنما هو تحقيق وعد الرب لإبراهيم - ذلك الاعتقاد الذى يبرر جميع تجاوزات إسرائيل على أنها تحقيق لتلك النبوءة؟ ما الوسيلة التى نتجاوز بها سيطرة الضمير الغربى السيئ فى التعامل مع اليهود على حساب الفلسطينيين»؟[١١]

إنهم يحاولون، بالمكيافيلية، إخفاء الوجه الحقيقى للعنة التاريخية التى تمثلها عدوانية الغرب الاستعمارى والنصرانية الغربية على الإسلام وأمته وحضارته وعالمه.

«فالطابع العام والمشترك، فى كل من الإمبراطورية العثمانية والجمهورية التركية، هو أن النصرانية والمؤامرات الخارجية والغزوات كانت دائمًا مرتبطة ببعضها ارتباطًا وثيقًا (الحملات الصليبية، والتوسع الروسى فى القرن التاسع عشر، والأمريكيون فى الحرب العالمية الأولى، والاستغلال الرأسمالى بواسطة الدول الكبرى.. إلخ). إن الأتراك يساوون من يصير متنصرًا بالخائن..»[١٢].

وكما ينصح قساوسة التنصير بالهروب من مواجهة الإسلام الحقيقى - إسلام الكتاب والسنة - إلى «إسلام» العفاريت والخزعبلات.. وبالهروب من حقيقة التاريخ إلى زيف النفاق والمكيافيلية اللاأخلاقية.. ينصحون كذلك بالتركيز على الفئات الهامشية والدنيا فى المجتمعات الإسلامية.. تلك الغارقة فى الجهل والتى تعانى من القلق الناتج عن الفقر والتخلف اللذين كرسهما الاستعمار.. فينتقدون توجه المنصرين إلى الطبقة الوسطى، وينصحون باصطياد الفرائس من الطبقات الدنيا والفئات الهامشية منها على وجه التحديد.. فيقولون:

«إن معظم العمل التنصيرى الدائر حاليًا يجرى فى أوساط أعضاء الطبقة المتوسطة وفوق المتوسطة. بينما هذه الطبقة هى أكثر الطبقات تعرضًا للخسارة

(١٠) المصدر السابق - كنائس ملائمة للمتنصرين الجدد فى المجتمع الإسلامى - لـ «تشارلز كرافت» - ص ١٧٠.
(١١) المصدر السابق - الظرفية والتحول والتأصيل - لـ «بشارلى، ر. تيبر» - ص ٢١٣، ٢١٤.
(١٢) المصدر السابق - مقارنة بين وضع الإسلام والنصرانية فى تركيا - لـ «محمد إسكندر» - ص ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٣٤

بانضمامها إلى النصرانية.. بينما يكون اكتساب أوساط الطبقات الدنيا سهلاً، وأفرادها هم الأكثر ربحًا فى انضمامهم إلى النصرانية، حيث لا يوجد لديهم ما يخسرونه».

ولذلك يدعون إلى الاستفادة من خبرات علماء الاجتماع فى «كشف وتصنيف الوحدات المتجانسة المتعددة فى أوساط الطبقات الدنيا فى الدول الإسلامية. الجغرافية، والمستوى الاقتصادى، والمهنة الوظيفية، والجنس، والانتماء السياسى، والروابط الأسرية، والانتماء الدينى، والسلالة، والسكن (المدن والقرى)، والمدارس، ومشاكل ذات طبيعة مختلفة.. لأنه، مثلما توجد طبقة أكثر مقاومة وأخرى أكثر تقبلاً داخل المجتمع، فهناك أيضًا أجزاء أكثر مقاومة وأخرى أكثر تقبلاً داخل كل وحدة متجانسة..»[١٣]!

وهم يضربون على نجاح هذا المخطط - مخطط التركيز على «(إسلام) العفاريت» و«الطبقات الهامشية» والشرائح القلقة - بالنجاحات التى حققوها فى إندونيسيا[١٤].

* * *

ذلك طرف من نقد قساوسة التنصير لواقع وتاريخ التنصير فى عالم الإسلام.

وتلك هى حقيقة «توبتهم» عن جرائمهم وجرائم أسلافهم.. لا علاقة لها بـ «التوبة» الحقيقية.. وإنما هى المكيافيلية، التى يبررونها بـ «الظرفية».. يخفون بها حقيقتهم وحقيقة وسائلهم.. فبدلاً من المواجهة بالوسائل المباشرة للإسلام.. يهرعون ويهربون إلى التنكر والتخفى والتسلل لهدم الإسلام من داخل نسقه.. وصولاً إلى ذات الأهداف.. بل وإلى مستويات لم يحلم بها أسلافهم السابقون!

* * *

(١٣) المصدر السابق - تطوير وسائل جديدة لتساعد فى تنصير المسلمين - لـ «دونالدر. زيكاردر» - ص ٦٣٨، ٦٣٩.

(١٤) المصدر السابق - تحليل المقاومة والاستجابة لدى الشعوب المسلمة - لـ «دون م. ماكرى» - ص ٢٦٧

الفصل الثالث

اختراق الإســلام !

(إن الإسلام هو الدين الوحيد الذى تناقض مصادره الأصلية أسس النصرانية.. وإن النظام الإسلامى هو أكثر النظم الدينية المتناسقة اجتماعياً وسياسياً.. إنه – الإسلام – حركة دينية معادية للنصرانية، مخططة تخطيطاً يفوق قدرة البشر، ونحن بحاجة إلى مئات المراكز، تؤسس حول العالم، بواسطة النصارى للتركيز على الإسلام، ليس فقط لخلق فهم أفضل للإسلام. وللتعامل النصرانى مع الإسلام، وإنما لتوصيل ذلك الفهم إلى المنصرين من أجل اختراق الإسلام، فى صدق ودهاء..).

من أبحاث مؤتمر كولورادو
لتنصير المسلمين

الفصل الثالث

اختراق الإسلام!

لقد رفع قساوسة التنصير الذين ائتمروا فى مؤتمر «كولورادو» شعاراً أجمعوا عليه، وفتلوا مضامينه ومتطلباته وآليات تحقيقه بحثاً .. وهو - بنص كلماتهم

«لنعمل، ليس فقط على خلق فهم أفضل للإسلام، والتعامل النصرانى مع الإسلام، وإنما لتوصيل ذلك الفهم إلى المنصرين من أجل اختراق الإسلام»[1]

ففى الخطاب الرئيس للمؤتمر يحددون وينبهون على الثغرات التى يدعون إلى اختراق الإسلام منها.. وهى - حسب تصورهم -:

أ - **الثغرات الداخلية**: بين المسلمين.. مذهبية.. وقومية.. وعرقية.. وطبقية.. ومعرفية.. إلخ.. ويدعون إلى استراتيجية خاصة فى التعامل مع كل فئة أو جماعة من هذه الجماعات الإسلامية، لاكتشاف المفاتيح الخاصة بتنصيرها.

ب - **الثغرات الخارجية**: التى فتحتها فى جدار الإسلام الضغوط الخارجية التى تعرض ويتعرض لها.. من مثل ثغرة **التقليد**، من فئات مسلمة، للغرب.. وثغرة «**الأفكار العلمانية**»، التى قالوا: إنها تسهل لهم تنصير المسلمين.. وثغرة التغييرات الاجتماعية التى نقلت - بسبب الثروة - مجتمعات إسلامية تقليدية إلى نمط استهلاكى ترفى غربى، خلخل حياتها المرتبطة بقيم الإسلام، وفتح فيها للتنصير ثغرات.. وثغرة اغتراب المسلمين فى المجتمعات الغربية وهم «مفتقرون إلى الدعم التقليدى الذى توفره المجتمعات الإسلامية، فيشعرون بالتمزق، ويكونون غير واثقين بأنفسهم، ويعيشون نمطاً من الحياة يختلف عن ذلك الذى يجب عليهم اتباعه».. فتنفتح فى عقولهم للتنصير ثغرات.. وثغرة «النزعة

(١) المصدر السابق - الحاجة إلى مركز للقيادة فى أمريكا الشمالية - لـ «رالف دى ونتر» - ص٧٥٢.

الحضرية» – الغربية – التى زرعت الارتباك فى الحياة الإسلامية «وأضعفت من قبضة الإسلام وتأثيره».. أى أنهم – باختصار – قرروا اختراق الإسلام من خلال الأمراض الذاتية لأهله – وهى الأمراض التى كرسها الاستعمار لتمثل فراغا يستدعى ويقبل التغريب والتنصير.. ومن خلال الثغرات التى أحدثها الغرب الاستعمارى فى ميادين الفكر والواقع، وأنماط المعيشة بعالم الإسلام

لقد حدد الخطاب الرئيس للمؤتمر هذا المخطط، فقال:

«إننى أشعر شخصياً بوجود مجال كبير للتشجيع والتفاؤل.. هناك، على الأقل، حقيقتان معاصرتان عن الإسلام تؤيدان هذا التفاؤل.

أولاً: الخلافات والفرقة فى داخله، والضغوط التى تدعو إلى التغيير، والتى تهاجمه، لاحظوا أن الإسلام لم يعد ذلك الدين المتماسك، كما كان عادة يوصف فى السنوات الماضية، بل هو عالم من الخلافات الواسعة والتفرق.

لقد أصبحنا أكثر وعيًا بعد لقاء «لوزان»[٢] على ضرورة النظر إلى العالم على أنه يتكون من مجموعات متميزة من البشر، وأن علينا التعامل مع كل مجموعة باستراتيجية تنصيرية خاصة.

إن هناك أكثر من خمسين أمة تقول إنها إسلامية، كما توجد جاليات إسلامية فى أكثر من ١٥٠دولة، وأكد دكتور «رالف ونتر» وجود نحو ٣٥٠٠ مجموعة فرعية فى أنحاء العالم.

وكما أن المسلمين ليسوا شعباً واحداً، فإن الإسلام ليس عقيدة موحدة، فهناك الإسلام الشعبى، الذى يتبعه ملايين المسلمين، والذى هو خليط من الأرواحية، والتقاليد، وهناك الإسلام الأسود، الذى تدين به الأقليات السوداء فى أمريكا، كما يوجد أيضاً الدين الإسلامى المدنى، الذى يمارسه ظاهريا المتعلمون والطبقات الراقية من المسلمين الذين يفتقرون داخلياً إلى «الإيمان الحقيقى» وتطبق أقلية نسبية الإسلام المستند إلى تعاليم القرآن والسنة النبوية.

وثانياً: ويضاف إلى اختلاف المسلمين أنفسهم أن الإسلام كعقيدة يتعرض لضغوط عديدة، منها:

(٢) الإشارة إلى المؤتمر العالمى الثانى لتنصير العالم – سنة ١٩٧٤م – وهو من المؤتمرات التحضيرية لمؤتمر «كولورادو».

اندفاع المسلمين لتقليد الغرب، والأفكار العلمانية، والتغييرات الاجتماعية. فأولئك الذين كانوا يسكنون خياما مصنوعة من جلود الأغنام ويركبون الجمال عبر كثبان الصحراء، في نمط للحياة لم يتغير منذ قرون عديدة، أصبحوا اليوم فجأة يقتنون سيارات المرسيدس وأجهزة التلفاز والساعات الإلكترونية والمصارف الأمريكية، وتم افتتاح فروع «لدجاج كنتاكي المقلي» في الكويت وأبوظبي، حيث يتمكن العرب من مضغ قطع لحوم الدواجن المشحونة من ولاية كارولينا الشمالية!

ويتزايد باطراد عدد المسلمين الذين يسافرون إلى الغرب، ولأنهم يفتقرون إلى الدعم التقليدي الذي توفره المجتمعات الإسلامية، فإنهم يشعرون بالتمزق، ويكونون غير واثقين بأنفسهم، ويعيشون نمطا من الحياة يختلف عن ذلك الذي يجب عليهم اتباعه، ولقد كتب «ماكس كيرشو» – في بحثه الذي قدمه إلى هذا المؤتمر – يقول: «يبدو أن عقيدة الغالبية العظمى من المسلمين في الغرب، سواء أكانوا مهاجرين أم طلابا أم زوارا، تتعرض للتأثير..» ويجسد هذا تأثيرا خطيرا للتماسك الإسلامي.. وقد أشار أحد الكتاب المسلمين إلى أن انتشار النزعة العصرية لم «يزرع الارتباك فقط، ولكنه أضعف من قبضة الإسلام وتأثيره، كما أدى إلى فصل أجزاء مختلفة من العالم الإسلامي عن بعضها بعضا أكثر من أي وقت مضى».

«أنا أعتقد أننا نستطيع أن نجد وسط هذا التباين داخل الإسلام، والضغوط التي يتعرض لها من خارجه الكثير من أسباب التفاؤل بأن رسالة يسوع المسيح ستجد أذنا صاغية...»(٣).

فمبعث التفاؤل بإمكانية اختراق الإسلام: لتقويضه من الداخل وتنصير كل المسلمين، هو الأمراض الداخلية للمسلمين.. والضغوط الغربية التي يتعرض لها الإسلام والمسلمون.. ثم يمضي المؤتمر، من خلال أبحاثه ومناقشاته، في تفصيل الحديث عن الثغرات.. ورسم مخططات الاختراق.

إنهم يركزون على ضرورة فهم الإسلام كدين.. وعلى الأهمية القصوى لفهم تصورات المسلمين لهذا الدين.. لاكتشاف ثغرات الاختراق.. إذ كيف سننصر المسلمين «إذا لم نحاول أن نفهم تفكيرهم وموقفهم إزاء الحياة والعقيدة التي

(٣) التنصير: خطة لغزو العالم الإسلامي – الخطاب الرئيس – لـ «د. ستانلي موتيهام» – ص٢٣ – ٢٥.

يؤمنون بها.. إذن يتعين على كل واعظ نصراني بين المسلمين أن تكون له معرفة كبيرة بمعتقداتهم وشعائرهم وآمالهم وطموحاتهم.. وعلى الكنيسة المهتمة بتنصير المسلمين أن تجعل كل الجهود التي تقوم بها منسجمة مع المحيط الثقافي الذي تعمل فيه، وأن تشارك في الطموحات المشروعة للسكان المحليين»[٤].

فالمشاركة في المشروعات والأنشطة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية – التي تمارسها الكنائس في المحيط الإسلامي – هي التنفيذ لمخطط: «الفهم.. للاختراق».. ولذلك فليتنبه المتنبهون.

ولقد وقف قساوسة التنصير موقفًا نقديًا من قصور معرفتهم بالإسلام، ذلك القصور الذي لم يتح لهم اكتشاف ثغرات الاختراق للتقويض من الداخل، على النحو الذي رسمه المخطط التنصيري الجديد.. فترددت في أبحاث المؤتمر عبارات:

«كانت أبحاثنا في الموضوعات الإسلامية في كثير من الأحوال تكتيكية فقط، ومعدة حتى تناسب مزاجنا وهدفنا، وينقصها الاحترام، وكثيرًا ما أصدرت أحكامًا قطعية من جانب واحد، وكانت سطحية، ونادرًا ما كانت أبحاثًا حقيقية..[٥]».

وبعد هذه الشهادة التي تدين أكثر كتابات المنصرين عن الإسلام.. يطلب قساوسة التنصير – في مجال الفهم للإسلام – الاستفادة من ثمرات الدراسات التي تنجزها عن الإسلام مؤسسات التعليم ومراكز البحوث العلمانية.. الأمر الذي ينبه إلى أن كل مراكز البحث والدراسة المعنية بفهم الإسلام والمسلمين، إنما تصب ثمراتها في كل الأوعية المعادية للإسلام والمسلمين، وفي جميع ترسانات كل الكتائب المنخرطة في مواجهة الإسلام والمسلمين، بصرف النظر عن تعددها وتنوعها وتوزعها على الثغرات والجبهات.. بل إنهم يسخرون ثمرات بحث المراكز التي يعمل فيها مسلمون.

يقولون: «إن مختلف مؤسسات التعليم العالي المرتبطة بالكنيسة لها أيضًا مقررات عن الإسلام، ولا شك في أن أبحاثًا مهمة تتم تحت رعايتها، ومع ذلك فهي

(٤) المصدر السابق – دور الكنائس المحلية في خطة الرب لخلاص المسلمين – لـ «فرانك سل خير الله» – ص ٨٤٥، ٨٤٦.

(٥) المصدر السابق – بناء شبكة من مراكز الأبحاث – لـ «رولاند أي ميلر» – ص ٦٨٧.

ليست مركزًا للبحث بالمعنى العلمي، وهنالك مراكز دراسات أخرى يعمل فيها مسلمون عملاً يعد جزءًا من الاهتمام العام لهذه المراكز. ولم يبذل جهد لتحليل البرامج الأكاديمية في الدراسات الإسلامية والتي تمت تحت رعاية علمانية أو إسلامية، وهذا الموضوع يحتاج إلى معالجة أوسع.»[٦].

إنهم يؤكدون على «أن ظاهرة الإسلام واسعة بالدرجة التي يستطيع المرء فيها أن يتصور الحاجة لاثني عشر. وربما مئات المراكز لتؤسس حول العالم بواسطة النصارى، ولتكون مخصصة للتركيز على الإسلام. كل واحد منها يمثل مبادرة لمجموعة معينة من النصارى، يمكن أن تحدد جغرافيًا أو على أي أساس آخر.. ولتعمل ليس فقط على خلق فهم أفضل للإسلام، والتعامل النصراني مع الإسلام، وإنما أيضًا لتوصيل ذلك الفهم إلى واحد أو أكثر من مجموعات المنصرين في أمريكا الشمالية.. إن رؤية أشمل للموضوع هي مهمة جدًا من أجل اختراق الإسلام[٧]..»

إنها دعوة لزرع الكرة الأرضية بمراكز البحث في الإسلام.. لتصنيع قذائف للتنصير تمكن أهله من اختراق الإسلام.. مع التنبيه إلى أهمية أن تكون قيادة ذلك كله للقساوسة الأمريكان.. أقطاب النظام التنصيري العالمي.

ولقد تحدثت أبحاث المؤتمر عن الدوافع المختلفة للباحث الغربي في الإسلام.. وميزوا فيها بين الدوافع الرومانسية.. والدوافع العملية.. والدوافع الأكاديمية.. والدوافع الدينية.. «فهناك عدة دوافع لإعداد أبحاث في الإسلام:

١ – أحد هذه الدوافع: مايمكن وصفه بالاهتمام الرومانسي.

٢ – أما الدافع الثاني فهو الدافع العملي: وهو الذي وجد فرصة في عالم اليوم، ويتعلق بعاملين:

أ – الدولية في العالم الجديد، من ناحية.

ب – واستعادة الدول الإسلامية للهيبة والقوة الاقتصادية من ناحية أخرى.

فكل من هذين العاملين يجبر الغرب النصراني على أن يكافح من أجل معرفة أعمق بالإسلام والمسلمين، إن حقيقة أن بعض الشعوب الإسلامية قد دخلت في مجموعة أصحاب القوة والنفوذ قد ركزت اهتمامًا جديدًا على المسلمين. كيف

(٦) المصدر السابق – بناء شبكة من مراكز الأبحاث – لـ «رولاند أي ميلر» – ص ٦٨٨.

(٧) المصدر السابق – الحاجة إلى مركز للقيادة في أمريكا الشمالية – لـ «رالف دي ونتر» – ص ٧٥٢

سيوجه الإسلام أنشطة هذه الشعوب فى المستقبل فيؤثر بذلك على مصير الجنس البشرى؟ إن الحقائق الحيوية والاقتصادية الدولية تعتبر اليوم عوامل مهمة تشجع البحث النشط فى الإسلام.

٣ - **أحد الدوافع المألوفة: هو المتابعة الأكاديمية للمعرفة**. وقد قدم علماء الجامعة، ومازالوا يقدمون، مدفوعين بهذا الحافز، عددًا ضخمًا من الأعمال العلمية حول مختلف جوانب الإسلام، وقد وجدوا خلال ذلك فرعًا جديدًا من فروع المعرفة الحديثة أسموه «إسلاميات» وقد اعتمدت الكنيسة بصورة كبيرة فى التنصير على نشاط وذكاء المتخصصين بالإسلاميات، الذين من بينهم عدد كبير من النصارى الذين وقفوا أنفسهم على خدمة عقيدتهم، ومازالوا يواصلون فى جامعات العالم عملهم مشجعين وممثلين أساسيين للدراسة المكثفة والعلمية عن الإسلام.

٤ - أما الدافع الذى ينتقل إلى عالم القلب: فهو الدافع الدينى، أى البحث عن الحكمة الروحية، وهذا الدافع يختلف عن السعى وراء المعرفة؛ لأنه يشمل البحث عن الحقيقة المعيارية، وقد حرك هذا الدافع قطاعًا واسعًا من الأفراد، حيث نجد على أطراف السلسلة أولئك الذين يبحثون عن النور والبصيرة الروحية حيثما وجدت من أجل نموهم الروحى، وعلى الطرف الآخر يوجد أولئك الذين يحاولون الفهم بطريقة منهجية، طبيعة النشاط الإلهى بين الناس والاستجابة الإنسانية فى الأديان، وعلى ضوء نظامهم اللاهوتى، تركزت هذه الجهود عند النصارى فى الحلقات الدراسية وفى مجالات التنصير، ونتج عن ذلك ما يسمى «لاهوت الدين»، وهو مجال ذو أهمية متناهية فى الدراسات اللاهوتية النصرانية.

«إن مظاهر هذه الدوافع والدوافع الأخرى، تتوافق وتتداخل مع الدوافع «النصرانية» الأكثر تحديدًا..»[٨]

إذن هناك «دوافع نصرانية» خاصة ومحددة لدراسة الإسلام، بهدف اختراقه وتقويضه وتنصير المسلمين.. وأصحاب هذه الدوافع – قساوسة التنصير – لا يكتفون بالأبحاث التى ينجزها أصحاب هذا الاتجاه.. وإنما هم يستثمرون كل الأبحاث – فى الإسلاميات – التى ينجزها كل أصحاب الدوافع لدراسة الإسلام..

(٨) المصدر السابق – بناء شبكة من مراكز الأبحاث – لـ «رولاند أى ميلر» – ص ٦٨١ – ٦٨٢.

الرومانسيون.. ومراكز السياسة الدولية.. والاقتصاديون، الذين يواجهون قوة الثروة الإسلامية.. والذين استنفروا عقولهم لتطويق اليقظة الإسلامية.. والأكاديميون الذين يخدمون نصرانيتهم بما ينجزونه فى الدراسات الإسلامية بالجامعات العلمانية.. إنها جبهات «الأوانى المستطرقة» تسرى ثمراتها لتخدم جيش الغرب، بكتائبه المتميزة، فى مواجهته الموحدة مع الإسلام والمسلمين!

بل لقد اعترف قساوسة التنصير فى بروتوكولات مؤتمر «كولورادو» بأن مراكز الأبحاث النصرانية التى أقاموها فى عالم الإسلام، إنما هى فى الحقيقة لدراسة الإسلام، بهدف تنصير المسلمين، وليست لدراسة النصرانية!.. وبنص عباراتهم «فإن مركز الدراسات النصرانى» فى «روالبندى» – بباكستان – هو فى الواقع مركز للدراسات الإسلامية، وهو يحاول أن يؤمن قاعدة للتفاهم المتبادل بين النصارى والمسلمين، وأن يعلم النصارى كيف ينصرون المسلمين بطريقة فعالة.. وتقدم «إرسالية إخوان القديس أندروز»، فى «لاهور» – بالهند – منزلاً مؤقتًا وتعليمًا نصرانيًا للمتحولين المسلمين الجدد.. وتسعى «رابطة تنصير الأطفال» و«إرسالية الخدمات الخاصة» لاستمالة الأطفال إلى جانب المسيح عن طريق تنظيم اجتماعات الأطفال وتجمعاتهم فى مدرسة يوم الأحد، وتقديم الوسائل السمعية والبصرية لتشجيع الأطفال على تسليم أرواحهم للمسيح..»[9]!

لقد طلب قساوسة التنصير فى ميدان دراسة الإسلام إلى جانب دراسة الثغرات – لاختراقه منها – طلبوا دراسة عوامل القوة والمنعة والصمود والجاذبية فى الإسلام؛ إما للالتفاف حولها، وتجنب مواجهتها.. أو لمحاولة كسر شوكتها.. تحقيقًا لذات الهدف: الاختراق!.. فقالوا: «إن من المأمول أن يقوم البعض بإجراء دراسة حول بواعث التحول من الأرواحية[10] أو أى مذهب آخر إلى الإسلام.. فلماذا يتحول الناس إلى الإسلام؟!..»[11]!

وتحدثوا عن صمود الإسلام أكثر من سبعين عامًا تحت قهر المادية والإلحاد الماركسى.. وكيف كان فى أذربيجان نحو ١٠٠٠ مسجد سرى سنة ١٩٦٩م؟..

---

(٩) المصدر السابق – مقارنة بين وضع النصرانية والإسلام فى شبه القارة الهندية – لـ «ريتشارد بيلى» – ص ٤٦١ – ٤٦٢.

(١٠) من الاعتقاد بتأثير الأرواح فى حياة الناس والحيوانات والظواهر الطبيعية.

(١١) التنصير: خطة لغزو العالم – المسلم المنتصر وثقافته – لـ «هارفى م. كون» – ص ١٥٠.

وكيف صمدت الجمهوريات الإسلامية فى آسيا الوسطى فى وجه اللغة الروسية.. فحتى سنة ١٩٧٠م كان ٨٣٪ من مسلمى هذه الجمهوريات يجهلونها.. وكان ٩٨٪ «يعتبرون لغتهم الأصلية هى لغتهم الوطنية، بدلاً من الروسية»!.. وكيف صمد الإسلام فى الصين، برغم ما صنعه الشيوعيون من إلغاء أوقاف المساجد والمعاهد والمدارس الإسلامية، ومنع التعليم الإسلامى، بل والختان، وفرض الزواج من «الهان» على المسلمات؟![12].

وهكذا «أوصى المؤتمر بدراسة المشاكل اللاهوتية التى تؤثر فى تنصير المسلمين، ونشر كل الدراسات التى تساعد التصرانى العامل فى هذا المجال..»[13].. سواء أكانت ثغرات داخلية.. أم ضغوطاً خارجية.. أم عوامل منعة وقوة وصمود.. فدراسة جميع ذلك – فى الإسلام والمسلمين – مطلوبة لاختراق الإسلام وتنصير المسلمين!.

* * *

وجدير بالانتباه أن هؤلاء القساوسة الذين طلبوا «زراعة» العالم بمراكز الأبحاث والدراسات فى الإسلاميات، هم الذين يدعون إلى الهروب من الحقائق عند مواجهة الإسلام!.. ويصرحون بأن عرض حقائق وثوابت وأصول وأركان النصرانية على حقائق وثوابت وأصول الإسلام، عند المواجهة سيجعل الاختراق – عن طريق التخفى والختل – أمراً مستحيلاً، فطلبوا تجاهل حقائق الدينين والالتفاف حولها وإيقاع المسلم فى حبائل «الإيمان» النصرانى قبل أن «يفهم» حقيقة هذا «الإيمان».

لقد دعوا إلى ذلك، فقالوا

«إذا كان جوهر الإيمان فى الإسلام هو التوحيد، فإنه صحيح أيضاً أن مركز الإبداع فى الإنجيل هو الثالوث الأقدس. إن مفهومى. «الرب محبة» و«يسوع هو المحبة المجسدة» هما مفهومان للرب كشخص يتجاوز مفهوم الوحدانية الحسابية للرب..

---

(١٢) المصدر السابق – المقارنة بين وضع النصرانية والإسلام فى روسيا والصين – لـ «ج. روبرت أوفير برودك» – ص ٥٠٥، ٥٠٨، ٥٠٩.

(١٣) المصدر السابق – تصدير – لـ «ستانلى مونيهام» – ص ٥

إن كل مقاييس الطبيعة غير مناسبة كلية لتعريف مفهوم المحبة الإلهية على الطريقة النصرانية التي تجعل من الإنسان إلهًا وابنا للإله في آن واحد. إن جوهر هذا المفهوم لا يمكن إدراكه إلا من خلال دائرة الإيمان، وعليه فإن المنصر يجب أن يدخل في علاقة عميقة مع المسلم تؤدي إلى الإيمان قبل أن يكون ممكنًا إدراك هذا المبدأ. إن المنصرين قد قبلوا عامة بالمنهج الذي يقول به كل من أوغسطين(١٤) وأنسلم(١٥):

«إني أؤمن حتى أتمكن من أن أفهم»!(١٦)

فهم يعترفون بأن محور الاعتقاد النصراني – الإنسان الإله وابن الإله في آن واحد – هو اعتقاد يستحيل أن يعقل أو يفهم بكل المقاييس والمناهج الطبيعية للفهم.. ولذلك يطلبون الهروب من المواجهة حوله.. ويدعون إلى إيقاع الفريسة في حبال «إيمان» غير مؤسس على «فهم».. أملاً في أن «يفهم» بعد تخليه عن إيمان إسلامي مفهوم ومعقول، ودخوله في «إيمان» لا معقول ولا مفهوم!

وهم يدعون إلى شيء مماثل هربًا من المواجهة مع الإسلام حول عقائد النصرانية في «الخطيئة الأولى» وتحمل البشرية لأوزارها – ويعترفون بقوة الموقف الإسلامي المستنكر والمنكر للاأخلاقية هذا الاعتقاد ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾(١٧) وما بنوا على هذا «الاعتقاد – اللاأخلاقي. واللامنطقي» من عقيدة «الصلب» – يدعون إلى الهروب من المواجهة مع الإسلام حول محاور الاعتقاد النصراني هذه والاكتفاء بوجود «نية الصلب» لدى اليهود للمسيح، زاعمين تضمن ذلك «قدرًا من خطيئة العالم»!. أما كيف.. فلست أدري ولا المنجم يدري!

يقولون في دعوتهم إلى منهج الهروب والمخاتلة والاحتيال:

«هنالك حاجة ملحة في الجانب السلبي تدعو إلى تحرير الفكر الإسلامي من الإحساس الخاطئ الذي يثيره مصطلح «الخطيئة الأولى» في نفوس المسلمين

(١٤) أوغسطين Augustin (٣٥٤ – ٤٣٠م) أسقف هيبون (إفريقيا)، وهو أشهر آباء الكنيسة الغربية، كان خطيبًا، ولاهوتيًا، وفيلسوفًا، وكاتبًا.

(١٥) Anselme (١٠٣٣ – ١١٠٩م) رئيس أساقفة كنتربري (إنجلترا) وأحد مؤسسي الفلسفة المدرسية.

(١٦) التنصير: خطة لغزو العالم الإسلامي – منطلقات لاهوتية جديدة في عملية تنصير المسلمين – لـ «بروس ج نيكولز» – ص ٢٢٧، ٢٢٨.

(١٧) الأنعام: ١٦٤

إن الكتاب المقدس الذي يدعو إلى أن عيسى هو المخلص يلزمه أن يواجه الحيرة الأساسية والكراهية الراسخة في الإسلام لهذا المفهوم.. وانطلاقًا من مقطع مهم في القرآن (٤: ١٥٧ وما يليها): ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (١٥٧) بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[18].. ونتيجة لاعتبارات أخرى في اللاهوت الإسلامي. فإن الإسلام يرى

١ – أن المسيح لم يصلب.

٢ – وأن الصلب ما كان من الواجب أن يحدث.

٣ – وأن الصلب لا حاجة إلى حدوثه.

فالإسلام ينكر حدوث الواقعة تاريخيًا، ويرفض احتمال حدوثها على أساس أخلاقي، كما يرفض الضرورة لها على أساس عقائدي.

أما من الناحية التاريخية. فيوجد الاعتقاد السائد برفع المسيح إلى السماء وإبداله بشخص يشبهه اعتقد خطأ بأنه يسوع.

ويجب أن نلاحظ هنا أن هذا يبقينا مع يسوع الذي حاول بعض الرجال قتله، ومع يسوع الذي كان على استعداد للمعاناة؛ لأن عملية «الإنقاذ» التي «تخلصه» جاءت في اللحظة الأخيرة فقط، وهي طبعًا ليست ذات قيمة لولا وجود خطر مهلك كان قد أضمر له؛ ولذلك فإنه لا يزال بإمكاننا أن نرى في نية صلب المسيح البشر والدواوي قدرًا من خطيئة العالم التي تمثل جانبًا كبيرًا في الكتاب المقدس للمسيح المصلوب.

ولكن التساؤلات المتعلقة بما إذا كان المسيح قد عانى حقًا، وإذا كان الرب «يصالح العالم مع ذاته» من خلال معاناة المسيح، لا يمكن مواجهتها إلا من خلال اعتقادين آخرين يتعلقان بإنكار الإسلام لصلب المسيح، فالمسلمون يعتقدون أن يسوع ما كان ينبغي أن يتعذب بهذا المعنى الذي يتضمن عجز الرب أو إهماله في الدفاع عن خادمه (بل وأكثر من هذا إن قلنا ابنه!).. ومن هذا المنطلق فإن الرب «يودع قدرته» في حقيقة أن المسيح لم يمت، علاوة على ذلك فإن تحمل عقاب الإثم نيابة عن الآخرين ليس من الأخلاق في شيء، فالقرآن

(١٨) النساء: ١٥٧، ١٥٨.

يقول: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾، إذ ليس من العدل معاقبة (أ) لذنب ارتكبه (ب)؛ ولهذا فالمسلمون يشعرون بأن فكرة البديل النصرانية هى فكرة غير أخلاقية إلى حد بعيد[١٩]».

يهرب قساوسة التنصير من لا أخلاقية ولا معقولية عقيدة الخطيئة – التى تقوم عليها النصرانية – ومن انتفاء الصدق التاريخى عن واقعة الصلب والقتل للمسيح.. ويدعون إلى الاكتفاء فى المواجهة مع الإسلام بوجود «نية للصلب» عند بعض الرجال.. متغافلين عن أن الوقوف عند هذا إنما يعنى تصديق القرآن وتكذيب الإنجيل.. وفى ذلك – مع الإقرار بلا أخلاقية عقيدة الخطيئة – نسف للنصرانية من الأساس.

* * *

أما قمة اللاأخلاقية فى هذا المنهج التنصيرى، فإنها تأتى فى دعوة قساوسة التنصير إلى صب المضامين النصرانية فى أوعية المصطلحات والرموز القرآنية، وتقديم هذا «السم فى العسل» طعماً لتنصير المسلمين.. وهم فى هذه اللاأخلاقية يقتدون – كما يقولون «باستخدام الرسول بولس للإله الإغريقى المجهول»[٢٠].. فكما وضع بولس مضامين النصرانية فى أوعية وثنية إغريقية – وهو ما أفسد النصرانية وأخرجها عن حقيقتها! – يدعون هم، اقتداء به إلى صب هذه المضامين الفاسدة فى أوعية الإسلام القرآنية، ليفسدوا على المسلمين إسلامهم بهذا التنصير.. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

إنهم يدعون إلى مزج «الصدق» بـ «الدهاء» فى هذه المهمة اللاأخلاقية.. أما نصوصهم الشاهدة على هذا المخطط فإنها تقول عن اكتشاف «الجسور» للاختراق منها.. واكتشاف «الحواجز» للالتفاف حولها.

«.. كيف يمكننا الاستفادة من نظرة الإسلام تجاه وحدانية الرب وسموه؟

كيف يتسنى لنا التغلب على قناعة المسلمين بأننا نؤمن بثلاثة آلهة؟

كيف يمكننا الاستفادة من المكانة الجليلة التى يتمتع بها يسوع فى الإسلام لنجعلها نقطة انطلاقنا لإقناع المسلمين بصحة ما يرويه الإنجيل عنه؟

---

(١٩) التنصير خطة لغزو العالم الإسلامى – اللاهوت الإسلامى – الحدود والجسور – لـ «كينيث آ. كراج» ص ٢٩٤ – ٢٩٦

(٢٠) المصدر السابق – الظرفية والتحول والتأصيل – لـ «تشارلز ر. تيبر» – ص ٢٠٩.

كيف يمكننا التغلب على النصوص القرآنية التى تكذب بعض الأجزاء المهمة من رؤية العهد الجديد؟

هل يمكن أن نحدث الناس عن الحقيقة الواردة فى المعنى الإنجيلى المجازى «ابن الرب» دون أن نستخدم التعبير ذاته لكى نتخطى سوء الفهم المتأصل فى هذه العبارة؟

كيف نستفيد من التطابق الذى نجده بين المثل الإسلامية والمثل النصرانية، وبذلك نتمكن من دعوة المسلمين إلى الإيمان بيسوع المسيح؟».[٢١]

وفى «تقرير المؤتمر» يتحدثون عن مشروع جدول أعمال مركز الأبحاث الرئيس الذى أقاموه، فنجد من مهامه: «أن تسعى المجموعة الدراسية لتحرى القضايا اللاهوتية التى لها علاقة بإيصال الكتاب المقدس إلى المسلمين. وتكون هذه المجموعة مخولة بإعداد دراسة مقابلة بالاصطلاحات اللاهوتية الإسلامية - النصرانية المهمة، وتتبع ذلك بدليل عن الجسور والحواجز الفعلية للدعوة النصرانية إلى الإسلام، وتشتمل هذه الجسور التى تربط الديانتين على مفاهيم مثل: «الرب، الحساب، الشيطان، الجنة، الجحيم، الولادة البتولية، الكهنوت، عودة المسيح ثانية، الحاجات الملحة للرجال والنساء، صلاة الرب».

أما الحواجز - بين الديانتين - المطلوب تحديدها، للالتفاف حولها والهروب منها.. فمن أمثلتها «المسائل المثيرة للجدل، مثل: حاجة الإنسان للخلاص من الخطيئة، وأهمية الصلب، وألم المسيح من أجل تكفير خطايا البشر، والثالوث المقدس، والتجسد، والاصطلاحات الدينية، وتفسير التاريخ، وعلاقته بالسياسة، ووحدة الإنجيل.. إلخ».

ونحن عندما نقابل ما يسمونه بـ «الجسور» بما يسمونه بـ «الحواجز» نجد أن جوهر النصرانية، بل كلها «حواجز» وأن المراد هو صب «الحواجز» فى «مصطلحات» إسلامية لها مضامينها المخالفة تماماً، بل والمناقضة لهذه «الحواجز» النصرانية!..

ولذلك رأينا «تقرير مؤتمر» قساوسة التنصير بعد أن أوصى بدراسة هذه القضايا، من قبل مركز الدراسات المقترح.. والذى تأسس باسم «معهد زويمر»، طلب «أن يعطى اهتمام خاص إلى علاقة هذه الدراسات بتلك النقاط المهمة

(٢١) المصدر السابق - الطرقية والتحول والتأصيل - لـ «شارلى. ر. تيبر» - ص٢١٢، ٢١٣

للاحتكاك مع الإسلام الشعبي، على مستوى الخبرة الأساسية»[٢٢]، وهي دعوة إلى سلوك «جسور» ما يسمونه «الإسلام الشعبي» أي إسلام «العفاريت والخرافات» هربًا من حقيقة الإسلام التي لا تقبل وفاقًا، بل ولا تلفيقًا مع هذه النصرانية التي فقدت جوهرها وهويتها كديانة من ديانات التوحيد!

وفي بحث آخر من أبحاث هذا المؤتمر.. حديث عن ذات القضية.. الاختراق للإسلام من خلال القرآن الكريم.. باعتبار ذلك هو الطريق المضمون للتنصير!.. يقولون:

«إذا أردنا من المسلمين أن يفهموا حقيقة جديدة، أو أن يكتشفوا مضامين أوسع من هذه الحقيقة، أوليس من الأجدى أن نستخدم القرآن ذاته - وهو المصدر الحقيقي لجميع معتقداتهم - لمساعدتهم على إدراك ذلك؟

إن النصارى غالبًا ما قللوا من قيمة كتاب المسلمين المقدس بالنسبة إلى ما نسميه إمكانات القرآن «النصرانية الكامنة».. والاحتمالات النصرانية الكامنة في القرآن.. وهذا مرده بلا شك إلى تاريخ طويل من العداء والتنافر والاتهامات المتبادلة الباطنة وإنه من الحكمة أن نترفع عن ذلك دون أن يعوق هذا الاتجاه مواجهتنا للمشاكل والمناقشات المتعلقة بنبذ بعض الأمور المنصوص عليها في بعض أجزاء القرآن أو الناجمة عن تخوفنا من المخاطر التي قد يوقعنا فيها الأمل..

فالمسألة النهائية بالنسبة إلينا ليست في كيفية تقويم القرآن في أرضه، وإنما ماهية المفاتيح والحلول التي يمكن أن يقدمها لنا لزرع الثقة بالإنجيل في العالم الإسلامي..».

فالقضية لا علاقة لها بتقويم القرآن تقويمًا موضوعيًا.. وإنما هي البحث عن «المفاتيح» التي يريدون بها فتح قلوب المسلمين، بهذه المفاتيح القرآنية: ليدخلوا فيها نقيض القرآن.. ونقيض حقيقة هذه «المفاتيح» ومع هذه البروتوكولات يتقدمون إلى الناس بمسوح الكهنة ورجال الدين.

ثم يمضي البحث نفسه ليقول: «دعونا نواصل الحديث عن الجسور، إن للقرآن والإنجيل أرضية مشتركة من الإيمان بالخالق «هو (الله) الذي يقول كن فيكون».. إن الخلق المبدع هو لله، والأرض الطيبة كذلك.. و«الأمانة» التي حملها الإنسان، والإنسان هو «خليفة» الرب في «حكم» النظام الطبيعي، وهو في ذلك مسير بإرادة إلهية، وتفهم الغاية الإلهية بالنسبة إلى العالم من خلال تسخيره

(٢٢) المصدر السابق - تقرير المؤتمر - لـ «آرثر. ف. كلاسر» - ص ٧٠

للإنسان الفلاح والزارع والتقنى والفنان والعالم الذى يمتلك ويستكشف ويستغل العالم بتفويض إلهى. كما أنه يكون مسئولاً عن أعماله هذه أمام الرب. فالإنسان مخلوق أدنى من الرب، وهو عبد للسلطة الإلهية، وخليفة ومندوب فى مواجهة الطبيعة.. والنظرة القرآنية إلى الأنبياء فى التاريخ لا تختلف كثيرًا عن مرامى أمثلة المسيح عن الكرم والكرامين والرسل. فخصوصية مهمة اليهود غير واردة ولكن مسئولية الإنسان أمام الرب فى تسخير الطبيعة عبر التاريخ حقيقة مهمة فى المفهوم الإسلامى للخلق وفى مكانة النبوة المتميزة فى التاريخ..»[٢٣].

لكن هذا الاتفاق والاشتراك بين نظرة القرآن والإنجيل إلى مكانة الخالق ومكانة الإنسان، لا يسوقها قساوسة التنصير لتكون منطقة تعاون بين الديانتين ضد الإلحاد، وضد المذاهب الوضعية والعلمانية التى تؤله الإنسان.. وإنما يسوقونها لتكون مفاتيح وجسور اقتلاع الإسلام وطى صفحة القرآن.

إنهم يتحدثون عن ضرورة التحلى بـ «الدهاء» فى «الوصول إلى المخزون النصرانى فى القرآن».. مع إدراك «الحواجز» للتغلب عليها[٢٤].

بل إنهم يدعون إلى إلباس «الإنجيل» ثياب «القرآن» الكريم.. فبعد الحديث عن استغلال «المصطلحات» كمفاتيح وجسور و«طعم» لدس النصرانية وابتلاعها.. يتحدثون عن استغلال قواعد الإملاء القرآنية.. وشكل الحرف فى اللغات الإسلامية والألقاب والتعبيرات القرآنية «كأشكال وثياب» يخفون فيها الإنجيل، ويقللون بها الرفض الإسلامى لهذا الإنجيل.. فيتحدثون – بصدد ترجمة الإنجيل إلى اللغات الإسلامية – فيقولون:

«من الممكن فى بعض الأحوال الذهاب أبعد فيما يتعلق باستعمال المصطلحات القرآنية، مع إعطاء اهتمام خاص إلى الثقافات الإسلامية، وتكييف اللغة لحروف خاصة، واستعمال قواعد الإملاء القرآنية للأسماء الإنجيلية المعروفة، واستعمال الألقاب التبجيلية والتعبيرات القرآنية..»[٢٥] فى ترجمة الإنجيل.

(٢٣) المصدر السابق – اللاهوت الإسلامى: الحدود والجسور – لـ «كينيث أ. كراج» – ص٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩٢.

(٢٤) المصدر السابق – اللاهوت الإسلامى – الحدود والجسور – لـ «كينيث أ. كراج» – ص٢٩٣

(٢٥) المصدر السابق – الوضع الراهن لترجمات الإنجيل إلى لغات المسلمين – لـ «وليام د. رايبرن» – ص ٥٥١

وهكذا نجد أنفسنا أمام ليس رجال دين، وإنما عصابة لصوص تتخفى فى زى رجال الأمن، لتسرق أغلى ما لدى المسلمين: إيمانهم بالإسلام..

والمضحك والمبكى، أن قساوسة التنصير هؤلاء لا يخشون سلطان القيم التى تعارف عليها الناس، من كل الأجناس والأديان، وهم يدعون إلى تقديم النصرانية فى أشكال إسلامية.. وإنما الذى يضعونه فى حساباتهم ويخشونه ردود فعل كنائسهم المحلية.. فيقولون: «ومثل هذه الخطوات يجب أن يراعى فيها ردود فعل الكنائس المحلية»[٢٦]..

* * *

والمنهج نفسه - منهج التحايل - يدعون لسلوكه عندما يتحدثون عن الاعتبارات والأولويات التى يجب أن تحكم اختيارهم لما يختارون تقديمه إلى الضحايا المسلمين من الإنجيل.. فينصحون بألا تبدأ عملية التنصير بنصوص الإنجيل التى تتحدث عن «ابن الرب» - كما هو شأن إنجيل مرقس -.. كما ينصحون باختيار القصص المناسب للأعياد والمناسبات الإسلامية.. فيقولون: «قليلون هم الذين يشجعون على نشر مرقس كأول كتاب، وذلك للإشارة التى ترد فى بدايته عن «ابن الرب».. وغالبًا ما يقترح بعضهم نشر مختارات خاصة بمناسبة أعياد المسلمين - مثل التكوين: ٢٢ لمناسبة عيد الأضحى - وبعضهم يرى أن يضاف عليها قصص - مثل العبرانيين - ١:١٠ - ١٨ - أو قصة العاطفة وعيد الفصح. وكذلك نشر قصة صيام المسيح وقصة إغوائه بمناسبة شهر رمضان -.. وقد تهدف المختارات مثلاً إلى تعريف النساء المسلمات بامرأة معينة فى الإنجيل..[٢٧]»

وكما دعوا إلى وضع المضامين النصرانية فى الأوعية الإسلامية، وإلى صلاة نصرانية بقيام وركوع وسجود إسلامى.. وإلى ممارسة طقوس النصرانية فى المساجد - «مسجد عيسوى».. فلقد دعوا إلى دراسة «الأشكال الممكنة لمسجد المسيح».

(٢٦) المصدر السابق - الوضع الراهن لترجمات الإنجيل إلى لغات المسلمين - لـ «وليام د. رايبرن» ص ٥٥١

(٢٧) المصدر السابق - الوضع الراهن لترجمات الإنجيل إلى لغات المسلمين - لـ «وليام د. رايبرن» - ص ٥٥٤، ٥٥٥

إنها «حرب باطنية» لا خلاق لأهلها ولا أخلاق فيها.. يريدون بها تأويل كل شيء لاقتلاع الإسلام وتنصير كل المسلمين.. إنهم - بنص عباراتهم - يقولون: «كيف يمكن الوصول إلى المسلمين من أجل المسيح على أساس تأويلات قرآنية[٢٨]».

ولا شك في أن هذا المخطط الذى يريد إفساد الإسلام بالتأويلات القرآنية، إنما يدعونا إلى أن نولي قضية تأويل النصوص حقها الواجب من الضبط والتدقيق.. فللتأويل فى علوم العربية قواعده المحددة التى ضبطها العلماء - ومنهم ابن رشد (٥٢٠ - ٥٩٥هـ = ١١٢٦ - ١١٩٨م) - فى «فصل المقال» - وأبو حامد الغزالى (٤٥٠ - ٥٠٥هـ = ١٠٥٨ - ١١١١م) - فى «فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة»[٢٩].. أما هذه الدعوات التى تنخر فى قواعد الإسلام ونصوص القرآن بـ «سوس التأويل» - ولها من أبناء العرب والمسلمين نماذج عديدة - فإن الوعى بمخططها والتصدى لمحاولاتها يجب أن يكون جزءاً من التصدى الإسلامى لهذه الحرب التنصيرية التى تريد تفريغ القرآن من المحتوى الإسلامى لتضع المحتوى النصرانى فى قوالبه ومصطلحاته بواسطة التأويل!

لقد انفتحت لهذا الخطر ثغرة فى داخل الصف الإسلامى.. وهى وإن كان لها نظائر فى الفكر الباطنى القديم.. إلا أن الجديد فيها هو مواكبتها وتزامنها وتزاملها مع هذا المخطط الذى رسمته هذه البروتوكولات لقساوسة التنصير.. فعلينا أن ننظر إليها فى هذا الإطار[٣٠].

* * *

وإمعاناً فى الفرار من المواجهة بين حقائق الإسلام والنصرانية إلى التزييف الذى يخفى النصرانية فى الأوعية والأشكال والتأويلات الإسلامية.. وزيادة فى الإيغال على ذات الدرب.. يدعو قساوسة التنصير إلى الفرار من تأمل ثمرات الإيمان الإسلامى: كى لا يصاب المنصرون بالإحباط!..

---

(٢٨) المصدر السابق - الحاجة إلى مجلة جديدة خاصة بالإرساليات التنصيرية الموجهة نحو المسلمين - لـ «س. جورج فراى». ص ٨١٥

(٢٩) انظر لأبى الوليد بن رشد (فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال) ص ٣٢، دراسة وتحقيق د. محمد عمارة، طبعة القاهرة سنة ١٩٨٣م. وانظر للغزالى (فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة) ص ٤ - ٩ طبعة القاهرة سنة ١٩٠٧م

(٣٠) من الكتابات المعاصرة التى قد تصب فى هذا المجرى كتابات الدكاترة: محمد أركون، ونصر حامد أبوزيد، وسيد القمنى.

فهم يعترفون بثمرات «التوحيد الإسلامى» على جبهة «التقوى الدينية».. ويرون فى هذه الثمرات مبعث إحباط أكيد للمنصرين!.. ولكنهم بدلاً من الموقف الموضوعي، اللائق برجل الدين، الذى يطلب الحقيقة ويتغيا الحكمة أنى وجدت؛ لأنه هو الأحق بها.. بدلاً من هذا النهج، الذى يعلمه للمسلم نبى الإسلام – صلى الله عليه وسلم – عندما يقول: «الكلمة الحكمة ضالة المؤمن»[٣١]. نراهم يحذرون من الوقوف أمام «التوحيد الإسلامى» وثمراته على جبهة «التقوى الدينية» – والتى يعترفون بتفوقها على ثمرات إيمانهم النصرانى حتى لدى المنصرين أنفسهم – ويدعون إلى الهروب من هذا الميدان – الذى هو ميدان المواجهة الحقيقية – إلى ميادين الشعوذة والخرافة والعفاريت وأساطير الجهلة والدهماء وأصحاب التدين الهامشى والاسمى – إلى ما يسمونه إسلام العامة.. والإسلام الشعبى – فيتحدثون – فى لحظة من لحظات الاعتراف بالحقيقة – عن التوحيد الإسلامى وثمراته فيقولون:

« ويمكن أن يكون العاملون فى مجال التنصير فى هذه الأيام، والذين كيفتهم الظروف، قد تأثروا كثيرًا بالتقوى والولاء الدينى للكثير من المسلمين حتى كادوا يهملون حقائق الشهادة الإنجيلية الواضحة تمامًا.. وكان تركيزهم منصبا على هذه التقوى المثيرة للإعجاب، بحيث إنهم جعلوها نقطة البداية فى تفسيراتهم اللاهوتية حول المواجهة الدينية

لقد وقفوا بكل رهبة أمام المسلم المتهمك فى عبادة الله وقوته وعظمته، وتجاوبوا مع التزامه المحسوس للخضوع لرغبة الله الغامضة («الإسلام» يعنى: الاستسلام والخضوع).

إنهم يحسدون غيرة المسلم على عبادة الرب الواحد الذى يتصرف فى ملكوته، ليس كما يفعل شيخ مستبد من الصحراء وإنما كحاكم وكمشرع أعلى، هو الواحد فوق الجميع، والرب الذى يقف وراء كل الظواهر، ولا يمكن لأى فرد أن ينجح فى مقاومة إرادته.

ومن المؤكد أن يقول هؤلاء الرجال: إن مثل هذه القوة والخشوع لله تفوق تقواهم هم. ألا تقارب هذه التقوى تقوى الرسول بولس، الذى أنشد: «فكل شيء منه وبه وإليه، فله المجد إلى الأبد» (رومية ١١: ٣٦)؟ فلماذا إذن يجب أن نميز بين تقوى الرسول بولس النصرانى وتقواهم الإسلامية؟

(٣١) رواه الترمذى وابن ماجه

سيكون غريبًا ومزعجًا أن تواجه مسلمًا ورعًا، مؤكدًا له بكل جرأة أن عبادته الدينية لا طائل منها بسبب استثنائه المتعمد لاسم وألوهية يسوع المسيح، وسيكون من الخطأ أيضًا أن تمدحه لعبادته الله، ومع ذلك فإن الرب هو المؤهل الوحيد للحكم ما إذا كانت عبادة الإنسان هى فعلاً «بالروح وبالحق» (يوحنا ٤: ٢٦)..»[٣٢].

هكذا.. وفى «لحظة صدق» أمام التوحيد الإسلامى وتقوى المسلمين الدينية، يعترف قساوسة التنصير بتفوق التقوى الإسلامية، لله «الحاكم.. المشرع.. الواحد فوق الجميع.. والذى يقف وراء كل الظواهر.. لا سبيل لمقاومة إرادته».. بتفوق هذه التقوى الإسلامية على تقواهم.. حتى لتستدعى لديهم تقوى بولس الرسول.. الأمر الذى يصيبهم ولابد بالإحباط فى مسعى التنصير لأصحاب هذه التقوى.. حتى لقد وصلوا إلى نوع من «اللاأدرية» والتشكك فى حقائق المواقف وطبائع الأمور.. من يكون على الحق؟!.. وأى الفريقين أهدى؟!.. وهل يتصور أن تحبط هذه التقوى الإسلامية، لأن أصحابها ينكرون «ألوهية يسوع المسيح» ويجعلون، بدلاً من ذلك «الله واحدًا فوق الجميع»؟!

لكن لحظة الصدق هذه لا تقود الذين يلبسون مسوح رجال الدين إلى التوبة والإنابة إلى الله الواحد الأحد.. بل ولا حتى العدول عن حرب الإسلام والتخطيط لاقتلاع هذا التوحيد والتقوى الدينية التى يثمرها.. وإنما هم – من موقع وموقف «العارف – الجاحد.. عمدًا، ومع سبق الإصرار» – يدعون إلى الالتفاف حول هذه الحقائق، وتغطيتها والتعمية على آثارها.. بل والهروب من ميدانها كلية، والتوجه إلى «خرافات.. وعفاريت» العامة – التى يسمونها «الإسلام الشعبى» و«إسلام العامة» – لأن هذا هو الميدان الوحيد الذى رأوا لنصرانيتهم قدرة على العمل فيه!

يعترفون بهذه الحقيقة.. بل بهذه الجريمة.. ويقولون:

«كل هذا يقودنا إلى لب الموضوع، فعندما يتم لقاء مباشر بين الفرد الذى حرره المسيح وبين المسلم الورع، فإن ما يظهر ويطفو على السطح نادرًا ما يكون هو الإسلام «المثالى»، أى إسلام العقيدة والممارسة، فكل من النصرانى والمسلم، فى هذا السياق يدركان بالغريزة أن ما يمكن الحصول عليه من خلال مناقشة العقيدة أو الدين قليل للغاية..».

(٣٢) التنصير: خطة لغزو العالم الإسلامى – صراع القوى فى عملية التنصير – لـ «آرثر. ف. كلاسر» – ص ١٩٣

ونحن نسأل: أي تحول ديني هذا الذي لا يتم عن طريق مناقشة العقيدة والدين؟!

وهل يكون تحول ديني حقًا إذا هرب أطرافه أو تجاهلوا قضايا العقيدة والدين؟!

وهل التحول عن الدين لأسباب دنيوية أو اعتقادات خرافية يمكن أن يسمى، علميًا وأخلاقيًا، تحولاً دينيًا؟!.. لكن لقساوسة التنصير مقاصد لا علاقة لها بحقائق الدين ولا بطبيعة العقائد الدينية.. ولذلك كان هذا هو منهاجهم المكيافيلي، الذي يجاهر بالدعوة إلى الهرب – في التنصير – من المواجهة بين عقائد كل من الإسلام والنصرانية.. والولوج إلى المسلمين من باب الشعوذة والخرافة وما يسمونه «إسلام الجن والعفاريت»!.. فيواصلون هذا الحديث، في بروتوكولاتهم، قائلين: «إن الذي يهم المسلم العادي ويشغل فكره هي محاولاته التغلب على العديد من القضايا المهمة والقوى المعادية التي تحتشد في عالمه وتقلق راحته النفسية والفكرية، فهناك السحر الذي يرغب في ممارسته، وماذا عن الروح الشيطانية التي لابد من تهدئتها واسترضائها، والتعاويذ التي يجب عليه استخدامها؟!

فهل تساعده مناشدة القديسين على مخاوفه؟ وأشياء كثيرة أخرى، وهكذا ترى باستمرار أن عالم المسلم تهيمن عليه «العين الشريرة»، والمرض، والموت، واللعنات، والسحر. فهو لا يلتزم بالإسلام القرآني. ولكن بإسلام أرواحي. يولد عن خواء في القلب بصورة مثمرة. هذا الجوع، وهذا الخواء، هو ما يجب أن يواجهه الشاهد النصراني – (أي المنصر) – حيث إن المسيح هو الوحيد الذي يستطيع أن يشبعه..»[٣٢]!

ويؤكد قساوسة التنصير «الجدوى – النفعية» للاصطياد في مياه «الإسلام الأرواحي».. إسلام السحر والعين الشريرة.. وليس في مواجهة إسلام الكتاب والسنة.. يؤكدون هذه «الجدوى – النفعية» بنجاحاتهم في هذا الميدان دون غيره من الميادين.. فيقول واحد منهم:

«.. وسوف أركز على طريقة مستمدة ومعتمدة أساسًا على التجربة، خلافًا لطريقة الإدراك المعتمدة على الحقيقة.

(٣٢) المصدر السابق – صراع القوى في عملية تنصير المؤمنين لـ «آرثر. ف. كلاسر» – ص١٩٧

إن غالبية المسلمين الذين يحتمل أن يتنصروا هم الذين يعتنقون ما يطلق عليه الإسلام الشعبى (أو إسلام العامة)، وهم أرواحيون، يؤمنون بالأرواح الشريرة والجن، ويعرفون القليل جداً عن الإسلام الأصيل. كما يؤمن هؤلاء بدرجة كبيرة بالتعاويذ التى يعتقدون أنها تمدهم بالقوة لمواجهة شرور الحياة وتحدياتها. والباب الذى يمكن من خلاله التأثير فى هؤلاء وتنصيرهم هو أن يقوم شخص بتقديم منافع دنيوية لهم، مثل ممارسة العلاج الروحى، وطرد الأرواح الشريرة.. أما فهم حقائق الكتاب المقدس الأساسية فهو مرحلة تأتى بعد..»

هذا هو المنهج الفكرى فى التحولات العقدية الذى صاغه هؤلاء القساوسة، أبناء الحضارة «العلمية – العقلانية»:

اضطياد الذين لا يعرفون سوى «القليل جداً عن الإسلام الأصيل».. من المؤمنين «بالأرواح الشريرة والجن» وتحويلهم عن الإسلام بـ «تقديم منافع دنيوية لهم» مثل «ممارسة العلاج الروحى» و«طرد الأرواح الشريرة».. أما حقائق النصرانية وكتابها فمكانه بعد أن يكون المسيح قد مارس دوره مع العفاريت!.. وهم يضربون الأمثلة الكثيرة على جدوى هذا المنهج التنصيرى.

«فعلى يد قس قبطى لديه القدرة على العلاج الروحى وطرد الأرواح الشريرة تم تنصير أعداد كبيرة من المسلمين أكثر مما تم بطريقة الوعظ.. فالنقطة المهمة فى هذا التحول بالنسبة إلى المسلمين هى «البركة» والقوى التى يطردها المنصر..»[34].

«وفى مصر تلمس المسلمون من خلال عمليات الشفاء وطرد الأرواح الشريرة قوة المسيح وقوة الإيمان»[35] ولعل الإشارة هنا إلى القصص الخرافى الذى شاع عندما مثلت بعض الجهات «مسرحية ظهور العذراء» فى بعض الكنائس بمصر أواخر الستينيات، وهى «مسرحية» دبرت وأخرجت لأسباب لا علاقة لها لا بالدين ولا بالعذراء.. بل ولا بالعلاج من الأرواح الشريرة.. فلقد كانت صراعاً مع «دوائر شريرة» لأسباب بعيدة تماماً عن هذا القصص الخرافى الذى يشير إليه المنصرون.

(٣٤) المصدر السابق – تطبيق «مقياس إينكل» فى عملية تنصير المسلمين – لـ «دافيد .أ. فريزر» – ص ٢٥٢

(٣٥) المصدر السابق – تحليل المقاومة والاستجابة لدى الشعوب المسلمة لـ «دون م. ماكرى» – ص ٢٧٠.

ومثال آخر على نجاحات التنصير فى الاصطياد بمياه «الإسلام الأرواحى» - إسلام «السحر» و«العفاريت» و«العيون الشريرة» - الذى لا علاقة لأهله بحقيقة الإسلام.. هو مثال إندونيسيا!

فلقد استغل المنصرون - كما تقول بروتوكولاتهم - تسامح «سوكارنو» (١٣١٩ - ١٣٩٠هـ = ١٩٠١ - ١٩٧٠م) - الرئيس الإندونيسى - «على المستويين الرسمى والشخصى.. وما كان لتسامحه من تأثير فى السكان».. واستفادوا من «اشتراك الأقلية النصرانية - الإندونيسية - فى جوانب عديدة من التراث العرقى واللغوى والثقافى والسياسى للمجتمع».. ومن «إدارة الأقلية النصرانية لعدد من المستشفيات أكثر مما تديره الأغلبية المسلمة».. فقاموا بترجمة الإنجيل إلى اللغة القومية لإندونيسيا.

ومع كل هذه العوامل المواتية للتنصير - والإمكانات المادية التى جعلت من إرساليات التنصير «دولة» داخل المجتمع الإندونيسى - فإن نجاحات التنصير بإندونيسيا، قد ظلت - باعترافهم - «فى المناطق غير الإسلامية»[٣٦].. وبين «أتباع ما يعرف بـ«الإسلام الجاوى»، الذى يميل إلى التوفيق بين المعتقدات، بدلاً من الإسلام القويم، المختلف تماماً..»! حتى إن ٦٣٪ ممن تنصروا كانوا «مسلمين بالاسم فقط.. ومن خلفية جاوية أرواحية»!

وكذلك الحال فى بنجلاديش.. فلقد كانت أهم نجاحات التنصير فى أبناء «طائفة نصف هندوسية ونصف مسلمة»..

وفى إفريقيا أشارت مناقشات أبحاث المؤتمر إلى أوجه الشبه بين «مفهوم الخلاص النصرانى وبين الموقف اللاهوتى» لبعض الطرق الصوفية. وإلى ما يمثله هذا الشبه من «فجوة داخل الأمة السنية يساعد على فهم الكنيسة، وحتى تقبلها، على شرط أن تكون نماذج الكنيسة مشابهة لنماذج «الطريقة» التى يتبعها أولئك المسلمون..»[٣٧].

وفى إيران تحدث أحد تقارير المؤتمر عن إمكانات التنصير بين «خمس مجموعات شعبية يظهر أنها منفتحة لدعوة الإنجيل.. مثل طائفة «أهل الحق».. الذين يختلف مذهبهم بصورة واضحة عن الإسلام الشيعى. وخاصة اعتقادهم

(٣٦) المصدر السابق - الدعوة إلى التجديد الروحى - لـ«ج أبدون أور» - ص٦٢٧ - ٦٢٩.

(٣٧) المصدر السابق - المسلم المتنصر وثقافته - لـ«هارفى م. كون» - ص١٤٤ - ١٤٦.

بالحلول والتجسد وتناسخ الأرواح، ويبلغ عددهم ٥٠٠,٠٠٠ نسمة بين أكراد منطقة كرمنشاه..»!.. وأيضا عن الإمكانات التنصيرية التى يحملها ويتضمنها التراث الفارسي.. فهو «يحمل عناصر ليس فقط نصرانية، بل يهودية أيضًا.. وعليه فإن استراتيجية فعالة يجب أن تكون مدركة لهذه الجسور الطبيعية، بل ومستخدمة لها فى التعبير عن الكتاب المقدس..»![٣٨]

* * *

و«حوض» آخر من «أحواض» المياه العكرة.. المحسوبة على الإسلام.. والتى تنبه بروتوكولات قساوسة التنصير إلى ضرورة الاصطياد فيها.. هو أتباع الفرق المنحرفة، الداخلين فى تناقضات وصراعات مع الأغلبية الإسلامية.. من مثل طائفة «الأحمدية» – فى الهند وباكستان – والتى يمكن اختراقها بالإنجيل من باب «عقيدة المهدى»، التى يمكن أن تفضى إلى القبول بعقيدة «الخلاص النصرانية»!

فـ «بالنسبة إلى الطائفة الأحمدية الإسلامية – التى كانت معادية منذ فترة طويلة للنصرانية، وتم مؤخرًا إعلان عدم شرعيتها ورفضها، كنظام إسلامى أصيل – فلربما ينفتح الباب لفرصة جديدة أمام المنصرين. فماذا يكون وقع الأمر على هؤلاء المسلمين، وهم فى حالة حرمان من حقهم الشرعى، عندما يسمعون عن يسوع باعتباره مؤسسًا لمجتمع جديد؟!».

ومثل الأحمدية.. الطوائف التى يتمحور اعتقادها حول «عقيدة المهدى».. مثل:

«المجموعة الصغيرة من المسلمين القاطنين فى شمال نيجيريا، التى مازالت موالية – برغم الاضطهاد الإسلامى لها – لزعيمها إبراهيم، ولتنبؤاته بأن الرب سوف يظهر فى يوم ما حقيقة الدين الصحيح فيما يتعلق بيسوع كلمة الرب وروح منه!، فالرسالة التى جاءهم بها منصر فى عام ١٩١٣م عن يسوع المنجز للوعد، قد حولتهم إلى المسيح» من باب العلاقة بين «المهدى» المنتظر وبين «المسيح» المخلص!.. ومن باب الأوصاف القرآنية للمسيح – ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾[٣٩].. فلقد دعا المنصرون إلى وضع المضمون النصرانى فى وعاء ومصطلح «كلمة الله»

(٣٨) المصدر السابق – مقارنة بين وضع النصرانية والإسلام فى إيران. لـ «ديفيد كاشن» – ص ٤٤٠ – ٤٤١.
(٣٩) النساء: ١٧١

و«روح من الله» لتتحول هذه المصطلحات القرآنية عن معانيها الإسلامية، فتصبح سبلاً للاختراق والتنصير.

وفي غرب إفريقيا «تأتي الأخبار عن «بنو عيسى»، وهم مجموعات كبيرة من المسلمين، الذين يتجمعون منذ فترة في قرية «بيماهيل» في منطقة «الكومبا»، في ولاية «بوش» النيجيرية، في انتظار قدوم «عيسى المهدي»، والذين التمسوا من الكنيسة الإنجيلية في غرب إفريقيا أن تشرح لهم عن يسوع، ويبدي هؤلاء الإعجاب بالشرح اللاهوتي لشخص المسيح وعمله، والذي يدور حول يسوع على أنه المهدي الذي يكسر الصلبان؛ لأنه انكسر فوق واحد منها.. فتحت سلطة هذا المهدي سيكون هناك أمن ورفاهية دائمان، حيث تعيش الجمال والأسود، والدببة والأغنام معًا، ويلعب الطفل الصغير مع الثعابين دون أن يتعرض للأذى..»[٤٠]!

وهكذا يتم الاختراق النصراني من الشبهات ومناطق التشابه الشكلي بعد القفز على المضامين التي تفصل وتباعد بين حقائق الاعتقاد في كل من الإسلام والنصرانية.. وهي شبهات ومناطق تشابه لا وجود لها في إطار الإسلام الحقيقي.. ولذلك فإنهم يبحثون عنها فيما يسمونه «الإسلام الأرواحي» الذي يعترفون بأن أهله ليس لهم من الإسلام إلا الاسم فقط.. وحتى مع هؤلاء فإنهم لا يتقدمون لهم بعقائد النصرانية - ليقينهم بأنها ستقابل بالرفض - وإنما يتقدمون بالشعوذة، التي يزعمون أنهم بها يخلصون «مرضى الأرواح الشريرة» من الجن والعفاريت!!

وهم بهذا التحايل، يزرعون «الجرثومة» ثم يتعهدون عملية نموها وفتكها - الناعمين الخفيين - بما لدى الضحايا من عقائد الإسلام.. وبنص كلماتهم، فإن هذا الأسلوب «يهدف إلى غرس روح المسيح وتعاليمه في الفكر الإسلامي والحياة الإسلامية، وبهذه الطريقة تصبح عملية التنصير مثل الخميرة التي تعمل داخل الكيان كله لتمكن الروح النصرانية وتعاليمها من إحداث التغيير الطبيعي، وبهذه الطريقة أيضًا يمكننا أن نستوعب في الحظيرة النصرانية «مسلمًا - نصرانيًا»، و«لاهوتيًا - إسلاميًا»، و«نصرانيًا - محليًا»، و«نمطًا محليًا» من أنماط «الإسلام - النصراني» المنظمة[٤١]».

---

(٤٠) التنصير: خطة لغزو العالم الإسلامي - المسلم المتنصر وثقافته - لـ «هارفي م. كون» - ص١٤٩

(٤١) المصدر السابق - نظرة شاملة عن إرساليات التنصير العاملة وسط المسلمين - لـ «جورج بيترز» - ص ٥٩٥، ٥٩٦.

أرأيتم مدى اللا أخلاقية فى التعامل مع الأديان؟!

تلك هى «الحقائق - المعلنة» من بروتوكولات قساوسة التنصير. فما بالكم بغير المعلن منها؟!.. وهذه هي مواقعها من «الأخلاقيات» المفترضة فى رجال الدين.. أى دين!

أما مواقعها من منهاج ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[٤٢]، ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ﴾[٤٣].. فمتروك أمر اكتشافها للقراء!.. لقد أعلنوا عن عزمهم، وعن خططهم لاختراق الإسلام، بكل السبل.. ومختلف الإمكانات.. ونحسب أن كشف نياتهم.. ومعرفة ثغرات الاختراق، هى المقدمات الضرورية للتحصين والحصانة، التى تحفظ على الإسلام والمسلمين استعصاء بنيانهم على الاختراق.. بل والانتقال من موقف الدفاع إلى موقف الهجوم على هذه اللاأخلاقية التى لم تتكلف حتى ستر عوراتها برغم رفعها رايات الدين!

* * *

(٤٢) البقرة: ١١١.

(٤٣) الأنفال: ٤٢.

الفصل الرابع

تنصير المسلمين
من خلال الثقافة الإسلامية !

(إن هدفنا هو غرس روح المسيح وتعاليمه فى الفكر الإسلامى والحياة الإسلامية.. وبهذه الطريقة تصبح عملية التنصير مثل الخميرة التى تعمل داخل الكيان كله.. لتمكن الروح النصرانية وتعاليمها من إحداث التغيير الطبيعى!

وبهذه الطريقة، أيضًا يمكننا أن نستوعب فى الحظيرة النصرانية: مسلمًا - نصرانيًا.. ولاهوتيًا - إسلاميًا.. ومسجدًا - عيسويًا.. وجماعة صوفية - نصرانية.. ونمطًا من أنماط الإسلام - النصرانى المنظم؟)

من أبحاث مؤتمر كولورادو
لتنصير المسلمين

الفصل الرابع

تنصير المسلمين من خلال الثقافة الإسلامية!

وكما انتقد قساوسة التنصير موقفهم التاريخي من القرآن.. واعترفوا بأن احتقارهم له قد حرمهم مما قالوا عنه إنه «مخزون نصراني» و«جسور» و«إمكانات» للاختراق.. فدعوا إلى «احترام» هو أشبه ما يكون باحترام الوحش للفريسة.. كذلك صنعوا مع «الثقافة الإسلامية»!

فلقد نقدوا موقفهم التاريخي، الذى كانوا يؤمنون فيه - وفق عبارتهم - «بأن الثقافة والحضارة الإسلامية شريرة برمتها، وليس فيها ما يمكن خلاصه، بل يجب إدانتها ورفضها جميعًا[1]».

انتقدوا هذا الموقف الذى أدانوا فيه ثقافة المسلمين وحضارتهم، لا من منطلق المراجعة التى تدعو إلى احترام الثقافات والحضارات الأخرى.. وإنما من منطلق أن هذا الاحتقار وهذه الإدانة قد جعلاهم يفرضون - فى التنصير - الثقافة الغربية مع النصرانية.. الأمر الذى أدى إلى قيام حاجزين بين المسلمين وبين الارتداد عن الإسلام إلى النصرانية.

أولهما: أن ربط الثقافة الغربية بالنصرانية قد جعل المسلمين ينظرون إلى النصرانية باعتبارها «ديانة أجنبية».. ديانة الغرب.. الذى كان غالبًا، إن لم يكن دائمًا، المستعمر والمستغل والعنصرى والجلاد.. فزاد ذلك من ارتباط المسلم بإسلامه باعتباره المعبر عن هويته الحضارية.. وعمق من نفوره من النصرانية، باعتبارها ديانة الثقافة الأجنبية والاستلاب الحضارى.

وثانيهما: أن الذين حدث أن تحولوا عن الإسلام إلى النصرانية، قد اقتلعوا، لا من الإسلام وحده، كدين، وإنما من الثقافة الوطنية والقومية.. فكانوا كالسمك

(١) المصدر السابق - حان الوقت المناسب لمنطلقات جديدة - لـ «دون ماكرى» - ص١٢

الذي انتزع من الماء!! لقد غدوا أجانب في محيطهم معزولين عن ذويهم حتى لقد نظر إليهم مواطنوهم كغرباء.. بل وكخونة.. ومن ثم فإنهم تجاوزوا حدود العجز عن نشر النصرانية في محيطهم، إلى حيث أصبحوا عالة وعبئا على إرساليات التنصير.

انتقد قساوسة التنصير في بروتوكولات مؤتمر «كولورادو» احتقارهم ونفيهم للثقافة الإسلامية، لا من موقف إحلال الاحترام محل الاحتقار، وإنما لأن هذا الاحتقار قد صرفهم عن العمل على اختراق هذه الثقافة، وزرع النصرانية في أوعيتها ومصطلحاتها ورموزها وأنماطها وعاداتها وتقاليدها وأعرافها.. ومن ثم قرروا – كما حدث منهم مع القرآن – دراسة الثقافة الإسلامية، للتنصير من خلالها وبوساطتها، مع التغيير التدريجي الذي ينفيها كلما نما المحتوى النصراني لدى المرتدين!

لقد أرادوا الالتفاف حول ما أسموه «الصدمة الثقافية» التي كانت تحدث للمتنصر، عندما كانوا يجبرونه «على قبول المفاهيم الثقافية والاجتماعية الخاصة بالمنصر، سواء أكان بروتستانتيا أم غير ذلك» الأمر الذي كان يؤدي إلى «موته ثقافيا واجتماعيا – حتى ولو لم تطبق عليه عقوبة الموت فعليا – حيث يعزل ويطرد. وعندما يطرد المجتمع الاسلامي مثل هؤلاء الناس، ويشارك المنصر في العملية عن غير دراية، باحتضانه لهم، والترحيب بهم، وتلقينهم التقاليد الثقافية للكنيسة، تتم ممارسة عملية الاقتلاع وترسيخها دون أية محاولة للتصدي لها، وتكون النتيجة عزل المسلم المتنصر عن أبناء جلدته وثقافته وبيئته التي يمكن أن يكون أكثر تأثيرا فيها»[٢].

فليس إيمانا حقيقيا بالتعددية الثقافية، كسنة من سنن الله في الاجتماع البشري.. ولا احتراما حقيقيا للثقافة الإسلامية، كان نقد قساوسة التنصير لتاريخهم في فرض الثقافة الغربية مع النصرانية في عملية التنصير.. وإنما هو «تكتيك».. و«طعم» و«التفاف» حول العقبات التي رأوها متمثلة في الثقافة الأجنبية أكثر مما هي متمثلة في النصرانية كدين!

وفي نقد هذا «التحويل الثقافي» الذي رأوه عقبة أمام «التحويل الديني» اتفقت آراؤهم، في البحوث والمناقشات فقالوا:

«إن التقليد المتبع هو أن إرساليات التنصير كانت ترفض دائما ثقافة المسلم المتنصر، وتفرض عليه ثقافة المنصر، وعملية الاقتلاع هذه، والإصرار

---

(٢) المصدر السابق – حان الوقت المناسب لمنطلقات جديدة – لـ «دون ماكري» – ص ١٢، ١٣.

على هذا التحويل المزدوج، أي تحويل المسلم إلى المسيح أولاً، وإلى ثقافة المتصر ثانيًا، قد تكون حقًا أهم أسباب عدم فعالية العمل في صفوف المسلمين.[٣]». ولذلك «فإنهم يرفضون الدين النصراني لا كراهية له، ولكن لعدم رغبتهم في أن تحتويهم ثقافة أخرى، ويبدو أننا وعلى امتداد التاريخ الطويل للعلاقات النصرانية – الإسلامية، قد أخطأنا في اتجاهين ملحوظين:

أولاً: لقد فشلنا في النظر للمسلمين باعتبارهم شعوباً مختلفة عرقيًا.

ثانيًا: لقد تأثرت نظرتنا الحالية إليهم بمئات السنين من التعصب العرقي لثقافتنا الدينية.[٤]».

إنهم يعترفون بممارستهم احتقار الشعوب غير الغربية.. والثقافات غير الغربية.. وعلى الرغم من هذه الأوهام التي جعلتهم يعلقون الفشل على كراهة المسلمين للتحول الثقافي، وليس كراهيتهم للتحول والارتداد الديني – وهي أوهام تفصل الإسلام الدين عن الثقافة الإسلامية – لأن أصحابها يغفلون – بسبب نصرانيتهم، التي لا تمثل منهاجاً شاملاً للدين والثقافة والاجتماع والسياسة والاقتصاد والأخلاق.. وكل مناحي العمران – ، معرفة وتطبيقا ، برغم هذه الأوهام التي جعلتهم يغفلون عن ارتباط الإسلام بثقافته. وعن أن ارتباط المسلم بالثقافة الإسلامية إنما هو ثمرة من ثمرات ارتباطه بمصدر صبغتها التي ميزتها، وهو الدين الإسلامي.. برغم ذلك.. فلقد استمرت نصوصهم تتحدث عن مخطط عزل الإسلام عن الثقافة الإسلامية، وضرب الدين من خلال الثقافة، كمخطط جديد للتنصير.. فقالوا: «إن تجرؤنا – نحن الغربيين – على القيام بنقل ثقافتنا الغربية إلى أنحاء العالم، والترويج لها في الهند وإفريقيا والشرق الأدنى كحقيقة من حقائق الكتاب المقدس، وجعلها مساوية للمسيح، يبدو سلوكا منافيًا للطبيعة والعقل، فإذا كانت هذه الأنماط الدينية عزيزة علينا إلى مثل هذه الدرجة، وذات مغزى بالنسبة إلينا، وإن التخلي عنها يولد مشاعر عميقة وردة فعل. فكيف يجب أن يشعر المسلم الذي يتقبل رسالة المسيح عندما نصر على أن نجرده من كل ما يعرفه وكل ما اعتاده[٥].

(٣) المصدر السابق – حان الوقت المناسب لمنطلقات جديدة – لـ «دون ماكري» – ص ٩.

(٤) المصدر السابق – تحليل المقاومة والاستجابة لدى الشعوب المسلمة – لـ «دون ماكري» – ص ٢٦٤

(٥) المصدر السابق – استمالة المسلم عن طريق تجسيد شمائل المسيح – لـ «بشير عبدالمسيح» – ص ١٢٠

لقد انتقدوا تاريخهم فى «التحويل الثقافى» وفى فرض الثقافة الغربية مع النصرانية.. ودعوا إلى تنصير المسلمين عن طريق «استخدام لغتهم، وضمن مفهومهم الثقافى، وتمشيًا مع المكان الذى يعيشون فيه.[٦]»..

* * *

وبعد هذا النقد لتاريخهم فى الغزو والقهر والتحويل الثقافى والذى رأوه قد قادهم فى التنصير إلى طريق مسدود.. حتى قالوا إنه «قد يكون حقًا أهم أسباب عدم فعالية العمل فى صفوف المسلمين..» وطرحوا التساؤل:

«هل من الممكن أن يكون السبب الأساسى فى عدم تنصر المسلمين، على نطاق واسع، سببًا ثقافيًا وليس لاهوتيًا؟»(٧) عقدوا حلقات الدرس التى بحثت قضية التعددية الثقافية للأمم والشعوب والأعراق.. وعلاقتها بالتنصير.. بل والتأصيل النصرانى لهذه التعددية فى مناهج التنصير الأولى، وخاصة عند بولس الرسول!

والأمر الذى يعكس عظم الآمال التى علقوها على التنصير من خلال التعددية الثقافية - وليس من خلال التحويل الثقافى - أنهم عقدوا لبحث هذه القضية مؤتمرين: أولهما سنة ١٩٧٧م فى «باسدينا»، والثانى من ١٦ - ٢٠ من يناير سنة ١٩٧٨ فى «ويلوبانك»، ثم ذهبوا إلى مؤتمر «كولورادو» بمخطط مدروس ومرسوم فى هذا الطريق الجديد لاختراق الإسلام!

ولقد تحدثوا فى «تقرير المؤتمر» عن هذين المؤتمرين اللذين تخصصا بدراسة هذه القضية، فقالوا: «لقد حيا مؤتمر «باسدينا» للمشاورات، الذى عقد سنة ١٩٧٧م، الإرادة الربانية التى قضت بتعدد واختلاف الأقوام والثقافات التى تكون الجنس البشرى.. وأعقب ذلك مؤتمر «ديلوبانك» للمشاورات الذى عقد سنة ١٩٧٨م من أجل التعمق فى دراسة العلاقة المتبادلة بين كتاب يسوع المسيح المقدس وبين الثقافة، وضمن هذا التعاقب تمت التهيئة لمؤتمر أمريكا الشمالية حول تنصير المسلمين كى يركز على كيفية الوصول إلى المسلمين.. ودراسة معطيات الكتاب المقدس الواسعة التى تنطبق على ثقافتهم الإسلامية.[٨]»..

(٦) المصدر السابق - الوصول إلى الذين لم يتم الوصول إليهم - لـ «مجموعة العمل الاستراتيجية» ص ٩٠٠.
(٧) المصدر السابق - تطوير وسائل جديدة تساعد فى تنصير المسلمين - لـ «دونالدز ريكاردز» - ص٦٤٣.
(٨) المصدر السابق - تقرير المؤتمر - لـ «ارثر. ف. كلاسر» - ص ٤٤، ٤٥.

كما تكشف لنا معالجة قساوسة التنصير لهذه القضية – قضية التعددية الثقافية – ودورها في الاختراق التنصيرى للإسلام كيف تتكامل كل جهود القوى والاتجاهات والمؤسسات الغربية، فتتوحد ثمرات أبحاثها ودراساتها لتصب في ترسانة الحرب المعلنة ضد الإسلام وأمته وحضارته وعالمه!

فلقد استعان قساوسة التنصير في بحث هذه القضية بجهود موازية كان يقوم بها علماء الأجناس البشرية الغربيون.. وكتبوا يقولون إنه «بينما كانت هذه الأفكار تتبلور وتتطور في صفوف دوائر التنصير، كانت العناية الإلهية تهيئ أيضًا أناسًا آخرين يحملون أفكارًا أخرى، فقد أعطى علماء الأجناس البشرية، من النصارى، وغير النصارى، اهتمامًا كبيرًا للثقافات والمجتمعات الإسلامية، وراقبوا المسلمين في أماكن وجودهم وحددوا وشرحوا القوة المحركة في صفوفهم، وبدأت عبارات «الإسلام الشعبي» أو «الإسلام المعمول به بين الناس» تظهر في كتاباتهم، وتفتح الطريق أمام آفاق جديدة كثيرة لا تنطبق على التصور التقليدي للإسلام، ويظهر من الوصف الذي قدمه أولئك العلماء أنه لا توجد ثقافة إسلامية جامدة إطلاقًا. ولاحظوا إمكانية تحديد ثلاثة تيارات متكررة في هذه الثقافات والمجتمعات:

فقد وجدوا أن التراث الثقافي والديني الذي سبق الإسلام واضح جدًا، وفي الكثير من الأحيان يغلب على التقاليد الإسلامية التي فرضت أو قبلت طواعية.

كما أن هذين التيارين يتفاعلان، في آن واحد، مع تأثيرات التيار العلماني الحديث، الغربي أو الشيوعي.

وقام علماء آخرون يتبادلون وجهات النظر في كيفية حدوث التغيير الاجتماعي، ودور المجددين وكيفية سقوط الصيغ القديمة، لتحل محلها صيغ جديدة..»[٩].

ولقد وضع هذا النص يدنا على حقائق عديدة جدير بها أن تنبه الغافلين:

• فالتنصير يستثمر كل ثمرات البحث الذي يجري في المجتمعات الإسلامية، على اختلاف ميادين هذا البحث.

• ومراكز البحث والعلماء الذين يقومون بمسح عقول وثقافات ومجتمعات المسلمين، ليسوا هم النصارى فقط، بل إن منا من يشاركون في تعريف الأعداء بسبل ومناهج وآليات اختراقنا واحتوائنا وتنصير أمتنا!

(٩) المصدر السابق – حان الوقت المناسب لمنطلقات جديدة – لـ «دون ماكري» – ص ١٤، ١٥.

• وإن تحول التنصير إلى اختراق الإسلام من ثغرة التعددية الثقافية لايكتفى باكتشاف تميز ثقافتنا الإسلامية عن ثقافته الغربية.. بل إنه يركز على اكتشاف الثغرات فى التعددية الداخلية بثقافتنا الإسلامية.. فالاختلاف فى التصورات للإسلام - ما يسمى بـ «الإسلام الشعبى»، و«الإسلام المعمول به بين الناس»، و«الإسلام المثالى».. إسلام القرآن والسنة، وكذلك ما يسمى بالثقافات الفرعية - المواريث الثقافية السابقة على ظهور الإسلام - والثقافة العلمانية الوافدة على المجتمعات الإسلامية ..إلخ.. إلخ.

كل هذه الألوان من التعددية الثقافية.. مع محاولة خلق «تجديد لا إسلامى» لعله أقرب إلى «الحداثة» بالمعنى الغربى.. ولا علاقة له بالتجديد الذى هو سنة من سنن الله فى الفكر - بنظر الإسلام - وذلك لفتح ثغرة أخرى بين هذا اللون من «التجديد» وبين «الصيغ القديمة» والموروثة.

كل هذه الألوان من التعددية أرادها قساوسة التنصير ثغرات لاختراق الثقافة الإسلامية منها وصولاً إلى إزاحة الإسلام وطى صفحته بتنصير المسلمين!

ولقد انطلق المنصرون من ثمرات أبحاث علماء الأجناس البشرية حول التعددية الثقافية، إلى البحث فى جهود التنصير التى قام بها أسلافهم، لإعطاء مخططهم الجديد - التنصير من خلال الثقافة الإسلامية وليس بالتحويل عنها - مشروعية نصرانية. لتقتنع بهذا المخطط الجديد كل إرساليات التنصير، والقوى النصرانيةُ المحافظة التى تمول هذه الإرساليات!

ولقد وجدوا فى تميز أسلوب بولس الرسول، عندما أدخل المضمون النصرانى فى الثقافة الإغريقية - بما فى ذلك رموزها وتقاليدها - تراثًا مرجعيًا يقيسون عليه. فإذا كان بولس قد تميز فى ذلك عن أسلوب المسيح، الذى وضع النصرانية فى القوالب اليهودية.. فإن من حقهم اختراق الإسلام بالمضامين النصرانية يضعونها فى قوالب الثقافة الإسلامية.. ذهبوا إلى التأصيل على هذا النحو، وكتبوا يقولون:

«إن المسيح والرسول بولس قد اتخذا سبلاً مختلفة اختلافًا جذريًا فى نشر الرسالة، فقد قال المسيح إن النبيذ الجديد ينبغى أن يصب فى قرب نبيذ جديد، وكان يتحدى دائمًا قادة اليهود فى كل ما يتعلق بالتقاليد الثقافية للتعاليم التوراتية، والتى حاولوا اعتبارها مطلقة لا تقبل الجدل..

أما بالنسبة إلى الرسول بولس، فقد اقتحمت القضية لديه حواجز اليهودية الفلسطينية، وصبت في الثقافات المختلفة في حوض البحر الأبيض المتوسط. وفيما يتعلق بالتعابير الثقافية الخاصة بكل مجتمع. فقد كان يخاطب الإغريقي كأنه إغريقي، واليهودي كأنه يهودي، والخاضعين للقانون والخارجين عليه كأنه واحد منهم. والجدير بالذكر أنه يمكن تقصي طريقة تفكير الرسول بولس في النهج الذي سلكه المسيح. وإذا تمعنا في الطريقة التي كان المسيح يخاطب بها أبناء الثقافات المختلفة، من سامريين وإغريق وفينيقيين، فإننا ندرك أنه لم يحاول قط أن يفرض عليهم الأنماط اليهودية، بل كان يسمح لهم بالحفاظ على هوياتهم وثقافاتهم، وأن يتجددوا فقط عن طريق لقائهم به..»(١٠).

ثم استشهدوا بتراثهم الحديث أيضًا. فهذا هو مارتن لوثر (١٤٨٣ - ١٥٤٦م) صاحب الإصلاح البروتستانتي، قد قدم «نصرانية ألمانية»، الأمر الذي يزكي أن تكون للكنائس الإنجيلية في المحيط العربي «نصرانية عربية»! ذلك «أن أقرب خطوة مماثلة للجسر التقليدي الذي بناه الرسول بولس للعبور من اليهود إلى غير اليهود نشهده بوضوح في تجارب مارتن لوثر، الذي حاول أن يوفق بين ثقافتين مختلفتين. وكما هو الحال مع الرسول بولس. فإن مارتن لوثر قد خاض تجربة تنصيرية في إطار أنماط الثقافة الناقلة (النصرانية اللاتينية)، ومهما ظلت النصرانية اللاتينية طبيعية في نظر «جوهان ستوبتيز»، المتخصص بدراسة تجربة الرسول بولس، والذي سهل على لوثر اكتشاف المسيح وسط الأشكال اللاتينية، إلا أن لوثر (الذي كان ألمانيًا أكثر مما كان بولس إغريقيًا) قد أدرك بالتدريج أن الشعب الألماني لا يحتاج إلى انجيل مكتوب باللغة المحلية فحسب، ولكنه يحتاج إلى عقيدة حقيقية لا يشترط تعريفها الالتزام بقوانين أو مبادئ أية ثقافة أخرى، وبخاصة التراث اللاتيني. لقد كان لوثر من المتهودين حديثًا، وبعد ذلك أنكر الحاجة إلى العلاقة اللاتينية، وأصبح داعية إلى التراث الألماني النصراني. وقد دافع «المتهودون» من أمثال «جون إيك»، دفاعًا شديدًا عن عالمية الأنماط اللاتينية. بما في ذلك الترجمة اللاتينية المعتمدة للكتاب المقدس من قبل الكنيسة الكاثوليكية، بينما أصبح لوثر لكل من يفهمه فهمًا صحيحًا، النموذج الأصلي للقائد الوطني المتمسك بتقاليد نصرانية الأصل محلية الصبغة»(١١)!

(١٠) المصدر السابق - حان الوقت المناسب لمنطلقات جديدة - لـ «دون ماكري» - ص١٠، ١١.

(١١) المصدر السابق - الحاجة إلى مركز للقيادة في أمريكا الشمالية - لـ «رالف دي ونتر» - ص٧٦٢، ٧٦٣.

ومن هذا «التأصيل» لصبغ النصرانية بالصبغة الإغريقية - فى تجربة بولس - وبالصبغة الألمانية - فى تجربة لوثر - تقفز قساوسة التنصير إلى قضيتهم: اختراق الإسلام بنصرانية ذات أشكال ورموز وصبغة من الثقافات الإسلامية.. فقالوا:

«لقد جسد الرسول بولس المسيح فى شكل يهودى كى يصل إلى اليهود، وجسده فى شكل وثنى كى يصل إلى الوثنيين. فهل لدينا الجرأة على سلوك مسلك يسوع والرسول بولس، وأن ندعو إلى «مسيح متجسد بشكل إسلامى» كى نصل إلى المسلمين!

فما المدى الذى نحن على استعداد للذهاب إليه كى نجسد المسيح فى بيئة إسلامية؟

هل يمكننا أن نكون قد اتبعنا النموذج الذى أعطانا إياه المسيح فى التجسد إذا قمنا بلبس العمائم والجلاليب وذهبنا إلى أماكن عبادتهم، حتى لو نظر إلينا الناس، خطأ، كمسلمين..؟!»[١٢].

وإذا كان هؤلاء القساوسة قد سموا هذه «اللاأخلاقية» «تجسيداً لشمائل المسيح».. فإننا ندع لهم «الحرية» فى تسمية تلك «اللاأخلاقية» «شمائل» مع استنكارنا نسبتها إلى «المسيح» عليه السلام!

لكننا لا ندع هذا الموقف دون التنبيه على حقيقة أن تجربة بولس الإغريقية قد أدت إلى تطويع النصرانية للثقافة والحضارة الإغريقية، وليس العكس.. وبعبارة قاضى القضاة عبدالجبار بن أحمد الهمدانى (٤١٥ هـ/ ١٠٢٤م) فإن النصرانية عندما دخلت روما، لم تتنصر روما، ولكن النصرانية هى التى ترومت! فتصور التنصير مع قبول الثقافة الإغريقية هو وهم.. وهذا هو الذى جعل النصرانية مجرد «تراث» فى الحضارة الغربية، ولم يجعل هذه الحضارة نصرانية فى الحقيقة والجوهر والروح والهوية!

أما فى تجربة مارتن لوثر فإن المغايرة بين الثقافة الألمانية وبين الثقافة اللاتينية لا تبلغ الحد المساوى لمغايرة الثقافة الإغريقية للأصول الشرقية للنصرانية.. ومن ثم تم الإصلاح البروتستانتى فى حدود ذات الدين.

بينما الحال مع الإسلام مختلف تماماً.. فالإسلام هو المكون الأول والصابغ الأول لثقافتنا الإسلامية التى يمثل الإسلام هويتها.. فتصور فك الارتباط بين

(١٢) المصدر السابق - استمالة المسلم عن طريق تجسيد شمائل المسيح - لـ «بشير عبدالمسيح» - ص ١١٧

الإسلام الدين وبين الثقافة الإسلامية فيه غفلة عن التأثيرات الثقافية للإسلام في ثقافة المسلمين - باعتبارها منهاجًا شاملاً للثقافة وغيرها من مناحي العمران الحضاري.. فهناك استحالة لوضع المضمون النصراني في الثقافة الإسلامية؛ لأنها لن تكون عندئذ إسلامية.. ومن ثم فسيكون المسلمون رافضين للتنصير؛ لأنهم سيجدون أنفسهم أمام تحويل ثقافي واقتلاع ثقافي متمثل في نفي إسلامية ثقافتهم، والذي هو نفي لهذه الثقافة بإطلاق!

لكن قساوسة التنصير قد أعماهم الله عن إدراك هذه الحقيقة.. أو هم تغافلوا عنها، فمد الخيال آمالهم في طريق جديد للتنصير يخرجهم من الإحباط الذي أفضت بهم إليه الجهود التي بذلوها قبل هذا المؤتمر الذي عقدوا فيه هذه البروتوكولات:

فمضوا في رسم معالم هذا الطريق الجديد.

* * *

لقد حددوا الأهداف.. وهي: تنصير المسلمين، وتحويلهم عن الإسلام.

أما الثقافة الإسلامية والقوالب الاجتماعية الإسلامية فإنهم لم يروها عائقًا أمام تحقيق أهدافهم، بل لقد رأوا في استخدامها فوائد جمة ترجح في ميزان التنصير، محاولات اقتلاعها مع الإسلام الدين.. فقالوا: «إن تحديد الأهداف هو الخطوة الأولى التي يجب اتخاذها لتطوير أسلوب جديد.. والهدف هو: إيجاد مجموعات من أبناء الرب - (المتنصرين) - في أوساط ما يسمى «الثقافة الإسلامية».. وتكون هذه المجموعات

١ - ملتزمة بولاء الإيمان للرب وفقًا للوحي الإنجيلي

٢ - تؤدي وظيفتها من قالبها الاجتماعي - الثقافي[١٣]».

لقد دعوا إلى قبول «الأشكال والأنماط» الإسلامية، مع ملئها بالمضامين النصرانية

«إن مضمون صلاتنا ووعظنا موجود بكل وضوح في الكتاب المقدس، ولكن الشكل والنمط قد ترك دون تحديد[١٤]»!

وهنا من حقنا أن نتساءل

إذا لم تكن في النصرانية أشكال وأنماط للعبادات.. فأي دين هذا الذي به يبشرون؟!

(١٣) المصدر السابق - كنائس ملائمة للمتنصرين الجدد في المجتمع الإسلامي - لـ «تشارلس كرافت» - ص ١٦٩

(١٤) المصدر السابق - استمالة المسلم عن طريق تجسيد شمائل المسيح - لـ «بشير عبدالمسيح» - ص ١٢٠

وإذا كانت فيها للعبادات أشكال وأنماط، بينها وبين المضامين علاقات. فأى رجال دين هؤلاء الذين يفسدون دينهم ويشوهونه ويقطعون أوصاله، لا لشيء إلا لإفساد دين المسلمين؟!

ثم ألا ترتبط الأشكال والقوالب والأنماط والهيئات فى العبادات الدينية بمضامين هذه العبادات؟! إن ذوى العقول لا يختلفون فى ذلك.. بل ويجعلون هذا الارتباط قانونًا فى كل الميادين، فى الآداب والفنون: علاقة للشكل بالمضمون، وفى أنماط الحياة: علاقة للهيئات بالقيم والأخلاق، وفى العبادات كذلك علاقات بين الهيئات والأماكن وبين المضامين.

وإذا كان «الصب» – كما يقولون – «تفضحه عيونه».. فإن بعضًا من كلمات قساوسة التنصير تعرى نفاقهم، عندما تشير إلى أن قبولهم بالثقافة الإسلامية، ليس فقط فك ارتباطها بالإسلام وتوظيفًا لها في التنصير – وهو ما يعترفون به ويدعون إليه – وإنما هو قبول مراوغ ومنافق.. لأنهم يتحدثون عن ضرورة «تطهير» هذه الثقافة الإسلامية من «تلك العناصر التى لا تخدم هدف» التنصير!

وهنا نسأل عن الجديد.. أليس هذا هو «التحويل الثقافى»؟.. لكنه فى المخطط الجديد يتم بالتدريج ومع تزايد جرعات التنصير، حتى لا تحدث «الصدمة الثقافية» التى كانت تحدث عند التحويل الثقافى المفاجئ.

إنهم يتحدثون عن هذا «التطهير» للثقافة الإسلامية – التى يريدون فك ارتباطها بـ «الإسلام» – فهو، إذن تطهير لها من إسلاميتها.. فهل تصبح بعد ذلك «إسلامية».. وفيم إذن الحديث عن قبول الثقافة الإسلامية وأنماطها وأشكالها وقبول القوالب الاجتماعية للحياة الإسلامية؟

إن الحديث عن «أن يسوع كان يحب أن يتجسد فى أية ثقافة من الثقافات، حيث يقوم هو طبعًا بتطهير تلك العناصر التى فيها والتى لا تخدم هدفه، كما يحرم الممارسات الآثمة. ولهذا فإن رسول يسوع، غير المتحيز إلى المسلمين، سوف يجد فى الثقافة الدينية الإسلامية الشيء الكثير الذى سوف يكون بعد تطهيره من قبل المسيح أداة رائعة يمكن من خلالها أن يظهر المسيح نفسه لهؤلاء الناس..»[١٥]!

إن هذا الحديث يفضح المخطط، بل ويجرده من عناصر «الجدة».. فنحن أمام ذات المخطط القديم.. التحويل الثقافى.. ولكن بالتدريج، المسخ الثقافى.. ولكن

(١٥) المصدر السابق – استمالة المسلم عن طريق تجنيد شمائل المسيح – لـ «بشير عبدالمسيح» – ص ١٢٠

بأسلوب ناعم، اقتلاع الثقافة الإسلامية.. تحت شعار تطهيرها من إسلاميتها، ويبقى التنصير غزوا فكريا غريبا فى الدين والثقافة جميعا، ويبقى حديث قساوسة التنصير عن «التعددية الثقافية» ضربا من النفاق الرخيص.

ولنتأمل جيداً العبارة الآتية فهى «اعتراف» بهذا المخطط.. مخطط قبول «لافتة» الثقافة الإسلامية لاقتلاعها بعد ذلك، لكن بالتدريج.. تقول عبارة البروتوكولات:

«نرجو أن يلاحظ أننا لا نلعب لعبة الحقائق النسبية الثقافية، فما يحتاج إلى تغيير فى ثقافة المسلم سوف يتم تغييره، آملين فى أن يكون ذلك عن طريق الكنيسة التى ستنشأ، ومن خلال زيادة الفهم والإدراك الروحى..».

والقضية هى قضية «المحافظة على أكبر قدر ممكن من الخلفية الثقافية كى نساعد المسلم العيسوى على أن يشعر أنه بتنصره وإيمانه بالمسيح فإنه لم يكن عليه أن ينتقل من ثقافته إلى ثقافة أجنبية غريبة عليه، وهذا العمل يتطلب منصرًا من نوعية خاصة جدًا للقيام به»..

فجديد هذا المخطط لا يتعدى، فى هذه القضية – قضية الموقف من الثقافة الإسلامية – تحاشى الانتقال الفجائى – كى لا تحدث «الصدمة الثقافية» – التى – كما يقولون –: «تؤدى إلى شعور بفراغ اجتماعى يؤدى إلى هروب عدد كبير من المتنصرين..»[١٦].

فبدلاً من التحويل الثقافى المفاجئ، يتم «التطهير» التدريجى للثقافة الإسلامية من إسلاميتها، وإحلال المضمون النصرانى محلها.. فتصبح بإزاء ثقافة غير إسلامية!!

وبدلاً من استخدام «السين» – سنغير – يستخدمون «سوف» – «فما يحتاج إلى تغيير فى ثقافة المسلم سوف يتم تغييره..»!

هذا هو الجديد.. وتلك هى «التعددية الثقافية» التى يتحدثون عنها، والتى ذهبوا يؤصلونها حتى من الإنجيل، ولدى بولس الرسول!!

* * *

وإذا كان عجيباً أن نتحدث عن ثقافة «إسلامية» بعد نزع الصبغة «الإسلامية» عنها.. فإن الأشد عجباً هو حديث هؤلاء القساوسة عن فك الارتباط

(١٦) المصدر السابق – تطوير وسائل جديدة لتساعد فى تنصير المسلمين – لـ «دونالد ر. ريكاردز» – ص ٦٤٦، ٦٤٧.

بين «مضامين» أركان الإسلام الخمسة وبين «أشكالها».. والزعم «بأن أركان الإسلام الخمسة تتوافق جوهريا مع الكتاب المقدس فى معظم أشكاله، وإن كانت تختلف أحيانًا فى المضمون..»[١٧].

فشهادة أن لا إله إلا الله، لا تعصف، فقط، بمضامين النصرانية.. وإنما تفضى إلى رفض أشكال عباداتها المؤسسة على عقيدة الخطيئة والخلاص والتثليث.. كما أنها تحدد وتكرس «التوحيد» الخالص كمكون أساسى «لأشكال» العبادات فى الإسلام.. فتوهم فك الارتباط بين مضامين الدين الإسلامى وأنماط عباداته وأشكال شعائره، ومثل ثقافته، والقيم الاجتماعية لأمته وحضارته، هو وهم من أوهام قساوسة التنصير!

لكننا – لمزيد من فضح معالم المخطط – نواصل عرض النصوص التى تعلن عن أبعاده.. وذلك من مثل قولهم:

«فالمسلمون فى حاجة «لأن يتم اللقاء بهم داخل إطار الإسلام»، و«الثورة الروحية يجب أن تحدث داخل الإطار الاجتماعى للمتنصر»، «هل نستطيع أن ننقل المسيح الحى، بكل قدرته على الشفاء وطرد الأرواح الشريرة والخلاص إلى داخل العالم الحقيقى للمسلم العادى.. دون إدانة ضمنية لتراثه القومى والثقافى..»[١٨]؟

«ومن البديهى أن الناس يكونون أكثر رغبة فى تقبل الإنجيل عندما يقدم إليهم بطريقة ملائمة غير غريبة عن ثقافتهم. وعندما يستطيعون الاستجابة اليه بمشاركة أبناء جلدتهم معهم.. فالرفض الإسلامى للكتاب المقدس فى بعض المجتمعات الإسلامية قد يكون سببه حواجز ثقافية ولاهوتية فى نفس الوقت..»[١٩].

وهم قد هربوا من المواجهة على جبهة «الأسباب اللاهوتية».. وسلكوا سبل الخداع والتمويه على جبهة «الأسباب الثقافية»!

لقد دعوا إلى التنصير من خلال «الثقافة السوداء» فى إفريقيا.. وكتبوا عن التنصير فى السنغال – ذات الأغلبية المسلمة – يقولون «يجب علينا أن نتحرك عبر الإسلام وعبر الثقافة السوداء أيضًا، أى عبر البيئة القبلية التى يوجد فيها الإسلام فى السنغال.. فالإسلام بالنسبة إلى السنغاليين دين للسود»[٢٠].

(١٧) المصدر السابق – استمالة المسلم عن طريق تجسيد شمائل المسيح – لـ «بشير عبدالمسيح» – ص ١٢٠.

(١٨) المصدر السابق – إسلام العامة (أو الإسلام الشعبى) – لـ «بل مسك» – ص ٣٢٣، ٣٢٤.

(١٩) المصدر السابق – المسلم المتنصر وثقافته – لـ «هارفى.م. كون» – ص ١٤٣، ١٤٤.

(٢٠) المصدر السابق – المسلم المتنصر وثقافته – لـ «هارفى.م. كون» – والعبارة لـ «دون كورين» – ص ١٤٤

ودعوا إلى صلاة نصرانية؛ بقيام وركوع وسجود - حركات - إسلامية في دور عبادة مناسبة لهذه الحركات.. لأن «المتحولين عن الإسلام»، الذين يقولون إن أعمق تجربة لعبادة يسوع هي في سجودهم ورءوسهم على الأرض، لهم مطلق الحرية أن يتعبدوا بمثل هذه الطريقة، ويبنوا أماكن عبادتهم على هذا الأساس، ويسوع يحررهم من العبادة وفق الأنماط والأشكال الغربية. فهل سمحنا نحن لهم بذلك؟

تشير الأدلة التاريخية إلى أننا قد رفضنا أسلوبهم في العبادة، وشيدنا لهم أبنية على النمط الغربي، وأجبرناهم على أن يجلسوا على المقاعد، وقد وضعوا رجلاً فوق أخرى، تماماً كما يحدث في الكنائس البروتستانتية في الغرب، فما مدى استعدادنا من أجل يسوع المسيح، أن نتجسد في أنماط دينية - ثقافية - إسلامية - مقدسة»؟[٢١]

وإدراكًا منهم لقرب النموذج اليهودي - لأصوله السامية - من النموذج العربي الإسلامي - ذي الأصول السامية - إذا ما قوبل بالنموذج الغربي - في العمارة - دعوا إلى «اقتباس هندسة «الكنيس» اليهودي لبناء «كنيس نصراني»، لإمكان أن يكون ذلك مثالاً يحتذى به في عملية تنصير المسلمين»!

بل ودعوا إلى «مسجد نصراني» أو «جماعة صوفية» نصرانية، بدلاً من الانضمام إلى «كنيسة» نصرانية أجنبية؛ فلربما تكون قرارات التحول إلى النصرانية أكثر عددًا وأجدى نفعًا مما كانت عليه في الماضي[٢٢]».

لقد هربوا من مواجهة الاختلافات الجوهرية بين عقائد الإسلام والنصرانية، وقفزوا فوق حقيقة ارتباط المضامين بالأشكال في العبادات والشعائر الدينية.. وحقيقة أن الإسلام الدين هو الذي صبغ الثقافة الإسلامية بالصبغة التي جعلتها متميزة بهذه الإسلامية.. وحاولوا اختزال الفروق بين الديانتين في أشكال ومظاهر ثانوية.. وفك الارتباط بين الإسلام وثقافته.. وبين الدين وشعائره.. للبدء في مسيرة تعتمد التدرج والمرحلية في اقتلاع كل شيء: المضامين - التي أعلنوا نية تنصيرها من البداية - والثقافة التي أعلنوا تغييرها بالتدريج.. ودعوا إلى «لغة» و«مصطلحات» غير تقليدية، تخلط الأوراق وتساعد على تحقيق مقاصد هذه البروتوكولات.. وقالوا في رسم معالم هذا المخطط:

(٢١) المصدر السابق - استمالة المسلم عن طريق تجسيد شمائل المسيح - لـ «بشير عبدالمسيح» - ص١١٩

(٢٢) المصدر السابق - تطبيق «مقياس إينكل» في عملية تنصير المسلمين - لـ «ديفيد. أ. فريزر» - ص٢٤٧

«إن استعمال اللغة يمكن أن يكون «وسيلة» أيضًا.

« إن كلمة مسلم تثير المشاعر كثيرًا بالنسبة إلى المتنصرين. من ناحية تاريخية ولاهوتية. ولكن هناك حقيقة مجهولة تهمل فى أكثر الأحيان، وهى أن لهذه الكلمة مدلولاً إنجيليًا أى استسلم، ونحن نقترح أن يطلق على المسلمين الذين يعتنقون النصرانية: «مسلمون عيسويون».

وهذا له معنيان

أولاً: أنهم استسلموا لعيسى.

ثانيًا: أنهم ما زالوا جزءًا من ثقافتهم ووطنهم.

وباستخدام اصطلاح «مسلم - عيسوى» يمكن المحافظة على الثقافة والولاء الجديد معًا.

إن كلمة «مسجد» هى الأخرى تثير المشاعر ويجب أن يعالجها المتنصرون

ألا نتجرأ على القيام بمبادرة جديدة، واستخدام اللغة كوسيلة جديدة؟، لماذا لا نطلق على المكان الذى يلتقى فيه المسلمون العيسويون «مسجد عيسوى»؟ فربما قبل المسلمون فى النهاية المسجد العيسوى كفرع طبيعى ضمن الثقافة الإسلامية.

يجب ألا يفهم من ذلك أننا نقترح أو نعمل على التوفيق بين المعتقدات الدينية المتعارضة عندما نقترح استعمال هذا الاسم، وعلى كل فنحن لا نحط من قدر العقيدة النصرانية بأى حال، ولا نساوم على مبدأ إنجيلى، لقد التقى الرسول بولس واستيفن وعددًا من الآخرين فى الكنيس اليهودى بصورة منتظمة، ولم يكن ذلك فقط من أجل الجدل اللاهوتى والمناظرات مع اليهود، ويمكن أن يمجد ربنا يسوع المسيح فوق المنبر فى مسجد عيسوى، كما يمجد داخل مبنى يطلق عليه الكنيسة المشيخية فى «إسلام فيل»، فالإنجيل سيقوم بالإقناع بغض النظر عن اللافتة الموجودة على الباب.

ونحن لا نفكر هنا أبدًا فى إيجاد مكان لمحمد بجانب المسيح، وما أريد أن أقوله هو: أنه إذا لم تنتهك مبادئ الكتاب المقدس، إذن فليس هناك ما نربحه من جراء طمس كل الاعتبارات الثقافية وإزالة البنية الاجتماعية للمسلمين العيسويين، والذى يؤدى إلى شعور بفراغ اجتماعى يؤدى إلى هروب عدد كبير من المتنصرين.

• يجب المحافظة على أكبر قدر ممكن من الخلفية الثقافية كي تساعد المسلم العيسوي على أن يشعر أنه بتنصره وإيمانه بالمسيح فإنه لم يكن عليه أن ينتقل من ثقافته إلى ثقافة أجنبية غريبة عليه. وهذا العمل يتطلب منصراً من نوعية خاصة جداً للقيام به. نرجو أن يلاحظ أننا لا نلعب لعبة الحقائق النسبية الثقافية، فما يحتاج إلى تغيير في ثقافة المسلم سوف يتم تغييره، آملين في أن يكون ذلك عن طريق الكنيسة التي ستنشأ، ومن خلال زيادة الفهم والإدراك الروحي.

والسؤال المطروح هو: هل يصح أن نستمر في خلق حواجز أكثر مما هو موجود عن طريق عزل المسلم عن ثقافته؟ والإجابة عن ذلك نفي قاطع لا لبس فيه، إذن نقترح أن تترك الأحذية عند الباب في المسجد العيسوي (وليس هناك خسارة في القيام بذلك)، وأن تكون هناك أوضاع متعددة للصلاة العامة (والكتاب المقدس يسمح بالركوع ورفع الأيدي)، وألا تكون هناك مقاعد، وأن تستعمل حصائر للصلاة إذا رغب المصلون في ذلك. ولكن المصلين لن يولوا وجوههم نحو الشرق[٢٣] ولن يكون هناك أي إشعار أو دعوة للجهاد على حيطان المسجد العيسوي (إذ إن المصلين العيسويين قد يقررون مستقبلاً كتابة شيء عن المسيح على تلك الحيطان).

• هل من الضروري أن يكون للمؤمنين يوم مخصص لعبادتهم الجماعية، كيوم الأحد مثلاً؟

لنفترض أن الدولة اختارت يوماً آخر ليكون اليوم الروحي أو الديني بالنسبة إلى الأسبوع، هل يمكن للمسلم العيسوي أن يحافظ على مبدأ بدء أسبوعه بالعبادة في هذا اليوم الذي تم اختياره؟ وهل يعتبره قد حل محل اليوم الأول للأسبوع في ذهنه وقلبه؟ وهل يمكننا على ضوء ما حدث لتقويمنا على مر القرون[٢٤] أن نؤكد أن يوم الأحد عندنا كان دائماً هو اليوم الأول في الأسبوع فقط؟

بما أن كثيراً من الحكومات في البلدان الإسلامية قد اعتبرت يوم الجمعة هو يوم العطلة الأسبوعية، فنحن نقترح، على ضوء ما يقوله العهد الجديد، بخصوص مراعاة الأيام، أن يتم توزيع تقويم على المسلمين العيسويين يوضح

(٢٣) القبلة الإسلامية – المسجد الحرام – بمكة المكرمة

(٢٤) الإشارة إلى تحول الأعياد والمناسبات الوثنية في الحضارة الإغريقية الرومانية، بعد دخولها في النصرانية إلى أعياد ومناسبات نصرانية.. فلقد قبلت ولهطت بوظائف نصرانية، برغم أنها قد تجددت وثنيا.

لهم أن يوم الجمعة هو اليوم الأول فى الأسبوع بالنسبة إليهم، وسيكون لهذا الإجراء أثره على الحفاظ على الموقف الروحى.

• يجب كذلك أن نجعل من رمضان – شهر الصيام – شهرًا مليئًا بالعمل والنشاط والحيوية، بخلاف ما كان عليه الحال في الماضي من قضاء ليالي الشهر في ممارسات دينية. وعليه فيجب أن يتم التخطيط لمؤتمرات وندوات دراسية على امتداد الشهر لأعمار وأجناس مختلفة. يجب أن يكون هذا الشهر شهر تركيز واهتمام بالنسبة إلى المسلمين العيسويين. إذ يقيمون الاحتفالات والأفراح، كما يفعل جيرانهم المسلمون المحمديون.

– أما مناسبات الزواج والميلاد، وحتى الجنائز فيمكن أن تكون عيسوية، بحيث تظهر بالنسبة إلى المسلم الخارجي على أنها جزء من الثقافة الوطنية»[٢٥].

تلك ملامح أساسية من هذا المخطط الجديد الذى لا يبقى، فى الحقيقة من الثقافة الإسلامية – برغم الحديث عن التعددية الثقافية، واحترام الثقافة الإسلامية – سوى «لافتتها» فقط لا غير. والذى يعتمد – وهذا هو الجديد – التغيير التدريجي لها.. بدلاً من التحويل الفجائى الذى يحدث «صدمة ثقافية، تجعل المتنصرين يهربون! وبدلاً من «حالة الحرب الدائمة» التى يشنها بعض المتنصرين على «المسلم فى كل موقع من كيانه الثقافي، ويصرون على تطهيره بصورة كاملة من مجمل ثقافته، الأمر الذي ينتج عنه حصاد ضئيل..»[٢٦].

فمع الاحتفاظ بلافتة «الثقافة الإسلامية» يتم اقتلاعها تدريجيًا مع اقتلاع أصلها وصبغتها: الإسلام.. وإذا كانت «طقوس الزواج الإسلامى فى إيران» تضع – على قطعة من القماش – أمام العريس والعروس:

١ – القرآن، يوضع فى الوسط، كي يكون مركز حياتهما.

٢ – بعض النباتات الخضراء الغضة، كي تصبح حياتهما رتيبة.

٣ – سمكة من نوع السمك الذهبي، كي يكون زواجهما مفعمًا بالحياة.

٤ – قطعة من الخبز، كي تكون مائدتهما عامرة دائمًا.

---

(٢٥) التنصير: خطة لغزو العالم الإسلامي – تطوير وسائل جديدة للمساعدة في تنصير المسلمين – لـ «دونالد ر. ريكاردز» – ص ٦٤٥، ٦٤٨.

(٢٦) المصدر السابق. تطوير وسائل جديدة لمساعدة في تنصير المسلمين – لـ «دونالد ر. ريكاردز» – ص ٦٤٨، ٦٤٩.

٥ – بيضة، كي يرزقهما الرب أولاداً.

٦ – قطعة من السكر يجرى كسرها فوق رأسيهما، كى تكون حياتهما حلوة.

٧ – شمعة، كى يضىء الرب لهما الطريق الجديد

فإن المخطط الجديد للتنصير ينصح بالاحتفاظ بهذه «الأشكال» مع تغيير «مركز الحياة»! «فإذا وضع العهد الجديد فى الوسط، مع مضمون ورسالة نصرانية – (بدلاً من القرآن) – فهل يستطيع المسيح أن يتجسد بهذا الشكل الثقافى؟ إنى – (والعبارة لكاتب البحث: بشير عبدالمسيح) – أعتقد أنه سيكون سعيداً جداً لأن يتجسد بهذا الشكل»[٢٧]!

المهم تحويل «المركز» و«الاتجاه» و«المضمون» و«دائرة التركيز».. ولا ضير، بعد ذلك، من بقاء «الشكل الثقافى» «طُعماً» تألفه الضحايا كي تقع في الشباك

* * *

ولقد ذهب قساوسة التنصير إلى ضرب الأمثال على نجاح هذا المخطط الجديد فى زيادة حصادهم النصرانى بين المسلمين.. فحكوا عن تجربة قس قبطى – (مصرى) – طبق هذا المنهاج فى عقد الستينيات – وهى تجربة نورد النص المعبر عنها للتدبر والتأمل والاعتبار – قالوا:

«قبل نحو عشر سنوات، أرسل الرب بهدوء قساً أرثوذكسياً ولد من جديد – وسوف نسميه إبراهيم – للعمل على تنصير المسلمين فى الشرق الأوسط.

لقد أدهشنى شيئان حول عمله. فقد استطاع القس إبراهيم أن يعمد مئات المسلمين فى بلد لم يتم فيه تنصير مسلم واحد[٢٨].

أما الشىء الثانى فهو أن الرب قد شاء أن يستخدم قساً أرثوذكسياً كى يكسب المسلمين فى بلد توجد فيه كنيسة بروتستانتية محلية قوية جداً[٢٩]

---

(٢٧) المصدر السابق – استمالة المسلم عن طريق تجسيد شمائل المسيح – لـ «بشير عبدالمسيح» – ص ١٢٢

(٢٨) فى مناقشة هذا البحث قال بعض المشاركين: «إذا كانت طريقة القس إبراهيم مؤثرة إلى مثل هذه الدرجة، فأين هؤلاء الذين استطاع أن يحولهم عن دينهم؟ كما أكد تعقيب آخر «أن الكاتب – (بشير عبدالمسيح) – قد ادعى أن القس إبراهيم قد عمد مئات المسلمين، وإنى أعلم، فى الحقيقة أن العدد لم يتجاوز خمسة وعشرين شخصاً، وأثيرت بعض التساؤلات حول دقة وصف طريقة هذا الرجل» انظر المصدر السابق، ص ١٢٧، ١٢٨ – ومع ذلك، فنحن نورد النص، لأنه وإن لم يعبر عن تجربة حدثت على هذا النحو، فهو يعبر عن المخطط، كما يحلم به واضعوه!

(٢٩) الإشارات توحى بأن هذا البلد هو مصر!

فى اجتماع مساء يوم الخميس، امتلأت القاعة بالحضور، كما امتلأت غرفة أخرى وضع فيها جهاز تلفزيون لنقل ما يجرى فى القاعة. ولقد استمرت التراتيل نحو ساعة كاملة، كان يسيطر عليها الشعور بحضور عميق للكتاب المقدس، ثم ألقى القس إبراهيم موعظة استمرت ساعة وعشر دقائق. أعقبها فتح المجال لطرح الأسئلة المكتوبة، وبعد ثلاث ساعات كاملة انفض الاجتماع.

• أنماط اجتماعية وثقافية فى طريقة القس إبراهيم:

١ - لم يتم استعجال الوقت أو تحديده، مما جعل المسلم يشعر وكأنه فى بيته، وهذا ما يحصل عادة فى الاجتماعات الإسلامية.

٢ - كانت أصوات مكبرات الصوت والنوافذ مفتوحة، إضافة إلى وجود أجهزة تسجيل تحيط بالقس إبراهيم، أمور ملائمة ثقافيًا، حيث ملأت هذا الجو بشعور من الإثارة الروحية والدينية، تمامًا كما يجرى فى اجتماعات الجامع الذى سبق لى أن حضرتها.

٣ - لقد كانت المنصة ملأى بالناس، وسيطر على الاجتماع روح من الارتباط المتبادل العفوى، وكان الحضور مشاركين فيما يحدث أكثر مما كانوا مشاهدين ومستمعين

٤ - لقد تعامل القس إبراهيم مع الأسر الإسلامية كوحدة كاملة، وركز على رؤساء الأسر الذين يكونون عادة صانعى القرار فى المجتمع الإسلامى، وكان للرجال المسنين مثل هذا المركز أيضًا، وقد تم تعميد الأسر كوحدات كاملة.

٥ - لقد كان اختيار عقد الاجتماع فى مساء يوم الخميس مناسبًا جدًا؛ لأنه أفضل وقت يتمكن فيه المسلمون من الحضور

٦ - لقد تم الفصل بين الرجال والنساء، وخصصت الشرفة الداخلية للنساء، وهذا مكان مناسب جدًا للنساء المسلمات اللواتى لم يعتدن نظرات الرجال الفضولية

٧ - وضع القس إبراهيم على رأسه قبعة تشبه العمامة، ولبس جلبابًا طويلاً يشابه اللباس الذى يلبسه علماء المسلمين.

• أنماط الوعظ والتبليغ فى طريقة القس إبراهيم، التى تناسب المسلمين

١ - إن الموعظة القوية والمؤثرة والمطولة تحظى بإعجاب المسلم.

لقد شهدت مرارًا مواعظ كثيرة متقدة بالحماس، حيث يتبادل الوعظ عدة

أشخاص، وهذا يتم حتى في احتفالات الزواج. إن طريقة استخدام اللغة، وخاصة اللغة العربية، مهمة جداً.

٢ – إن الاستخدام الواسع للأقاصيص والأمثلة، بدلاً من المنطق البارد، مهم أيضاً.

٣ – لقد هز ترديد مقاطع الإنجيل من قبل الجميع القاعة مرات عديدة، وكم هو رائع أن تسمع ٢٠٠٠ شخص يرددون هذه المقاطع. إضافة إلى ذلك قام القس إبراهيم بتدريس الكتاب المقدس لنحو ٤٠٠ – ٥٠٠ شخص بقوا بعد مغادرة الجميع لطرح الأسئلة[٣٠].

٤ – إن الطريق إلى إرادة المسلم لا تكمن في عقله، ولكن في دعوة قوية ومؤثرة توجهها إلى قلبه. ولقد كان الاجتماع مشحوناً بالحياة والمشاعر كما يجرى في الجوامع.

٥ – تم التدريس للشباب في مدارس إنجيلية غير رسمية أقيمت بصورة مشابهة للمدارس الدينية غير الرسمية التي تهيئ العلماء المسلمين للعمل في الجوامع.

٦ – لقد استخدمت المعجزات كعامل مقنع ومؤثر في إرادة المسلم، لا كجزء من منطقه الديني، حيث إنه يؤمن بشدة بالأمور الخارقة للطبيعة.

• الأنماط الدينية والثقافية في طريقة القس إبراهيم التي تناسب المسلمين

١ – كان وعظ القس ابراهيم جلياً وحماسياً تلازمه القوة المقنعة التي يحترمها المسلم.

٢ – كانت القاعة خاوية إلا من بعض الصور التي وضعت في الواجهة.

٣ – كانت ملابس القس إبراهيم ومظهره تتطابق وفكرة المسلم عن العالم الديني.

٤ – رفع الكثير من الحضور أياديهم في أثناء الصلاة كما يفعل المسلمون.

٥ – إن الأب هو رأس الأسرة الإسلامية، وقد وجهت الدعوات إلى رؤساء البيوت الإسلامية.

٦ – لم تتم الصلاة، والحضور جلوس، فقد طلب القس إبراهيم من الحضور الوقوف، ووقف هو في نفس الاتجاه ثم بدأت الصلاة ويشعر المرء أن

(٣٠) إن الحديث عن اجتماع آلاف في مكان مفتح النوافذ، يتم فيه التنصير ومن خلال مكبرات الصوت – في بلد إسلامي، يقطع بأن المبالغات قد بلغت بالكاتب – الذي يتحدث عن «مشاهدته» لهذه التجربة – حد غيبوبة المتعاطي للمخدرات!.. – لكننا – كما سبقت إشارتنا – نورد النص لتعبيره عن أحلام قساوسة التنصير.. وإذا كانوا يفترون على الله.. أفلا يفترون على الناس!

الجمهور اتحد معه في التعبير المسموع وفي رفع الأيدي. إن الصلاة الجماعية جزء مهم جدًا من عبادة المسلم.

٧ – كانت الموعظة والدعوة قوية ومنفتحة، فالمسلم الصالح غير متخلف، ولا يكون عادة معتذرًا أو مدافعًا وهو يتحدث عن دينه..»[٣١]

تلك هي الصورة العملية للاختراق التنصيري، من خلال الأعراف الثقافية والاجتماعية للمسلمين.. وإذا لم تكن هذه «التجربة» قد حدثت على هذا النحو.. فإنها – في كل الحالات – التعبير عن «النموذج» الذي يقدمه قساوسة التنصير «للعمل» على تطبيق «المنهج» الجديد في الاختراق للإسلام من خلال الثقافة الإسلامية.

* * *

ومن باكستان يسوقون تجربة المنصرة «التي كانت تعمل في باكستان لمدة سنين عديدة دون نجاح، كي تقحم مسيحها «الغربي» في الثقافة الإسلامية، وكيف استطاعت أن تدخل بفضل محبة ومساعدة أصدقاء مسلمين لها داخل هذه الثقافة، وأن تجد بمرور الوقت مسيحًا «شرقيًا» يستطيع تمامًا أن يواجه احتياجات المسلمين..»[٣٢]!

وللشعوب ذات الخلفيات الثقافية الشبيهة بالسامية – في مواريثها الفكرية – يرشحون الأجزاء الملائمة من نصوص كتابهم المقدس.. وعن ذلك يقول واحد منهم:

«لقد علمتني تجربتي الذاتية في إفريقيا أن أبناء الأمم ذات الثقافة الشبيهة بالثقافة اليهودية، ترى الرب ورسالته بوضوح أكثر عن طريق أجزاء أخرى من الكتاب المقدس..

وفيما يختص بالمسلمين الذين لديهم ثقافات سامية فهناك الكثير من النظائر في تلك الأجزاء من الإنجيل، والتي غالبًا ما يتجاهلها الأمريكيون – الأوروبيون.. كما يجب علينا أن نلقي نظرة فاحصة على الأجزاء السامية من العهد القديم والعهد الجديد، وليس على تلك الأجزاء التي وجهت إلى الجماهير

(٣١) التنصير: خطة لغزو العالم الإسلامي – استمالة المسلم عن طريق تجسيد شمائل المسيح – لـ «بشير عبدالمسيح» – ص١٢٢، ١٢٥.

(٣٢) المصدر السابق – تقرير المؤتمر – لـ «آرثر ف. كلاس» – ص٥٤.

الرومانية – الإغريقية..»[٣٣].. ذلك أن «إنجيل القديس متى (الذى يفترض جمهورا سامياً، ويركز على إشارات العهد القديم.. إلخ) يختلف عن إنجيل القديس مرقس (الذى يتعمد أن يشرح التقاليد اليهودية لغير اليهود.. إلخ). ولأسباب عديدة أوصى صموئيل زويمر المتنصرين باستعمال إنجيل القديس متى فى عملهم بين المسلمين»[٣٤].

وهكذا يظل اقتلاع الإسلام هو المقصد الأكبر.. وتجريد الثقافة الإسلامية من هويتها وجوهرها والصبغة التى تميزها هو جوهر مخطط التعامل معها.. برغم الحديث الكثير عن التعددية الثقافية.. فالمنطلق والمقصد – ومن ثم الوسائل والسبل – تتضافر جميعا على إلغاء أمة وحضارة بإلغاء الدين الذى صنعها وميزها من بين الأمم والحضارات!

* * *

لقد حدد قساوسة التنصير أنه لا قبل لهم ولا لنصرانيتهم بمواجهة الإسلام الحقيقى.. إسلام الكتاب والسنة.. إسلام التوحيد.. وقرروا الهروب من هذه المواجهة، والالتفاف حول الإسلام الحق، واختراق ما سموه «الإسلام الشعبى».. «إسلام العامة».. «إسلام الجن والعفاريت والسحر والعين الشريرة».. فنصرانيتهم لا تستطيع المواجهة خارج هذا الإطار.

وحتى فى هذا الميدان.. كان مخططهم «الخداع» و«التحايل»، بالاختراق تحت مظلة الثقافة الإسلامية، ومن خلال المصطلحات الإسلامية، التى رأوا إمكانية صب «المضامين» النصرانية فى «أوعيتها»!

وكى ينجح مخططهم هذا، اعترفوا بأن الثغرات التى فتحتها الحضارة الغربية «العلمانية – اللادينية» فى جدار الثقافة الإسلامية هى سبل اختراقهم النصرانى للإسلام.. فكأنهم – وهم رجال الدين – إنما يستعينون فى نشر الدين بالسبل والعوامل اللادينية – وهذا هو مبلغ هؤلاء القساوسة من أخلاقيات الدين والتدين.

(٣٣) المصدر السابق – «كنائس ملائمة للمتنصرين الجدد فى المجتمع الإسلامى» لـ «تشارلس كرافت» – ص١٦٢، ١٦٤. ونحن نلفت النظر إلى أن هؤلاء القساوسة يفضحون – فى صراحة وعفوية! – دعوى صدق الإنجيل كوحى.. فلو كان وحياً نزل على المسيح، فكيف تكون فيه «أجزاء موجهة إلى الجماهير الرومانية – الإغريقية».. على حين أن المسيح توفاه الله قبل توجيه الإنجيل إلى هذه الجماهير الرومانية – الإغريقية! إن مكرهم فى «الأساليب» قد أدى إلى فضح «الأصول»!

(٣٤) المصدر السابق. الحاجة إلى مركز للقيادة فى أمريكا الشمالية – لـ «رالف د. ونتر» – ص٧٥٧.

لقد أعلنوا – دون حياء – أن «الإرساليات التنصيرية تعتبر نمو المادية والعلمانية قد يؤدي إلى انفتاح أكبر في قطاع من المجتمع نحو التنصير، كما قد يؤدي إلى تخفيف حدة العداء لتنصير المسلمين».

وأن «القومية (بالمعنى الغربي الذي زرعوه) – وإن كان لديها إمكانية لتقوية الإسلام سطحيًا – تنخر في مبادئه وقيمه الأساسية».

وأن الحكومات المسلمة «التي تمثل القوة الدافعة نحو التغريب والتحديث، هي أسوأ عدو للإسلام»[٣٥]، وأن «العوامل التي تجعل الإنسان المسلم على استعداد لتقبل النصرانية هي – على وجه التحديد–: التمدن والصناعة الجديدة والتهجير والاستعمار واعتماد النمط الغربي في الحياة، والتغييرات السياسية، والثورات، والقمع..»[٣٦].

وأن «أتاتورك كان مفضلاً ومحبوبًا جدًا من قبل المنصِّرين؛ لأن تأثيرهم كان متفقًا مع خط التغريب التجديدي الذي انتهجه أتاتورك للإصلاح»[٣٧].

ونحن نرى.. وننبه على أن الأهم من فضح إعلانهم هذا لمخططات الهيمنة الحضارية الغربية على بلادنا، التي تمهد السبل للتنصير واقتلاع الإسلام.. الأهم من هذا هو فضح هذا الإعلان للعلمانيين والمتغربين من أبناء جلدتنا.. أولئك الذين كشفت بروتوكولات قساوسة التنصير عن دورهم وموقعهم ووظيفتهم، لا في تغريب الثقافة الإسلامية والحياة الإسلامية والنهضة الإسلامية فحسب، بل وفي التنصير الذي يريد اقتلاع الإسلام وتنصير كل المسلمين.

إن هذا الفضح الذي أعلنته هذه البروتوكولات لدور العلمانيين والمتغربين من أبناء المسلمين، ليستوجب منهم إعادة النظر، والمراجعة، وتحسس مواضع الأقدام. فلقد يكون فيهم المخدوع.. وحسن النية.. وصاحب الاجتهاد الخاطئ.. لكن الكشف عن حقيقة الثمرات التي تصنعها العلمانية والتحديث الغربي «واعتماد النمط الغربي في الحياة».. ودورها في فتح ثغرات الاختراق النصراني للإسلام لابد من أن يحفز المخلصين منهم إلى الانتباه.. فالعمالة الحضارية والعملاء الحضاريون – كما تعلن هذه البروتوكولات – هم ثغرات تمهد السبل لهذا الاختراق!

---

(٣٥) المصدر السابق – مقارنة بين وضع النصرانية والإسلام في إيران – لـ «ديفيد كانتن» ص ٤٣٩.

(٣٦) المصدر السابق – تحليل المقاومة والاستجابة لدى الشعوب المسلمة – لـ «دون م. ماكري» – ص ٢٧١، ٢٧٢.

(٣٧) المصدر السابق – مقارنة بين وضع الإسلام والنصرانية في تركيا – لـ «محمد إسكندر» – ص ٤١٣.

ورحم الله فيلسوف الشرق وموقظه جمال الدين الأفغاني (١٢٥٤ - ١٣١٤هـ = ١٨٣٨ - ١٨٩٧م) الذي قال قبل قرن من الزمان: «إن المقلدين للتمدن الغربي إنما يشوهون وجه الأمة، ويضيعون ثروتها، ويحطون من شأنها، إنهم المنافذ لجيوش الغزاة، يمهدون لهم السبيل، ويفتحون لهم الأبواب، ثم يثبتون أقدامهم..»(٣٨).

نعم.. فنحن أمام اعترافات، لا تفضح فقط قساوسة التنصير، وإنما تفضح أيضًا الامتدادات السرطانية للنموذج الحضاري الغربي في مختلف مذاهب الفكر وميادين الحياة في عالم الإسلام.

* * *

لكن المنصرين أصحاب هذه البروتوكولات بعد هذا الحديث عن مخططات اختراق الإسلام بالالتفاف حوله وإتيانه من داخله وتحت مظلة ثقافته.. تزل ألسنتهم، بين الحين والآخر، بكلمات تتحدث عن استحالة الفصل بين الإسلام وبين الثقافة الإسلامية.. لكن دون أن يثنيهم هذا الاقتناع عن السير في هذا المخطط ولكنهم يشحذون الهمم لتكثيف الجهود في التدبير والتنفيذ.

إنهم يقولون: «قد نحاول أن نفرق بين المحيط الديني والمحيط الثقافي، ولكن هذه المحاولة ستؤدي إلى تشويه سمة جوهرية في الإسلام..»(٣٩).

فهل يتعلم - من هذا القول - العلمانيون من أبناء جلدتنا أن فصل الثقافة الإسلامية عن الدين الإسلامي، لا يشوه فقط هذه الثقافة، وإنما أيضًا «سيؤدي إلى تشويه سمة جوهرية في الإسلام»؟

وهل نتعلم - من هذا القول - أن «إسلامية ثقافتنا» ليست فقط حفاظًا على هويتنا الثقافية المتميزة، وإنما هي أيضًا تحصين للإسلام ضد اختراق التنصير؟!

وهم يعترفون باستعصاء الإنسان المسلم على الاختراق التنصراني من خلال الثقافة الإسلامية؛ لأنه لا يفتح لهم ثغرة بين «الدين الإسلامي» وبين «الثقافة الإسلامية».. ويضربون المثل بالمسلم التركي، الذي بذل أتاتورك الجهود الخارقة لعلمنة ثقافته ودولته وقانونه وكل ميادين العمران في بلاده.. ومع ذلك ظل هذا

---

(٣٨) الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني. ص ١٩٧. دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة. طبعة القاهرة سنة ١٩٦٨م.

(٣٩) التنصير: خطة لغزو العالم الإسلامي - الظرفية والتحول والتأصيل - لـ«شارلي. ر. تيبر» - ص ٢١٢.

المواطن التركى - (فى رأيهم.. وحسب تعبيرهم) - متعصبًا، حيث إن دينه مرتبط ارتباطًا بهويته الثقافية القومية. فالطلب من التركى لأن يصبح «نصرانيًا» يعنى بالنسبة إليه أن يصبح يونانيًا أو أرمنيًا بغيضًا.. إنه يرى النصرانية شيئًا غريبًا أساسًا، وأجنبيًا، والأقليات النصرانية، كالأرمن واليونان، تؤكد له الارتباط بين النصرانية والمشكلة القبرصية ومكاريوس والمؤامرات الأرمنية وتدخل الأنظمة النصرانية الغربية فى شئون تركيا.. إلخ..»[٤٠].

فهل نتعلم من هذا الاعتراف أن الإسلام هو هوية هذه الأمة، حتى فى الثقافة والقومية؟.. وأن اختراق أى ميدان من ميادين «فكرنا» الإسلامى، أو «واقعنا» الإسلامى إنما هو سبيل لاختراق هذا المكون لهويتنا وجوهر حضارتنا، وصبغة أمتنا: «الإسلام الدين».. وهم يبررون هروبهم من مواجهة الإسلام الحقيقى، باستعصائه على الاختراق.. فيقولون - بلسان واحد منهم -: «إننى أميل إلى الاتفاق مع «فاندر» و«زويمر»، و«فريتاك» وآخرين فيما ذهبوا إليه من أن الإسلام حركة دينية معادية للنصرانية «مخططة تخطيطًا يفوق قدرة البشر».. لمقاومة الإنجيل، إن الإسلام هو الدين الوحيد الذى تناقض مصادره الأصلية أسس النصرانية، وترفض بكل وضوح موثوقية وصحة الإنجيل، وأبوة الرب، وأن المسيح ابنه، وضرورة موته وكفايته لمفهوم الخلاص، وتبرير بعثه. إنه الخلاف الأكبر فى النصرانية وفى الكتاب المقدس. وفى ذات الوقت، فالنظام الإسلامى هو أكثر النظم الدينية المتناسقة اجتماعيًا وسياسيًا..»!

هنا.. فى هذا «الاعتراف» نرى «الجحود» - جحود الكافرين - يضع على ألسنتهم عبارة: «الإسلام حركة دينية مخططة تخطيطًا يفوق قدرة البشر». وذلك بدلاً من الاعتراف بأنه وحى الله الذى تفوق قدرته قدرة البشر.

لكنهم - مع هذا الاعتراف بتفوق الإسلام.. وبأنه «أكثر النظم الدينية المتناسقة اجتماعيا وسياسيا».. - لا يزايلهم أمل اختراقه، بالالتفاف حوله، وتحت مظلة ثقافته، بالمكر والحيلة والخداع.. فيواصلون الحديث قائلين: «.. ولكن هذه الحقيقة يجب ألا تثبط عزم المنصرين أو تعميهم عن رؤية العديد من نقاط الاتصال والجسور»[٤١].

(٤٠) المصدر السابق: مقارنة بين وضع الإسلام والنصرانية فى تركيا - لـ «محمد إسكندر» - ص ٤٠٤، ٤٠٥.
(٤١) المصدر السابق - نظرة شاملة عن إرساليات التنصير العاملة وسط المسلمين - لـ «جورج بيترز» - ص ٥٩٧، ٥٩٨.

فهل ندرك نحن قيمة نعمة الإسلام، التي من الله علينا بالتدين بها؟.. وإذا كان الله سبحانه وتعالى قد تعهد بحفظ كتاب هذا الدين: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾(٤٢).. فإنه قد افترض علينا نحن أن نقيم هذا الدين: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾(٤٣).

وفي مقدمة مقتضيات إقامة هذا الدين

- سد الثغرات التي فتحها الغرب في جدار الحياة والثقافة الإسلامية.. والتي يسعى المنصرون من خلالها لاقتلاع الإسلام وتنصير المسلمين..
- والدعوة إلى الإسلام.. ليس فقط بالقول.. وإنما بإنهاض نموذجه الحضاري، الذي يشيع هدايته على العالمين، حاملاً لهم سعادة دنيوية تؤهلهم لسعادة الدار التي هي خير وأبقى.
- وكشف المخططات اللاأخلاقية لأعداء الإسلام كسرًا لشوكتهم، وإزالة للغشاوة الغربية والتغريبية من على أعين المخدوعين من أبناء أمتنا.. وذلك بتمييز مضامين المصطلحات الدينية التي يريدون استغلال أوجه الشبه بينها وبين مصطلحات نصرانية لوضع المضامين النصرانية الغربية فيها..
- وإحكام الحصار حول البؤر الدينية والفكرية – نصرانية.. وعلمانية – التي يريد قساوسة التنصير الاعتماد عليها في مخطط اقتلاع الإسلام وتنصير المسلمين.. إحكام الحصار الإسلامي حولها لنزع أسلحتها، كي لا توظف في هذا الاختراق.
- ونقل المعركة إلى قلب النصرانية الغربية.. بالكشف عن تهافتها، ولاعقلانيتها.. بل ولاأخلاقيتها.. عندما تؤسس نسقها الفكري على عقيدة الخطيئة – وتحميل البشرية وزرًا لم تقترفه – وما أقامت على هذه العقيدة الفاسدة، واللاأخلاقية، من عقائد في الصلب والخلاص والتثليث.. نقل المعركة إلى قلبها، بعرض هذه العقائد على التوحيد الإسلامي.. الذي يدعو

---

(٤٢) الحجر: ٩.

(٤٣) الشورى: ١٣.

إلى الإيمان بكل الشرائع والرسل والأنبياء، ويرى فى التعددية سنة الله فى الاجتماع الدينى والحضارى والقومى.. ويقرر أنه: ﴿ولا تكسب كل نفس إلا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون﴾[٤٤].

* * *

لقد كان التنصير الغربي – وهو أحد وجوه الهيمنة للحضارة الغربية – يفرض – في مخططه القديم – على الإسلام ثقافة الغرب مع نصرانيته.. انطلاقا من الفلسفة الغربية: نفي الآخر الثقافي والديني!

وها هو في مؤتمر «كولورادو».. يتحدث عن تعدد الثقافات العالمية، بل ويذهب لتأصيل هذه التعددية في تراث النصرانية.. لكن دون أن يتخلى عن فلسفته الأصلية – والقبيحة في أنانيتها – فلسفة: نفي الآخر.. فنراه يوظف «التعددية الثقافية» لخدمة «الواحدية الدينية».. عندما يجعلها سبيلاً لتنصير كل عالم الإسلام، وإزالة الإسلام من الوجود.

فبدلاً من أن تقوده مفاهيم «التعددية الثقافية» إلى مفاهيم «التعددية في الشرائع الدينية» بإطار التوحيد لله، والإيمان بالبعث والجزاء والعمل الصالح.. فيتقدم على درب الإيمان بالتعددية الحقيقية، والقبول بالآخر.. نراه يوظف هذه «التعددية الثقافية» في سبيل الوصول إلى نفي التعددية الدينية.. فكأنه لجأ إلى هذه التعددية – الثقافية – لنفيها في مجال الدين!

بل لقد اكتشفنا زيف هذا الذى سماه اعترافًا وإيمانًا بالتعددية الثقافية.. فهو يعترف بالثقافة الإسلامية، لينفيها – ولكن بالتدريج – عندما يزيل عنها الإسلامية، التى هى سبب تميزها، ومن ثم سبب وجودها كثقافة مستقلة.. فكأنه – هذا الغرب الحضارى – بمختلف تياراته، العلمانية والدينية، لا يزال فى مواقعه القديمة.. وبوجهه القبيح: الأنانية.. ونفى الآخر.. والطموح إلى الهيمنة الحضارية على الآخرين! تلك هى بروتوكولات قساوسة التنصير، حول اختراق الإسلام من خلال الثقافة الإسلامية

* * *

(٤٤) الأنعام: ١٦٤.

الفصل الخامس

تنصير المسلمين بالاعتماد المتبادل مع الكنائس المحلية!

(لقد وطدنا العزم على العمل بالاعتماد المتبادل مع كل النصارى والكنائس الموجودة فى العالم الإسلامى!.

إن النصارى البروتستانت فى الشرق الأوسط وافريقيا وآسيا منهمكون بصورة عميقة ومؤثرة فى عملية تنصير المسلمين!..

ويجب أن تخرج الكنائس القومية من عزلتها، وتقتحم بعزم جديد ثقافات ومجتمعات المسلمين الذين تسعى إلى تنصيرهم.. وعلى المواطنين النصارى فى البلدان الإسلامية وإرساليات التنصير الأجنبية العمل معا بروح تامة من أجل الاعتماد المتبادل والتعاون المشترك لتنصير المسلمين!..)

من أبحاث مؤتمر كولورادو
لتنصير المسلمين

الفصل الخامس

تنصير المسلمين بالاعتماد المتبادل مع الكنائس المحلية!

لقد ظهرت النصرانية في الشرق، وكان واقعًا يومئذ تحت نير الإمبراطورية الرومانية الوثنية. فظلت النصرانية ديانة مضطهدة، يفرّ بها أهلها إلى الصحارى والمغارات وقمم الجبال.. وقصص أهل الكهف.. والرهبانية المصرية - القبطية - وعصر الشهداء.. نماذج شاهدة على حال النصرانية الشرقية تحت الاضطهاد الروماني الوثني الشهير..

وحتى عندما تدينت الدولة الرومانية بالنصرانية - في عهد قسطنطين الكبير (٢٧٤ - ٣٣٧م) - فإن الاضطهاد لم يزايل النصرانية الشرقية.. فبعد أن كان اضطهادها باسم الوثنية الرومانية، أصبح اضطهادها - على وجه الإجمال - باسم المذهب الملكاني للدولة الرومانية!

ولقد ظل هذا الاضطهاد للنصرانية الشرقية قائمًا، حتى ظهر الإسلام، فكانت الفتوحات الإسلامية - التي انتزعت «الدولة» - أي «السلطة» و«السلطان» - في بلاد الشرق من الرومان - هي التي أمنت النصرانية الشرقية، وأعطت أهلها حرية التدين بها!

ولقد جاء حين من الدهر على نصارى الشرق، في ظل الدولة الإسلامية، وهم الأغلبية في تعداد السكان، فهم لم يعتنقوا الإسلام إلا بالتدريج، وعلى امتداد عدة قرون.. ومع ذلك، فلقد ظلت النصرانية - لأنها تدع ما لقيصر لقيصر وما لله لله.. جاعلة من خلاص الروح رسالتها العظمى، ومن مملكة السماء المهمة الوحيدة لكنيستها - ظلت «ديانة» لا «دولة».. فالدولة في البدء كانت رومانية، ثم أصبحت إسلامية.. كما ظلت - هذه النصرانية - «ديانة» لا «حضارة»؛ لأن

الحضارة هى العمران، بما فيه من ظواهر اقتصادية وسياسية وقانونية.. وبدون «الدولة» لا تكون «الحضارة»... وفنون النصرانية - القبطية مثلاً - فى مصر شاهدة على ذلك.. فيها فن «دينى» لا أثر فيه لـ «حضارة» نصرانية!

إذن، ففى تاريخ النصرانية الشرقية: كانت «الدولة» رومانية، ثم أصبحت إسلامية.. وكذلك «الحضارة» كانت رومانية، ثم أصبحت إسلامية.

وعلى امتداد تاريخ الصراع بين الغرب والإسلام، لاستعادة الهيمنة الغربية على الشرق كان الخصم الذى يحاول الغرب كسر شوكته؛ لأنه المعبر عن الهوية الحضارية المتميزة والمميزة للشرق، هو الإسلام.. فالهوية الإسلامية كانت منذ الفتوحات التى أقامت «الدولة» الإسلامية: هى المجسدة لهوية «الحضارة» الشرقية. وهى عدو الغرب فى هذا الصراع التاريخى الطويل!

ومع أن الغرب - حتى بعد تنصره - قد ظل ينظر إلى النصرانية الشرقية باستعلاء، بل وباحتقار - فلقد رآها هرطقة لا تستحق حتى وصف النصرانية - إلا أنه ظل طوال قرون ذلك الصراع مع الإسلام وحضارته وعالمه يبحث عن ثغرات الاختراق لجدار المقاومة الإسلامية، وكثيرًا ما راودته أحلام اختراق عالم الإسلام من ثغرة الأقليات النصرانية الشرقية، وغالبًا ما تبددت هذه الأحلام.

وإذا كنا نشهد فى تاريخنا المعاصر نجاحًا ملحوظًا للاختراق الغربى عن طريق الأقلية الصهيونية، فإن بروتوكولات قساوسة التنصير فى مؤتمر «كولورادو» قد جعلت فى مخططها مكانًا متميزًا لاختراق الإسلام، وتنصير المسلمين، بالاعتماد المتبادل مع الكنائس الوطنية والمحلية القائمة فى عالم الإسلام، وهى بذلك تضعها وتضع هذه الكنائس المحلية والوطنية أمام امتحان جديد وأكيد، نرجو ألا يكون نجاحنا فيه - مسلمين ونصارى شرقيين - عسيرًا على أى منا.. إن شاء الله.

* * *

وإذا كانت النصرانية الشرقية لم تكن فى يوم من الأيام: هى المعبرة عن هوية الشرق وذاتيته المتميزة فى صراعه الحضارى والتاريخى مع الغرب - كحضارة واستعمار - فإنها قد ظلت - على وجه الإجمال - لبنة فى بنائه الحضارى والوطنى، وجزءًا من قوى مقاومته للغزو الأجنبى، وبابًا مغلقًا أمام محاولات الاختراق الغربى لعالم الإسلام..

وإذا كان تاريخنا الحديث - وبالأحرى التاريخ الحديث لصراعنا مع الغرب! - قد فتح في حصوننا ثغرات للنصرانية الغربية - الكاثوليكية[1] إبان الوفاق الفرنسي مع محمد على باشا الكبير (١١٨٤ - ١٢٦٥هـ = ١٧٧٠ - ١٨٤٨م) - والإنجيلية البروتستانتية[2] في ظل الاستعمار الإنجليزي لمصر - فإن مؤتمر «كولورادو» ينبهنا إلى أن هذا الاختراق من النصرانية الغربية، وإن كان قد بدا في مرحلته الأولى، أنه على حساب النصرانية الشرقية، يأخذ من كنائسها بعض أبنائها لهذه المذاهب والكنائس الغربية، إلا أن مقاصده وغاياته قد كانت، منذ البداية، هي تنصير المسلمين، وما سرقته من أبناء الكنائس المحلية إلا لضرورة تحقيق موطئ القدم حتى يمارس مهامه الوحيدة وهى تنصير المسلمين!

وبما أن هذه المرحلة قد انتهت بتحقيق أهدافها، فإن المؤتمر قد خطط لاختراق الإسلام وأمته من خلال هذه الثغرات التى فتحها.. بل وتطلع إلى ما هو أكثر وأوسع منها.. تطلع إلى التنصير بالاعتماد المتبادل مع الكنائس الشرقية الأصيلة - مثل الكنيسة الأرثوذكسية القبطية - التى رآها «عظاما ناشفة مبعثرة».. فقرر إحياءها لاختراق الإسلام وتنصير المسلمين بالاعتماد المتبادل معها.. بل وتحدث عن مظاهر هذا «الإحياء» واستبشر به خيرًا!.

فنحن، إذن أمام مخطط جديد.. يريد أن يستجمع إمكانات النصرانية الشرقية إلى إمكانات النصرانية الغربية ويقف أصحابه على أبواب ثغرة من ثغور حصوننا الوطنية والحضارية، الأمر الذى يدعونا إلى الدرس للمخطط والتدبر في أمر تحصين الثغور.

* * *

* إن تقرير مؤتمر «كولورادو» يتحدث عن حضور ممثلين من «قادة الكنائس الوطنية في الشرق الأوسط وإفريقيا وآسيا» لمداولات المؤتمر «واشتراكهم في كل

(١) كان وجودها بمصر هامشيًا، يغلب عليه الطابع الأجنبي، ولقد عرف مصطلحها طريقه للعربية بعد الحملة الفرنسية على مصر سنة ١٧٩٨م. وفي عهد «المعلم غالى» (١٧٧٥ - ١٨٢٢م) تميز شأنها، وطنيًا، بمصر، قابل كلاً من: د. أحمد حسين الصاوى (فجر الصحافة في مصر) ص٢٦١، طبعة القاهرة سنة ١٩٧٥م، وأديب نجيب سلامة (تاريخ الكنيسة الإنجيلية في مصر) ص٢٦ وما بعدها، طبعة القاهرة سنة ١٩٨٢م.

(٢) في ١٣ من إبريل سنة ١٨٦٠م تم تكوين أول مجمع للكنيسة المشيخية بمصر، وكان أعضاء الكنيسة سبعة، جميعهم من غير المصريين! انظر (تاريخ الكنيسة الإنجيلية في مصر) ص٥٥.

حلقة دراسية وفى كل نقاش، وجلسة تخطيط»، لم يكن حضورهم حضور «المستمع»، أو حتى «المشارك» فحسب بل «والخبير» الذى يتعلم منه الغربيون المخطط الجديد لتنصير المسلمين: لأنهم قائمون بالفعل بالعمل فى هذا الميدان. يقول التقرير:

«إن معرفة كنائس أمريكا الشمالية بالعالم الإسلامى والشعوب الإسلامية محدودة جدا، وتعتبر مشاركة إرسالياتها فى العالم الإسلامى مشاركة هامشية على أحسن الفروض، والأكثر من هذا أن هذه الإرساليات تغلب عليها منهجية تتطلب مراجعة نقدية.

إن الحاجة تدعو إلى منطلقات جديدة فى برامج التدريب على التنصير التى تتم فى أمريكا الشمالية، وإلى أساليب جديدة للتفاعل بين المنصرين الغربيين وبين إخوانهم وأخواتهم النصارى فى العالم الإسلامى، وفى الحقيقة كان هذا هو بالضبط سبب دعوة العديد من المتنصرين الذين تحولوا عن الإسلام، وقادة الكنائس الوطنية من الشرق الأوسط وافريقيا وآسيا للاشتراك فى كل حلقة نقاش وجلسة تخطيط، ولقد تم حث الأمريكيين الشماليين لأن يكونوا على استعداد جيد للإصغاء وعليهم ألا يبادروا بإعداد خطط خاصة بهم.

إن هؤلاء الرجال والنساء البروتستانت من نصارى الشرق الأوسط وافريقيا وآسيا، هم أنفسهم منهمكون بصورة عميقة ومؤثرة فى عملية تنصير المسلمين، ولهذا فقد بذل كل جهد ممكن للإصغاء إلى وجهات نظرهم، التى تختلف عن وجهات نظرنا، وقد كلفوا بواجبات محددة من قبل المشاركين الغربيين، الذين قالوا لهم: «ساعدونا لنتعلم كيف نعمل معًا. وتحلوا بالصبر تجاه بطيئى التعلم منا».[٣]

لقد كان حضور قادة الكنائس الشرقية فى هذا المؤتمر حضور الخبراء الذين يصبون خبراتهم فى صياغة هذا المخطط الجديد لتنصير الأمة التى يعيشون بين أبنائها.. بل إن تقرير المؤتمر يتحدث عن دورهم المرموق فى الدعوة إلى تجاوز الأساليب التقليدية للتنصير والتغيير لهذه الأساليب، «فلقد ركز هؤلاء المستشارون والمنصرون، من أبناء العالم الثالث، بصورة مستمرة على الحاجة إلى هذا التغيير، وأكد لنا هذا أهمية التعاون بيننا، وكشف عن حماقة الأمريكيين الشماليين الذين يعتقدون أنهم يستطيعون بمفردهم القيام بهذا العمل، كما أكد

(٣) التنصير: خطة لغزو العالم الإسلامى - تقرير المؤتمر - ل «آرثر. ف. كلاسر» - ص٥٣

الاحتمالات المثيرة لتصورات جديدة للتنصير بين المسلمين تنبع من الابتكار المدروس لأنماط من الاعتماد المتبادل بين نصارى الشرق والغرب، والتي يمكن أن تؤدي إلى نتائج مهمة بعيدة المدى. اعتمادًا على عطاء العاملين الشرقيين»[٤].

لقد أثمر هذا اللقاء رفع شعار «الاعتماد المتبادل الواعي بين الكنائس النصرانية الوطنية والمنصِّرين الغربيين».

وتحدث تقرير المؤتمر كذلك عن هذا الموضوع فقال:

«إنه يمكن تحقيق التنصير الفعال بين المسلمين من خلال الاحترام المتواضع للثقافات الإسلامية، وعن طريق السعي لإتقان المداخل والمفاتيح، واعتماد أسلوب اللقاء والاتصال والاعتماد المتبادل الواعي بين الكنائس النصرانية الوطنية والمنصِّرين الغربيين، ويجب دعم هذا الأسلوب بالاعتماد المتبادل بين الأطراف التي ينطوي تحتها هؤلاء جميعًا.

لقد ولت الأيام التي كان فيها المنصِّرون الغربيون يعتبرون أن جهودهم الشخصية كافية للقيام بالعمل. لقد وطدنا العزم في «كلن إير»[٥] - كما لم نفعل من قبل - على أن نستفيد فائدة قصوى من الفرص التي يوفرها لنا الرب، وأن ننمي شعورًا بالمحبة المسئولة تجاه أفراد أسرة الإيمان كافة، وخاصة تجاه كل النصارى والكنائس الموجودة في العالم الإسلامي..»[٦].

وعن الدور البارز والمنتظر للكنائس المحلية في مخطط تنصير المسلمين، تحدث «تصدير» أبحاث المؤتمر، فقال وهو يتحدث عن «الأعمال التي يجب على الكنيسة القيام بها» لتنفيذ هذا المخطط:

«يجب أن تخرج الكنائس القومية من عزلتها وتقتحم بعزم جديد ثقافات ومجتمعات المسلمين الذين تسعى إلى تنصيرهم ويجب على المواطنين النصارى في البلدان الإسلامية وإرساليات التنصير الأجنبية العمل معًا بروح تامة من أجل الاعتماد المتبادل والتعاون المشترك..»[٧].

(٤) المصدر السابق. تقرير المؤتمر - لـ «أرثر ف. كلاسر» - ٥٤، ٥٥.

(٥) مقر عقد المؤتمر.

(٦) المصدر السابق: تقرير المؤتمر - لـ «أرثر ف. كلاسر» - ص٥٦، ٥٧.

(٧) المصدر السابق: تصدير - لـ «و. ستانلي موتيهام» - ص٤، ٥.

كما تحدث «تقرير المؤتمر» عن هذه الكنائس المحلية باعتبارها «القوة الأساسية» المطلوب تحريكها، فقال: «إدراكًا منا بأن القوة الأساسية التى لم يتم تحريكها حتى الآن فى عملية تنصير المسلمين هى المجتمعات والجاليات النصرانية المنتشرة فى أرجاء العالم الإسلامى، علينا أن نسعى إلى تركيز اهتمامنا على جميع الكنائس المحلية القائمة من أجل تدريب وتهيئة القساوسة والأتباع من أجل إدراك جديد للإسلام، ونحاول معًا أن نطور ونشذب طرقًا تنصيرية جديدة أكثر ملاءمة لتقديم الكتاب المقدس إلى المسلمين، كما سنعطى اهتمامًا خاصًا إلى استخدام الموضوعات القرآنية ذات الصلة بالموضوع فى المراحل الأولى لعملية التنصير..»[8].

• ولم يغفل المؤتمر عما يمكن أن يكون من تناقضات بين إرساليات التنصير الغربية وبين الكنائس المحلية فى البلاد الإسلامية.. فتحدث عنها معالجًا لها لتجتمع الصفوف والجهود لتنصير المسلمين.. فتحدثت بعض الأبحاث عن «التنافس النصرانى» بين كنائس الغرب وكنائس الشرق، فقالت:

«لقد تعلمنا كيف أن الجهود التى تنبع من الخارج، وتفشل فى الحصول على مشاركة فعالة من الكنائس - (المحلية) - قد تكون ضارة، لا يتوفر القصد الحسن فيها.

ومع ذلك فنحن نقر أن الكنائس المحلية، فى بعض الحالات خاملة لا تنمو، وغير قادرة، أو مهيأة للنظر أبعد من احتياجاتها المحلية. إن الكنائس القديمة تكون أحيانًا أسيرة لرغبتها فى البقاء والاستمرار فحسب، وتنظر الكنائس القديمة الى الكنائس التنصيرية، فى أغلب الأحيان، على أنها وكالات للمصالح الغربية، تنجح فى تنصير عدد قليل جدًا من المسلمين، لكنها تسرق أعضاء من الكنائس القديمة، والمراقب المتفحص لا يفوته أى شىء من هذا التنافس النصرانى»[9].

ثم حاولت هذه التقارير طمأنة الكنائس الشرقية القديمة إلى أن مرحلة «سرقة أعضائها» قد انقضت، فلقد كان ذلك يوم كانت الكنائس الغربية تسعى لامتلاك موطئ قدم فى أرض الإسلام.. أما اليوم، وبعد أن أصبحت لها «فروع تتبع كنائسها «الأم» فلقد غدت المهمة الأولى هى المهمة الأصلية والوحيدة، أى

(٨) المصدر السابق: تقرير المؤتمر - لـ «آرثر ف. كلاسر» - ص٦٧، ٦٨.

(٩) المصدر السابق: الدعوة إلى التجديد الروحى - لـ «ج. أيدون أور» - ص ٦٢٣، ٦٢٤.

تنصير المسلمين، وهى مهمة مشتركة مطلوب إنجازها بالاعتماد المتبادل بين الفريقين، لقد تحدثوا عن هاتين المرحلتين فى تاريخ علاقة كنائس الغرب بالكنائس الشرقية القديمة، فقالوا:

«لقد بدأت الجمعيات، الواحدة تلو الأخرى، فى إرسال «إرساليات مساعدة» إلى هذه الأقليات النصرانية، سواء الأرمن فى تركيا أو الأقباط فى مصر أو النسطوريون فى بلاد ما بين النهرين وبلاد فارس، وكان الهدف الأخير لهذه الإرساليات هو تنصير المسلمين، أما الهدف الآنى فقد كان بعث المجتمعات النصرانية القديمة.

ومنذ تلك الفترة حدثت صحوة ضخمة فى آسيا الصغرى وبلاد فارس فى الثلاثينيات والأربعينيات من القرن التاسع عشر، وقد تحقق الهدف الآنى، وتركت حركات البعث تأثيرًا لا يزال موجودًا حتى يومنا هذا»[١٠].

ونحن نعتقد أن لهذا النص أهمية تستحق التأمل، فهو يشير إلى دور الكنائس الغربية الوافدة فيما يسميه «بعث المجتمعات النصرانية القديمة» فى بلاد الإسلام، وهذا «البعث» فى المفهوم الغربى هو «التحديث» على النمط الغربى، والذين يقابلون وضع الكنائس الشرقية القديمة قبل هذا الاحتكاك، وهذا «البعث» بوضعها الراهن، ويرصدون موجات الإعجاب لدى المثقفين من أبنائها «بتحرر» الكنائس الغربية، والذى اتخذ أحيانًا شكل الانتقال إلى هذه الكنائس الغربية، وأحيانًا أخرى شكل دفع الكنائس القديمة إلى ألوان من «التحرر» تقليدًا لهذه الكنائس الغربية، الذين يرصدون هذه الظاهرة يدركون مدى نمو ظاهرة «تغرب» الكنائس الشرقية القديمة، ومدى تبنيها لقدر من مفاهيم وأساليب الكنائس الوافدة.. ثم مدى نمو علاقات التعاون بينها، وهى أمور تسعى الكنائس الغربية الآن لاستثمارها فى الاعتماد المتبادل لتنصير المسلمين!

إن الكنائس الشرقية القديمة - وإن لم تمثل يومًا هوية الشرق فى مواجهته الحضارية مع الغرب - لم تكن احتياطيًا للغرب فى مواجهته مع الشرق، أما اليوم، وبعد «التحديث الغربى» الذى طال مفاهيمها وأساليبها ومثلها وبعد الإعجاب الذى أصاب أبناءها بالنموذج الحضارى الغربى، وبعد تعلق جمهرة من مثقفى النصارى الشرقيين بالعلمانية الغربية، إما خوفًا من التمييز الطائفى إن

(١٠) المصدر السابق.

حكمت الشريعة الإسلامية، وإما كراهة للإسلام! فإن الباب قد انفتح لتكون الكنائس الشرقية - فضلاً عن الفروع المحلية للكنائس الغربية - احتياطياً، تحاول الكنائس الغربية وإرساليات التنصير الاعتماد عليه في هذه الحرب التنصيرية التي أعلنتها ضد الإسلام وحضارته وأمته وعالمه!

تلك حقيقة لابد من أن توضع على رأس جدول أعمال في حوار للحكماء من مختلف الفرقاء.

ويزيد من أهمية هذه الحقيقة - التي يلمسها صاحب النظرة المقابلة والمتابعة لخط بيان «التغريب، والتحديث - على النمط الغربي» الذي أصاب الكنائس الشرقية القديمة، والتي يعترف بها الكثيرون من أبنائها - يزيد من أهميتها أن بروتوكولات قساوسة التنصير ضربت عليها الأمثال في فرح وحبور!

فلقد تحدثوا عن «انبعاث وإحياء» الكنيسة الأرثوذكسية القبطية، و«الروح» الذي نفخ في «عظامها الناشفة المبعثرة» - وذلك في سياق إنجاز «الهدف الآني» الذي يمهد «للهدف الأخير»، وهو تنصير المسلمين.. فقالوا:

«إن المسألة التي لم يتم فيها الوصول إلى قرار، هي كيفية الوصول إلى المسلمين في البلدان التي توجد فيها كنائس قديمة (معظم بلدان الشرق الأوسط، إضافة إلى مصر وإثيوبيا). وهل يتم ذلك عن طريق هذه الكنائس؟ أم أنه يجب القيام بمبادرة جديدة للوصول إلى هؤلاء المسلمين؟

ويشير التاريخ إلى أن إرساليتين أمريكيتين تنصيريتين إلى الشرق الأوسط أنفقتا معظم الوقت في محاولة تجديد حياة الكنائس الشرقية التاريخية، ولذلك لم تتمكنا من القيام إلا بجهود محدودة لتنصير المسلمين. ومن المؤكد أن الرب لا يقصد تخطي العظام الناشفة التي تنتمي إليه، ومن يدري ماذا يعني هذا إذا ما نفخ الروح القدس حياة جديدة في العظام المبعثرة في الشرق الأوسط، وأعاد بصورة أصيلة انبعاث الكنائس، إنه بلا ريب قادر على ذلك، ولكنه قد يحتاج إلى تعاوننا في هذه المسائل؟!».

ثم تردف البروتوكولات - بعد الحديث عن مرحلة «تغريب» الكنائس الشرقية - والتي تسميه «انبعاثاً» ونفخاً للروح في «العظام الناشفة المبعثرة في الشرق الأوسط».. والذي استغرق من إرساليات الكنائس الغربية «معظم الوقت» في

المرحلة الأولى من الاحتكاك بينهما، تردف فتتحدث عن ثمرات هذا «الانبعاث - التغريبي».. فتقول:

«ويظهر أن الرب يقوم ببعث الحياة فى أجزاء من الكنائس القبطية فى مصر»[11].

وفى مكان آخر من أبحاث مؤتمر «كولورادو» حديث أكثر تحديداً عن «تجديد وتأسيس الأنماط الاجتماعية» فى الكنيسة الأرثوذكسية القبطية، والتى نقلت رهبانيتها من عالم «الروح» - الذى وقفت عنده تاريخياً - إلى عالم «الرهبانية الغربية» الذى يضاهى مؤسسات الإنتاج الرأسمالية.

«إن حركة الانبعاث فى الكنيسة القبطية الأرثوذكسية فى مصر أدت إلى تجديد وتأسيس الأنماط الاجتماعية.

وأذكر أحد هذه الأنماط الاجتماعية فى الصحراء، خارج القاهرة، حيث يعيش الناس فى مجتمع للعبادة، ويقومون بأداء عملهم اليومى فى العاصمة. لكنهم يشدون أزر بعضهم بعضاً فى حياة مشتركة يرحبون من خلالها بالضيوف والمتنصرين..»[12].

فأديرة الصحراء غدت مؤسسات إنتاجية متكاملة ومرتبطة بحياة العاصمة، وفيها - إلى جانب العبادة - كل الشئون الحيوية، بما فيها استقبال «الأجانب» والنهوض بمهام «التنصير» للمسلمين.

*ولقد أفاضت بروتوكولات قساوسة التنصير هذه فى الحديث عن الهدف من إحياء الكنائس الغربية لهذه الكنائس الشرقية القديمة، إنه الاعتماد عليها فى عملية تنصير المسلمين، لما لها - بحكم وطنيتها، ومحليتها، ولغتها وعلاقاتها - من إمكانات لا تتوافر للمنصرين الأجانب فى إنجاز هذا الهدف.

«يجب تحريك الأقلية النصرانية ودفعها، بالروح القدس ومن خلال الكلمة المقدسة، حتى تتخلى عن أساليبها التقليدية..».

«ويجب أن يتم كسب المسلمين عن طريق منصرين مقبولين من داخل مجتمعهم..»[13].

(11) المصدر السابق: نظرة شاملة عن إرساليات التنصير العاملة وسط المسلمين - لـ «جورج بيترز» - ص584، 585.

(12) المصدر السابق: مستويات وأشكال ومواقع البرامج التدريبية - لـ «فيفيان سيتسى» - ص 668.

(13) المصدر السابق: الدعوة إلى التجديد الروحى - لـ «ج. أيدون أور» - ص627، 630

«.. ويفضل النصارى العرب فى عملية التنصير»[14].

«وإن تنصير أهل البلاد سوف يتم بصورة أساسية من خلال النصارى المنتمين إلى الكنيسة المحلية. ويتم بعد ذلك تكوين جالية محلية نصرانية قوية..»[15].

* * *

* وإذا كانت الكنائس الغربية - بقيادة الأمريكان - قد نجحت - فى العقود الأخيرة - وكثمرة من ثمرات «تغريب» الكنائس الشرقية القديمة - الذى أسمته «انبعاثًا وإحياء» - فى إلحاق هذه الكنائس «بمجلس الكنائس العالمى WORLD COUNCIL OF CHURCHES[16] - ذى التمويل والتوجيه الأمريكى - برغم معارضة التيار الوطنى داخل هذه الكنائس الشرقية القديمة[17]. فإن بروتوكولات قساوسة التنصير فى مؤتمر «كولورادو» تفضح نفاق هذه المنظمة المسكونية وخداعها للمسلمين بما تقيم من مؤتمرات للحوار بين النصارى والمسلمين.

ففى مؤتمرات الحوار هذه يصدر مجلس الكنائس العالمى البيانات التى تشدد على «حرية الإقناع والاقتناع» والتى تعارض «تحويل» - وليس «تحول» - الناس إلى معتقدات جديدة. فلما دار الحوار فى مؤتمر «كولورادو» حول هذه المضامين لهذه البيانات، واستنكر المتحاورون هذه المواقف التى تعوق «تحويلهم» المسلمين عن دينهم إلى النصرانية. واستنكروا، كذلك اشتراط «الحرية» فى «الإقناع والاقتناع»، طمأنهم ذوو الصلات الوثيقة بمجلس الكنائس العالمى إلى أن هذه المواقف وتلك البيانات لا تلزم المجلس، بل قالوا: إن المجلس لا يرى الحوار بديلاً عن تحويل غير النصارى إلى النصرانية. بل ربما كان الحوار مرحلة من مراحل التنصير، وإن هذه البيانات الجديدة لا تعنى تخلى

---

(14) المصدر السابق. مقارنة بين وضع الإسلام والنصرانية فى شمال إفريقيا - لـ «كريكورى، م. لفنكستون» - ص ٣٨٣.

(15) المصدر السابق: دور الكنائس المحلية فى خطة الرب لخلاص المسلمين - لـ «فرانك. س. خيرالله» - ص ٨٤٥.

(16) تأسس فى أمستردام، بهولندا، سنة ١٩٤٨م.

(17) انظر ثلاث دراسات صادرة عن بيت التكريس بحلوان - القاهرة - ما بين أغسطس سنة ١٩٦٢ ويناير سنة ١٩٦٣م بعناوين: (مجلس الكنائس العالمى. من واقع قراراته) و(مجلس الكنائس العالمى. من واقع مواقفه) و(مجلس الكنائس العالمى: من واقع تاريخه).

المجلس عن مواقفه المناصرة «للجهود القسرية والواعية والمتعمدة والتكتيكية لجذب الناس من مجتمع دينى ما إلى آخر».. فهذه المواقف، هى الأخرى صدرت بها بيانات من مؤتمرات لنفس مجلس الكنائس العالمى.

ففى واحد من أبحاث مؤتمر «كولورادو» قال صاحبه:

«لقد انبثقت عدة نقاط «اتفاق» عن لقاءات الحوار بين مجلس الكنائس وبين المسلمين تثير قلق المنصرين. فمثلاً: اتخذت مؤتمرات مجلس الكنائس العالمى مواقف قوية ضد تحويل الناس إلى معتقدات جديدة. وفى بيان «شامبيس» لعام ١٩٧٦م شددوا على حرية «الإقناع والاقتناع».

ولكن يبدو مناقضًا للبيانات التى اتخذت فى مؤتمر «كولومبو» و«ليكون» وأماكن أخرى، حيث ساووا بين الإدخال فى دين جديد والجهود القسرية والواعية والمتعمدة والتكتيكية لجذب الناس من مجتمع دينى ما إلى آخر»[١٨]

وجدير بالانتباه، أن هذا النص لا يفضح فقط مجلس الكنائس العالمى، وإنما هو يفضح أكثر وأكثر بروتوكولات قساوسة «كولورادو» الذين يزعجهم النص على «حرية الإقناع والاقتناع» فى التدين بالدين.

إنهم لا يخجلون عندما يتحدثون عن «القسر» فى التحويل عن الدين الإسلامى، الذى رفع من قبل أربعة عشر قرنًا مبدأ: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾[١٩]. والذى اعتبر «فتنة» الإنسان عن دينه أشد من قتل هذا الإنسان ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾[٢٠].

ثم يتساءل صاحب هذا البحث عن مهمة هذا الحوار – الذى ينظمه مجلس الكنائس العالمى – وهل هو بديل عن التنصير؟.. أم أنه مرحلة فى عملية التنصير؟

«هل يمكن أن يكون الحوار بديلاً عن الإعلان والدعوة المباشرة الصريحة؟ أو أن فائدته مقصورة على فترة «ما قبل التنصير» أى أنه أداة لتحريك الناس ليكونوا أقرب إلى النقطة التى تكون فيها النصرانية هى الخيار الحقيقى..؟»[٢١]!

(١٨) التنصير – «خطة «لغزو العالم الإسلامى» – الحوار بين النصارى والمسلمين وصلته الوثيقة بالتنصير – لـ «دانيل آريزوستر» – ص ٧٧٠

(١٩) البقرة: ٢٥٦

(٢٠) البقرة: ١٩١

(٢١) التنصير: خطة لغزو العالم الإسلامى – الحوار بين النصارى والمسلمين وصلته الوثيقة بالتنصير – لـ «دانيل آريزوستر» – ص ٧٧٥ ، ٧٧٦

وفى الحوار الذى دار حول هذا البحث – الذى تحدث عنوانه عن «الصلة الوثيقة» للحوار بالتنصير، كشف «أحد أعضاء مجلس الكنائس العالمى» – فى «إصرار» – عن «أن المجلس ليس لديه نية فى وضع الحوار بديلاً للإرسالية التنصيرية، وأن استخدامه للحوار يجب ألا يفسر على أنه دفاع عن أى شكل من أشكال الحلول الوسطية»[٢٢]!

وقطع وأكد معقب آخر: «أن أعضاء مجلس الكنائس العالمى غير ملتزمين بالتقيد بهذه البيانات –(التى تتحدث عن «حرية الإقناع والاقتناع»)– وأن الاشتراك فى الحوار لا يعنى على الإطلاق وقف المرامى التنصيرية»[٢٣]!

فلما جاء دور رد كاتب البحث – (الحوار بين النصارى والمسلمين وصلته الوثيقة بالتنصير) أكد صدق أقوال المعقبين، وتحدث عن الدور التمهيدى لهذا «الحوار» فى عملية «التنصير» فقال:

«إنى أعتقد وجود قيمة حقيقية فى الحوار، سواء على المستوى الرسمى أو غير الرسمى، فعلى المستوى الرسمى يمكن القيام بالكثير لتصفية المياه العكرة التى أثارتها قرون من الامبريالية الدينية والسياسية على كلا الجانبين، وأعنى بذلك: الجهاد، والحملات الصليبية والاستعمار والصهيونية.. إلخ، وعلى المستوى غير الرسمى، فإن للحوار وظيفة طبيعية يمكن أن تفتح أبوابًا للصداقات، وتخلق تفهمًا متبادلاً بغرض المشاركة فى حقيقة الحياة، كما يراها النصرانى،

وفيما لا يستطيع شخص نصرانى، مخاطبًا شخصًا آخر فى جو الحوار، أن يقول: «اندم، وآمن بالكتاب المقدس»، فإنه يستطيع أن يقول: «قد ندمت وآمنت، وهذا ما حدث لى..»[٢٤]!

فـ «الحوار» – الذى ينظمه مجلس الكنائس العالمى – هو مرحلة من مراحل «التنصير».. ينقى الجو، ويصفى المياه العكرة، ويقود غير النصرانى إلى «المشاركة فى حقيقة الحياة، كما يراها النصرانى» – وليس كما يراها غير النصرانى.

---

(٢٢) المصدر السابق: ص ٧٧٩.

(٢٣) المصدر السابق: ص٧٨٣.

(٢٤) المصدر السابق: ص ٧٨١، ٧٨٢.

* بل لقد فضحت هذه البروتوكولات - التى لم ينشر منها سوى الملخص، الذى خلا من الأمور ذات الحساسية - فضحت المنظمة الإقليمية للكنائس الشرقية - «مجلس كنائس الشرق الأوسط»[٢٥] - عندما كشفت عن علاقاته بمشاريع التنصير التى تقودها الكنائس والإرساليات الغربية.. وكيف أن المطلوب هو أن يكون هذا المجلس إطارًا للتنسيق بين إرساليات التنصير الأمريكية العاملة فى الشرق الأوسط.. إلى آخره. تحدثوا عن هذا الدور لمجلس كنائس الشرق الأوسط - وذكروا، أيضًا عنوانه البريدى فى بيروت.

فقالوا:

لقد «لاحظت هيئة النصارى الوطنية التنصيرية أن العلاقات - (بين الإرساليات غير الغربية والإرساليات الأمريكية) - يمكن أن تتحسن إذا أمكن زيادة الدعم المالى بدون الإعلان الكبير عنه.. ودعمت وكالة برنامج المشيخية المتحدة هذه الملاحظة.

وحث مجلس الكنائس المتحدة الإرساليات العالمية على أن تنسق جميع إرساليات أمريكا الشمالية العاملة فى الشرق الأوسط خدماتها من خلال مجلس كنائس الشرق الأوسط (عنوانه ص. ب ٣٥٧٦ بيروت) وشدد على هذا الاقتراح «مجلس الكنيسة المنهجية المتحدة للإرساليات العالمية..»[٢٦] الذى يدعم مجلس كنائس الشرق الأوسط ماليًا[٢٧].

وهكذا وضحت معالم هذا السبيل من سبل اختراق الغرب بالنصرانية للإسلام وأمته وحضارته وعالمه.

فالموجة الأولى من إرساليات التنصير الغربية - والتى «سرقت» عددًا من أبناء الكنائس الشرقية القديمة - لم تأت «لسرقة هؤلاء النصارى الشرقيين».. فلقد جاءت منذ البداية - وفى ركاب الغزو الاستعمارى - لتنصير المسلمين.

---

(٢٥) تأسس سنة ١٩٢٧م، وشاركت فيه الكنيسة الإنجيلية المصرية كمراقب برغم أن اجتماع تأسيسه كان فى مصر - بحلوان - ثم انضمت إليه رسميا وبشكل كامل سنة ١٩٥٥م. انظر (تاريخ الكنيسة الإنجيلية فى مصر) ص٢٨٩

(٢٦) التنصير: خطة لغزو العالم الإسلامى - روابط أمريكا الشمالية مع إرساليات العالم الثالث التنصيرية العاملة فى المسلمين - لـ «ولدرون سكوت» - ص٧٩٩، ٨٠٠

(٢٧) انظر فى الاعتراف بالدعم المالى من «مجلس الكنيسة المتحدة للخدمات العالمية» لمجلس كنائس الشرق الأوسط: المصدر السابق - روابط أمريكا الشمالية مع إرساليات العالم الثالث التنصيرية العاملة بين المسلمين - لـ «والدرون سكوت» - ص٧٩٩.

وهى قد «سرقت هؤلاء النصارى من كنائسهم لتقيم بهم موطئ قدم لها فى أرض الإسلام، ولقد انتهت هذه المرحلة، وأنجزت تلك المهمة، والجهود الآن كل الجهود هى لتنصير المسلمين!

وهذه التأثيرات الكنسية الغربية التى أشاعتها الكنائس الغربية فى حياة الكنائس الشرقية القديمة. هى «التحديث النصرانى الغربى» لهذه الكنائس. والهدف منه إشراك هذه الكنائس الشرقية القديمة مع الكنائس الغربية وإرساليات التنصير التابعة لها فى تنصير المسلمين.. بل والاعتماد على إمكاناتها الوطنية واللغوية والثقافية فى عملية التنصير، سداً لنقص وجبراً لعجز تعانى منه الكنائس الغربية عندما تعمل خارج محيطها الوطنى واللغوى والثقافى

فالهدف الأول والأكبر والوحيد هو اتخاذ الكنائس الشرقية – الموروث منها والوافد – سبلاً لاختراق الإسلام وتنصير المسلمين!

وأمام هذا المخطط المعلن، فى مؤتمر شاركت فيه قيادات الكنائس الشرقية – منذ ثلاثين عاماً – ووضعت توصياته ومخططاته فى التنفيذ – دون أن نسمع كلمة واحدة عن هذا المخطط من كنيسة من هذه الكنائس «الوطنية».. ألا يحق لنا – كحد أدنى – أن نضع العديد من علامات الاستفهام، وأن نطلب الإجابة – «بالفعل» قبل «القول» – على هذه العلامات للاستفهام!

* * *

الفصل السادس

تنصير المسلمين
بواسطة العمالة المدنية الأجنبية!

(إنه على الرغم من وجود منصِّرين بروتستانت من أمريكا الشمالية، في الخارج أكثر من أي وقت مضى، فإن عدد الأمريكيين الفنيين الذين يعيشون فيما وراء البحار يفوق عدد المنصِّرين بأكثر من ١٠٠ إلى ١.

وإن الأفراد الذين يملكون الخبرة الفنية يمكنهم أيضًا أن يعملوا من أجل المسيح، وهذا أمر مهم، وبخاصة في البلاد التي تمنع حكوماتها التنصير العلني.. إنهم يستطيعون ويجب أن يتمموا عمل المنصرين، وذلك بالعمل معًا جنبًا إلى جنب لتنصير العالم الإسلامي!..).

من أبحاث مؤتمر كولورادو
لتنصير المسلمين

الفصل السادس

تنصير المسلمين بواسطة العمالة المدنية الأجنبية!

كأنما المخطط التنصيرى الذى وضعته النصرانية الغربية بقيادة الكنيسة المشيخية الأمريكية - فى مؤتمر «كولورادو» - سلسلة من الختل والخداع، متصلة الحلقات!:

* حلقة الالتفاف حول الإسلام.. والهروب من مواجهته.. لاختراقه وهدمه من الداخل!

* وحلقة الهرب من مواجهة الهوية الإسلامية للثقافة الإسلامية.. واختراقها، تحت مظلتها، لفك ارتباطها بأنماطها وأشكالها وقوالبها.. وصولاً إلى تدميرها والخلاص منها!

* وحلقة الالتفاف حول الحصون الوطنية واللغوية والحضارية لعالم الإسلام.. واختراقه عن طريق الكنائس المحلية - قديمة كانت أو وافدة - لنفى الإسلام وتنصير المسلمين!

* وها نحن أمام فصل آخر من فصول كتاب الختل والخداع، الذى تجسد فى بروتوكولات قساوسة التنصير، يحكى مخطط الالتفاف حول العقبات التى تضعها بعض الدول الإسلامية أمام التنصير الرسمى، كرد فعل منها على ارتباطاته التاريخية بالاستعمار الغربى، ورفض منها لأساليبه فى الختل والخداع التى لا علاقة لها بالدعوة إلى الدين!

وفى هذا الفصل من فصول الأساليب التنصيرية مخطط لسد الفجوة بين إمكانات إرساليات التنصير الرسمية - مع هول ضخامة إمكاناتها! - وبين الحلم المجنون للمنصرين فى طى صفحة الإسلام من الوجود وتنصير كل

المسلمين! الاتفاق حول ذلك كله باستخدام العمالة المدنية الأجنبية العاملة فى البلاد الإسلامية أدوات للتنصير، بتدريبها وتوجيهها على التنصير. والتنسيق بينها وبين إرسالياته، استغلالاً لإمكاناتها التى لا تتوافر للمنصرين الرسميين فى أحيان كثيرة، وهرباً من العقبات التى قد توجد أمام التنصير المكشوف وتحقيقًا لمقاصد: مضاعفة طاقات إرساليات التنصير، دون أن تتحمل أعباء جديدة فى البشر أو فى النفقات!

إنه - كما قلنا - فصل آخر من فصول كتاب الختل والخداع لقساوسة التنصير!

وحتى نتصور - دون حاجة إلى لغة الأرقام - حجم العمالة المدنية الأجنبية فى عالم الإسلام، والتى خطط المنصرون لتحويلها إلى جيش من المنصِّرين المدنيين - وأطلقوا عليهم «أصحاب الخيام»! - يكفى أن نعلم أن منطقة الخليج العربى والتى تضم ثلثى ثروة العالم من النفط، هذه المنطقة تصل نسبة العمالة الأجنبية فيها إلى ما يزيد على ثلثى تعداد البشر القاطنين فيها!.

وأن نعلم ما تفرضه أوضاع التبعية - تبعية العالم الإسلامى للغرب - فى الميادين التقنية، والعسكرية، والاقتصادية.. والتبعية فى ميادين الترف والاستهلاك.. إلخ، ما تفرضه هذه التبعية من عمالة مدنية أجنبية فى كل ميادين الحياة بكل دول عالم الإسلام.

يكفى أن نعلم ذلك حتى نتيقن من هول الحقيقة، التى عبرت عنها كلمات قساوسة التنصير عندما قالوا عن مشروعهم هذا، لتجنيد العمالة المدنية الأجنبية فى التنصير: إنه «مشروع فى حجم مجمل الحركة التنصيرية اليوم، وربما يكون أكبر بكثير»[1].

* * *

يبدأ هذا المخطط اللاأخلاقى، والذى يكلف العامل والموظف الأجنبى بمهام سرية لم ينص عليها اتفاق تعاقده مع البلد الذى يعمل فيه حتى ليصل به إلى وضع «الجاسوس».

---

(١) المصدر السابق: مهام تنصيرية يقوم بها منصرون غير متفرغين (أصحاب الخيام) إلى جانب عملهم فى دولة إسلامية - لـ «ج. كريستى ويلسون» - ص٧٣٢.

يبدأ هذا المخطط كي يلتف المنصّرون وإرسالياتهم حول بعض العقبات التي جاءت ووجدت أمام التنصير الرسمي، كردود أفعال لتجاوزاتهم أو للتاريخ الاستعماري لحركة التنصير، وهم يعترفون – على سبيل المثال – بالنسبة إلى منطقة الخليج العربي، أن ممارساتهم في المدارس والمستشفيات وبرامج الرعاية قد خلقت ردود فعل متحفظة أو معادية، عند حكام الخليج ضد إرساليات التنصير «فهناك بعض حكام الخليج، خاصة في الكويت وأبوظبي والبحرين وعمان، يحملون شعورًا شخصيًا تجاه الجاليات النصرانية. ويعود هذا إلى أن مساهمات المنصّرين الأولى، عن طريق المدارس والمستشفيات وبرامج الرعاية لم تنس..»[٢]. ويعترفون بأن المشكلات السياسية بين الغرب وبلد مثل ليبيا، قد أدت إلى أنه «لا يوجد منصرون يعملون في القطر (أما عدا المجموعات المفترية) والرجال الأربعة الوحيدون الذين انخرطوا في التنصير العلني تم اعتقالهم ووضعهم في السجن لمدة ثمانية أشهر»[٣].

والتفافًا حول هذه «العقبات» أمام التنصير الرسمي والعلني.. جاء هذا المخطط الذي يحول العمالة المدنية الأجنبية في البلاد الإسلامية إلى «جواسيس دينيين»، يضاعفون – وربما أكثر – جهود التنصير دون أعباء مالية أو بشرية جديدة على إرساليات التنصير!

ذلك «أن الأفراد الذين يملكون الخبرة الفنية يمكنهم أيضًا أن يعملوا من أجل المسيح، وهذا أمر مهم وبخاصة في البلاد التي تمنع حكوماتها التنصير العلني أما المنصّرون فيحققون فوائد أكثر في المناطق التي يسمح فيها بالتنصير»[٤].

ولا يحسبن إنسان أن قيام هؤلاء العاملين المدنيين بالتنصير، هو مجرد غيرة وحماسة للدين الذي يتدينون به، فتلك أمور مشروعة بالنسبة إلى كل متدين بأي دين، إن ما نحن بصدده هو مخطط وضعته إرساليات التنصير، تقوم بموجبه بعمليات «التدريب» و«التوجيه» لهذه العمالة المدنية، كما تفعل مع المنصّرين الرسميين!

(٢) المصدر السابق: مقارنة بين وضع النصرانية والإسلام في الشرق الأوسط. لـ «نورمان فورتر» ـ ص٤٠١
(٣) المصدر السابق. مقارنة بين وضع الإسلام والنصرانية في شمال إفريقيا. لـ «كريكوري. م. لفنكستون» ـ ص٢٧٣
(٤) المصدر السابق: الغذاء والصحة وسائل لتنصير المسلمين. لـ «روبرت. سي. بنكيت، ورفينول ل. ماكاكيا» ـ ص٨٢٩

كما تقوم بالتنسيق بين جهودهم التنصيرية وبين جهود إرساليات التنصير، وهى تصنع ذلك كله سرا، خارقة الأعراف ومخالفة عقود العمل والتوظيف التى يعمل بموجبها هؤلاء العاملون المدنيون!!

إنهم يدربون هؤلاء العاملين المدنيين على التنصير، وكأنهم «جيش تنصيرى» لفتح «الأرض المغلقة» أمام المنصرين الرسميين.. بل إن هذه هى كلماتهم هم، عندما يتحدثون عن «تدريب» (أصحاب الخيام)!:

«لا توجد أرض مغلقة أمام الكتاب المقدس، فأينما وجد أتباع المسيح وجد الكتاب المقدس معهم، وعلينا تدريب الأتباع سواء أكانوا منصرين أم موظفين تنفيذيين في حقول النفط أو في المشاريع الإنشائية، وإذا فكرنا فقط فى إرساليات التنصير فإننا ستكون قد دربنا أقلية فقط من الأتباع. يجب أن نهيئ فى مناطق الأزمات «مدنيين» يواصلون عملنا قبل أن نطرد منها كمنصرين»!!

فهم هنا – وفى هذا البحث المتخصص عن «التدريب» على التنصير – يدعون إلى تدريب العمالة المدنية على التنصير حتى فى البلاد التى فيها متصرون رسميون، تحسبا للأزمات بين هذه البلاد وبين إرساليات التنصير، فإذا ما حدثت الأزمة وطرد المتصرون الرسميون «واصل عملهم» العاملون المدنيون.

وفى الحديث عن التخطيط لمستويات التدريب ما يفصح عن عموم التدريب لكل مستويات وفئات العاملين المدنيين!

«فالمستويات المختلفة للناس الذين يراد تدريبهم هى:

١ – المنصرون المحترفون.

٢ – أشباه المتعلمين والأميين من العمال، مثل كثير من الموجودين اليوم فى مناطق النفط.

٣ – رجال الأعمال والطبقات المتخصصة.

٤ – الذين يعانون...».

وهذا التدريب على التنصير للعمالة المدنية، يتم فى «مراكز التدريب على التنصير» فى مواطن هذه العمالة المدنية قبل ذهابها إلى مجالات عملها فى البلاد الإسلامية سواء أكان ذلك فى البلاد الغربية أم فى البلاد الآسيوية التى تأتى منها عمالة كثيفة إلى البلاد النفطية!

وبنص عباراتهم التى لا تدع مجالاً للبس أو تأويل! ، فإنه «يجب أن تقوم مراكز التدريب الأساسية بالمبادرة بالاتصال بمجموعات من المعلمين والأطباء والممرضات والفنيين والبنائين.. إلخ. والذين سيواصلون تدفقهم على المناطق النفطية الغنية فى الشرق الأوسط. ويمكن الاستفادة من الموظفين المحليين والمكتبات وجميع الفرص المتاحة للتوغل العلمى فى أوساط المسلمين. وفى مجال توظيف وتدريس الآخرين فى الدورات الموسعة ستكون هناك حاجة إلى النصارى الذين سبق لهم العمل فى وظائف مدنية فى العالم الإسلامى».

أى أن من هؤلاء المنصِّرين المدنيين من سيستعان بهم فى التدريب للعمالة المدنية على التنصير فى «الدورات الموسعة» استفادة بخبراتهم فى هذا الميدان!

وصاحبة هذا البحث - وهى متخصصة بالتدريب على التنصير - تتحدث عن خبرات تطبيقية لها فى ميدان تدريب العمالة المدنية النصرانية الآسيوية، قبل ذهابهم للعمل فى بلاد النفط.. فتقول: «لا يمكن الاكتفاء فقط بعقد دورات توجيهية ميدانية للمنصرين، بل يمكن عقد هذه الدورات للعمال الذاهبين إلى منطقة الشرق الأوسط من الباكستانيين والهنود والفلبينيين والكوريين.. إلخ.

لقد عقد معهد اللاهوت فى كراتشى فى الباكستان، دورته الأولى فى فبراير من هذا العام - (١٩٧٨م) - للباكستانيين الذاهبين إلى منطقة الخليج - ويقوم معهد تدريب المنصِّرين الهندى فى «ناسك» بالهند، بتدريب الهنود على العمل التنصيرى فى الخارج، وقد اشتركت فى تموز - (يوليو) - فى برنامج لمدة ثلاثة أشهر فى مدينة «ناسك» اشتمل على بعض الدراسات الإسلامية و دورات فى تنصير المسلمين

إن تطوير القابلية يستدعى تدريب المنصر «المدنى» إضافة إلى المنصر المحترف..»[٥]

أرأينا - فى ضوء هذه الاعترافات - كيف نجلس جميعًا - بسبب حجم العمالة الأجنبية - على «بركان تنصيرى» يهدد بالتدمير أعظم نعمة أنعم علينا بها الله سبحانه وتعالى «نعمة الإسلام»؟!

وإذا لم نفق أمام هول هذا الخطر.. فماذا ننتظر كى نفيق؟!

* * *

(٥) المصدر السابق: مستويات وأشكال ومواقع البرامج التدريبية . د «فيفيان ستيسى» - ص ٦٦٠ ، ٦٦١، ٦٦٢، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٧٠.

ولا يقف هذا المخطط فقط عند «تدريب» العمالة المدنية الأجنبية على تنصير المسلمين فى البلاد التى يعملون بها.. بل إنه يتحدث عن «دعم» هذه العمالة المدنية من قبل إرساليات التنصير.. وأيضًا عن «التنسيق» بين جهودها التنصيرية وجهود الإرساليات.. فنحن أمام «جيش متطوع» للتنصير ولسنا أمام «منصرين هواة»..

والحديث عن هذه الحقيقة نطالعه فى أحد أبحاث مؤتمر «كولورادو» الذى يقول:

«لقد قدم «مايكل كريفيش» فى كتابه (دع طموحاتك الصغيرة) تلخيصًا جيدًا لتلك النتائج المغمورة للموظفين المدنيين من غير المنصِّرين، الذين يسعون إلى استخدام أعمالهم كوسيلة للتغلغل فى سبيل تنصير القطر كله. والعقبة الأكبر بالنسبة إلى هؤلاء الموظفين المدنيين هى خوفهم الشديد من أن الدعوة المكشوفة تعرض وظائفهم أو شركاتهم للخطر. ثم يطالب الكاتب بدعم هؤلاء العاملين المدنيين «من الخارج» - (كما هو الحال مع المنصِّرين الرسميين) - ليتمكنوا من تخصيص ساعات عملهم وتقليصها، وهكذا يستطيعون توفير وقت كاف لاستخدامه فى إقامة الصداقات وكسب الأتباع والمتابعة..»[٦]!

فالدعم والتنسيق - بعد التدريب - هما سبيل هذه العمالة المدنية «للتغلغل فى سبيل تنصير القطر كله»! كما يقول صاحب التقرير!

وبهذا المخطط - الذى رصدنا بعض ما أعلنه قساوسة التنصير من قسماته - ويعلم الله هول الذى حجبوا - قالوا: إنهم يزيدون طاقات الحركة التنصيرية إلى ما هو أكبر بكثير من ضعفها!

ولنقرأ سطورًا من بروتوكولاتهم تعلن عن فرحتهم بالآمال التى سيحققها لهم هؤلاء «المنصرون المدنيون»:

«إن إحدى هذه الفرص التى أتاحها الرب اليوم فى الدول الإسلامية هى وجود النصارى العاملين المغتربين، وهى فرصة لم يتم استغلالها فى عملية التنصير.

هناك اهتمام بالعمل الشخصى للتنصير فى الدول الإسلامية، والذى يغطى القائم به نفقاته. يقول «ويلدرون أسكوت»، الأمين العام للرابطة التنصيرية العالمية، متحدثًا عن خدمة (أصحاب الخيام) «أشعر فى نفسى بأن هذه ربما

(٦) المصدر السابق: مقارنة بين وضع الإسلام والنصرانية فى شمال إفريقيا - لـ «كريكورى، م، لفنكستون» - ص ٣٨١، ٣٨٢.

تكون الحركة الخلاقة العظيمة التالية التى سوف يوجدها روح الرب فى جهود العمل التنصيرى. إننا نتحدث عن مشروع هو على الأقل فى حجم مجمل الحركة التنصيرية اليوم، وربما يكون أكبر بكثير!».

وأحد أسباب مثل هذا القول هو الحقيقة بأنه على الرغم من وجود منصّرين بروتستانت من أمريكا الشمالية فى الخارج أكثر من أى وقت مضى، فإن عدد الأمريكيين الآخرين الذين يعيشون فيما وراء البحار يفوق هذا العدد بأكثر من ١٠٠ إلى ١ (مصادر وزارة الخارجية الأمريكية).

«وهذا لا يقلل بأى حال من الأحوال من أهمية المنصّرين المدعومين من قبل الكنيسة النظامية، والموجودين فى البلاد الإسلامية، فإن هناك حاجة إلى مزيد من هؤلاء المنصّرين فى المناطق التى يسمح لهم بدخولها، ولكن أصحاب الخيام يستطيعون ويجب أن يتمموا عمل المنصّرين، وذلك بالعمل معهم جنبًا إلى جنب لتنصير العالم الإسلامى»[7]!

فالمطلوب – وفق هذا المخطط – هو إضافة نسبة مائة إلى كل واحد من المنصّرين الرسميين الأمريكان.. ليعملوا «جنبًا إلى جنب لتنصير العالم الإسلامى» تحقيقًا «للحركة الخلاقة العظيمة»، التى هى «الثورة التنصيرية» التالية – كما يقول الأمين العام للرابطة التنصيرية العالمية!

* * *

وإذا كانت هذه هى طموحات المستقبل.. فلا يحسبن أحد أن الأمر – أمر هذا المخطط – لم يتعد حدود «التخطيط».. ففى بروتوكولات قساوسة التنصير هذه العديد من الأمثلة التى ضربوها على نجاح تطبيقات التنصير عن طريق العمالة المدنية، وعلى الثمرات التى جنوها من هذا «التطبيق» الذى يخططون لتطويره وتعميمه، تحقيقًا للحلم المجنون فى اقتلاع الإسلام وتنصير كل المسلمين.

• فعن تطبيق هذا المخطط فى أفغانستان يقولون:

«كانت أفغانستان مغلقة فى وجه المنصّرين القادمين من الخارج، ولمجابهة هذا الواقع فإن الطريق الوحيد الذى استطاع النصارى الدخول منه

(٧) المصدر السابق: مهام تنصيرية - يقوم بها منصرون غير متفرغين (أصحاب الخيام) إلى جانب عملهم فى دولة إسلامية - لـ «ج. كريستى ويلسون» - ص٧٢٢، ٧٣٣.

لأول مرة عام ١٩٤٨م وبناء الكنيسة كان عن طريق أفراد معتمدين على إمكاناتهم الذاتية، وبعد أن عمل أصحاب الخيام هؤلاء عدة سنوات، مدرسين وفنيين ودبلوماسيين ومستشارين للأمم المتحدة، أتيحت الفرصة لدخول منصرين أطباء وممرضات وممرضين وغيرهم من ذوى المهن التى كانت تحتاج إليها البلاد..»[٨].

* وعن تطبيق هذا المخطط فى باكستان يقولون:

«عندما سمح لأصحاب الخيام هؤلاء بدخول باكستان، كان يشار إليهم على أنهم أطباء وممرضون وعمال نصارى، وليس على أنهم منصرون، وحيث إن معظم المسئولين فى الدول الإسلامية لا يعرفون الفرق بين النصرانى والمنصر، فإن هؤلاء الذين يحملون المؤهلات لمناصب فى هذه البلاد تم الترحيب بهم..»[٩]!

أرأيتم كيف يتحدثون عن حقيقة انتفاء الفرق فى عمالتهم الأجنبية بين «النصرانى» وبين «المنصر»؟! ويتحدثون عن جهل «معظم المسئولين فى الدول الإسلامية» بهذه الحقيقة – الأمر الذى أدى إلى «الترحيب» بهؤلاء «المنصرين – المدنيين»!

* وعن تطبيق هذا المخطط فى إندونيسيا وفى نيجيريا كتبوا يقولون:

«إن هنالك حاجة إلى ربط هؤلاء النصارى الجادين من (أصحاب الخيام) بهيئات العمل التنصيرى المنظم، وإذا أريد لعمل أصحاب الخيام أن يكون فعال النتائج دائمًا فإنه يجب أن يكون هنالك تعاون وثيق بين وكالات التنصير التى تعمل فى ثقافات مختلفة، وبين الكنائس الوطنية.

هناك أمثلة رائعة على مثل هذا التعاون، وهى موجودة بين المدرسين العاملين فى المدارس الحكومية بإندونيسيا تحت توصية رابطة التنصير لما وراء البحار.

وفى نيجيريا تحت توجيه إرسالية السودان الداخلية..»[١٠].

---

(٨) المصدر السابق: مهام تنصيرية يقوم بها متصرون غير متفرغين (أصحاب الخيام) إلى جانب عملهم فى دولة إسلامية. لـ «ج. كريستى ويلسون». ص٧٣٦.

(٩) المصدر السابق: مهام تنصيرية يقوم بها متصرون غير متفرغين (أصحاب الخيام) إلى جانب عملهم فى دولة إسلامية. لـ «ج. كريستى ويلسون». ص٧٣٧.

(١٠) المصدر السابق: مهام تنصيرية يقوم بها متصرون غير متفرغين (أصحاب الخيام) إلى جانب عملهم فى دولة إسلامية. لـ «ج. كريستى ويلسون». ص٧٤١

لقد تعاون «ثالوث» إرساليات التنصير، مع العمالة المدنية، مع الكنائس المحلية على تنصير المسلمين!

• وعن شمال إفريقيا قالوا عندما طبقوا فيه هذا المخطط:

« فى المناطق الإسلامية التى يسمح فيها للمنصرين المتفرغين بالعمل فإن المنصرين الذين يعتمدون على أنفسهم من غير حاجة إلى دعم خارجي يمكن أن «يتعاونوا معهم». وعندما طرد منصر وزوجته من شمال إفريقيا استطاعا العودة مرة أخرى على أنهما طبيبان ومنصران من أصحاب الخيام، وهكذا جسدا الطريقة التى يلتقى فيها هذان النمطان من الخدمة.

فصاحب الخيمة كثيرًا ما يستطيع أن يعاشر طبقة من مجتمع لا تستطيع أن تصل إليه الإرساليات»[11]

إن العمل المدنى يحميه من القيود التى قد تفرض على المنصر. ويتيح له إمكانات اجتماعية لا تتاح للمنصر .. ويسهل له العودة حتى لو طرد كمنصر رسمى.

• وعن إحدى دول الخليج العربى وهى دولة نفطية، يقولون: إنها «مغلقة» فى وجه التنصير الرسمى.. قالوا عن نجاحات العمالة المدنية فى التنصير فيها:

«لقد عمل مهندس نصرانى فى جامعة إسلامية بالخارج فى دولة مغلقة فى وجه التنصير. وإلى جانب أدائه واجبه بصورة ممتازة. قام بتوجيه بعض طلابه إلى المسيح، وعلمهم العقيدة، وعقد لهم لقاءات للصلاة، وجلسات لدراسة الكتاب المقدس فى بيته، ولعب مع عائلته دورًا نشطًا فى الكنيسة المحلية للأجانب، كما أنه أعطى أيضًا نصف راتبه لدعم التنصير، ودعم المشروعات النصرانية حول العالم!

وقام مهندس نفط آخر فى دولة إسلامية «مغلقة» بإعطاء نسخ من العهد الجديد باللغة العربية لكل الرجال الذين يعملون معه، وكان لهذا الرجل أهمية اقتصادية بالنسبة إلى هذه الدولة، ولذلك لم يطرد.

إننا بحاجة إلى أن نقر ونقدر عمل هؤلاء الناس، ونجند آخرين لمساعدتهم، ونجهزهم بما يحتاجون إليه، ونصلى لهم ونشجعهم على تقديم التقارير»[12].

(١١) المصدر السابق: مهام تنصيرية يقوم بها منصرون غير متفرغين (أصحاب الخيام) إلى جانب عملهم فى دولة إسلامية - لـ «ج. كريستى ويلسون» - ص٧٣٩، ٧٤١.

(١٢) المصدر السابق: مهام تنصيرية يقوم بها منصرون غير متفرغين (أصحاب الخيام) إلى جانب عملهم فى دولة إسلامية - لـ «ج. كريستى ويلسون» - ص٧٣٨

• وعن المملكة العربية السعودية – وهى مغلقة أمام التنصير الرسمى – تحدثت البروتوكولات، فقالت:

«يعيش النصارى اليوم ويعملون فى كل أقطار العالم الإسلامى على أنهم نصارى، وظهرت كنائس مهاجرة أكثر وأكثر فى هذه المناطق. وبما أن الإسلام واستنادًا إلى القرآن يتيح «لأهل الكتاب» حرية العبادة، فإن هذه الكنائس عادة تقوم بمعرفة وموافقة السلطات الإسلامية المحلية.

وعلى سبيل المثال: حضر ٣٨٠ من المغتربين صلاة عيد الميلاد فى الرياض بالمملكة العربية السعودية، وكذلك يوجد أكثر من ٢٠ ألف كورى فى نفس الدولة، وهم أيضًا أنشئوا لهم كنيسة..»(١٣)

• أما مجمل منطقة الخليج العربى، والتى تبلغ العمالة الأجنبية فيها نسبة تزيد على ثلثى السكان، فإن قساوسة التنصير يتحدثون بفرح عن فتوحاتهم فيها، فيقولون:

«كتب قس محلى فى منطقة الخليج العربى يقول: «إن العالم العربى المسلم لم يكن مفتوحًا لأهل الكتاب فى أى وقت مضى كما هو عليه الآن. إن مئات الألوف من النصارى هم محل الترحيب كضيوف عاملين فى كل ركن فيه..»(١٤).

وها نحن قد رأينا صنيع هؤلاء «العاملين – الضيوف» الذين «رحبنا» بهم فى كل ركن من «العالم العربى المسلم»!

وحتى يضمن هذا المخطط تكريس «كل» العمالة المدنية – وليس «بعضها» – فى العمل التنصيرى، فلقد حبذوا إقامة «وكالات توظيف» لتباشر تنظيم التشغيل فى العالم الإسلامى، حتى تباشر ربط هذه العمالة بالعمل التنصيرى، فتحدث أحد تقارير المؤتمر عن «أن «رجلاً» تقاعد عن العمل كمهندس فى منطقة الشرق الأوسط، وتفرغ لتأسيس وكالة لإيجاد وظائف، مقرها فى الولايات المتحدة، تقوم بتعيين النصارى فى مواقع استراتيجية فى الشرق الأوسط. هناك حاجة إلى تأسيس علاقة عمل جديدة يمكنها استخدام نفوذ وقوة كل الأتباع بغض النظر عن مهنهم..»(١٥).

---

(١٣) المصدر السابق: مهام تنصيرية يقوم بها متصرون غير متفرغين (أصحاب الخيام) إلى جانب عملهم فى دولة إسلامية. لـ «ج. كريستى ويلسون» . ص٧٣٩

(١٤) المصدر السابق. تحليل المقاومة والاستجابة لدى الشعوب المسلمة. لـ «دون. م. ماكرى» : ص٢٦٩

(١٥) المصدر السابق: مستويات وأشكال ومواقع البرامج التدريبية. لـ «فيفيان ستيسى» . ص٦٧٦، ٦٧٧.

فمن المواقع الاستراتيجية فى بلادنا.. بل ومن كل المهن يخترقون بالتنصير، حصون الإسلام، وليس فقط بجيوش إرساليات التنصير التى يبلغ عددها فى أمريكا الشمالية وحدها (٩٠ منظمة تنصيرية تعمل فى البلدان الإسلامية. »[١٦].

* * *

بل إن قساوسة التنصير لم يكتفوا فى مخططات تنصير المسلمين بجيوش إرساليات التنصير «والعمالة المدنية الأجنبية المبثوثة «فى كل ركن» من عالم الإسلام، والتى يزيد تعدادها، فى بعض بلادنا، على ثلثى السكان، فذهبوا - وياللعجب - يجندون «الطلاب النصارى»، ويطلبون منهم الالتحاق بجامعاتنا، ليكونوا - هم أيضًا - كتيبة من كتائب هذا الاختراق، وفى أحد أبحاث مؤتمر «كولورادو» حديث عن تنظيم هذه الثغرة من ثغرات الاختراق، يقول:

«.. ويبحث الآن «بروس نيكولاس» الذى يعمل مع اللجنة اللاهوتية للرابطة التنصيرية العالمية، عن طلاب نصارى ناجحين يستطيعون أن يسجلوا فى مختلف الجامعات الإسلامية، ويرتبطون بأبحاث هناك. وبجانب عملهم الأكاديمى يمكن أن يقوموا بالشهادة للمسيح - (التنصير) فى المعاهد التى يدرسون فيها.

وبما أن المسلمين يرسلون العديد من طلابهم للغرب، فإنهم سيكونون سعداء باستقبال شبان نصارى فى مراكزهم التعليمية..»[١٧]

لكنّ الذى لم يقله صاحب هذا البحث: أن الطلاب المسلمين عندما يذهبون إلى الغرب، ويدعون بعضهم إلى الإسلام، لا يصنعون ذلك غيلة وخداعًا تحت عناوين ومهن أخرى، كما هو حال هذا المخطط اللاأخلاقى، الذى يدس «السم» فى «الدسم»، ويتوسل بكل السبل اللاأخلاقية، مع الزعم بأن مقاصده هى «التدين بدين»..

إنها ليست مجرد «غارة» على العالم الإسلامى، كما كان حال التنصير على عهد «زويمر»..

وإنما هى «حرب إبادة» للإسلام وأمته وحضارته، تلك التى رسمها قساوسة التنصير فى بروتوكولات مؤتمر «كولورادو»!

(١٦) المصدر السابق: مهام تنصيرية يقوم بها منصرون غير متفرغين (أصحاب الخيام) إلى جانب عملهم فى دولة إسلامية ـ لـ «ج. كريستى ويلسون»، ص ٧٤٢.

(١٧) المصدر السابق: مهام تنصيرية يقوم بها منصرون غير متفرغين (أصحاب الخيام) إلى جانب عملهم فى دولة إسلامية ـ لـ «ج. كريستى ويلسون» ـ ص٧٣٨.

الفصل السابع

استغلال كوارثنا المادية لنكفر بالإسلام!

(لكي يكون هناك تحول إلى النصرانية، فلابد من وجود أزمات ومشاكل وعوامل تدفع الناس، أفرادًا وجماعات، خارج حالة التوازن التي اعتادوها!.

وقد تأتي هذه الأمور على شكل عوامل طبيعية، كالفقر والمرض والكوارث والحروب، وقد تكون معنوية، كالتفرقة العنصرية، أو الوضع الاجتماعي المتدني!.

في غياب مثل هذه الأوضاع المهيئة، فلن تكون هناك تحولات كبيرة إلى النصرانية!.

إن تقديم العون لذوي الحاجة قد أصبح أمرًا مهمًا في عملية التنصير. وإن إحدى معجزات عصرنا أن احتياجات كثير من المجتمعات الإسلامية قد بدلت موقف حكوماتها التي كانت تناهض العمل التنصيري فأصبحت أكثر تقبلاً للنصارى).

من أبحاث مؤتمر كولورادو

لتنصير المسلمين

الفصل السابع

استغلال كوارثنا المادية لنكفر بالإســـلام!

عندما ظهر الإسلام، وفى مواجهة دعوته إلى الحق، كانت هناك جبهة «للشرك» وأخرى «للكفر» وثالثة «للنفاق».

وإذا شئنا توصيفًا لهذه الجبهة – النصرانية الغربية – التى عقدت فى «كولورادو» هذا المؤتمر، واجتمعت على هذه البروتوكولات التى تخطط لاقتلاع الإسلام، وطى صفحته من الوجود، بتنصير كل المسلمين.. فإننا نستطيع أن نقول: إن قساوسة التنصير هؤلاء قد اجتمعت لهم وفيهم صفات «المشركين» و«الكافرين» و«المنافقين» جميعًا!

أما أنهم «مشركون» و«كافرون» فلأنهم يريدون هدم الإسلام، وهو الدين الوحيد الذى تتجسد فى عقيدته اليوم الصورة الحقيقية والنقية لتوحيد الله، سبحانه وتعالى فى الألوهية والربوبية والتدبير. وهم فى هذا «الشرك» و«الكفر» – إشراكهم المسيح فى الألوهية مع الله وعبادته معه.. وكفرهم بالتوحيد الإسلامى – يسيرون على درب أسلافهم الذين جمعوا هاتين الخسيستين، والذين قال فيهم القرآن الكريم: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ (٧٢) لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣) أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٧٤) مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ (٧٥) قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[1].

(١) المائدة: ٧٢ – ٧٦

فهم – بنص القرآن – «مشركون» لأنهم عبدوا المسيح من دون الله. و«كافرون» لأنهم جحدوا دين التوحيد.

أما أن قساوسة التنصير هؤلاء قد جمعوا إلى «الشرك» و«الكفر» صفات «المنافقين».. فإن بروتوكولاتهم هي التي تشهد على ذلك.. لا مجرد شهادة شاهد من أهلها.. وإنما شهادة أجمع عليها واجتمع أهل هذه البروتوكولات!

إن القرآن الكريم – في سورة «المنافقون» يحكي كيف أن من صفات هؤلاء المنافقين، في مواجهتهم للإسلام وحربهم لأهله أنهم قد لجئوا إلى سلاح «الاقتصاد» و«الغذاء»، فدعوا إلى استغلال فقر فقراء المسلمين لإجبارهم على ترك الإسلام، مقابل الحصول على ما يدفع عنهم غائلة الفقر والمسغبة.. لقد استخدموا أسلحة الكوارث الاقتصادية والمجاعات والحاجات المادية لصرف المحتاجين عن التدين بالإسلام!

تحدث القرآن عن هذه «الصفة» من صفات «المنافقين».. وهذا «الفعل.. والموقف» من أفعالهم ومواقفهم مع الإسلام والمسلمين، فقال: ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا﴾، وإذا كان الله سبحانه وتعالى يختم هذه الآية فيعلمنا ما لا يريد أن يتعلمه ولا أن يفقهه المنافقون: ﴿... وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾[٢].. فإنه، أيضا في سياق الحديث عن هؤلاء المنافقين – يعلمنا من هم؟ وما موقعهم وموقفهم من دين الحق وأهله، فيقول لرسول الله ﷺ ولأمته عن هؤلاء المنافقين: ﴿... هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾[٣].

وأنا أشهد الله أن هؤلاء المنافقين المعاصرين من قساوسة التنصير هم أوغل في النفاق وأشد في العداء للإسلام والمسلمين من أسلافهم، منافقي صدر الإسلام، الذين مردوا على النفاق.. فالأولون أرادوا استغلال «الكوارث المادية» لصرف فقراء المسلمين عن الإسلام.. أما هؤلاء المعاصرون فإنهم يصنعون هذه «الكوارث المادية»، ثم يستغلونها لصرف ضحاياها من المسلمين عن دين الإسلام. وإلا فمن الذي يستطيع أن ينكر مسئولية حضارة هؤلاء القساوسة عن البؤس الذي تعاني منه قارات الجنوب – وفيها عالم الإسلام – مسئوليتها

(٢) المنافقون: ٧

(٣) المنافقون: ٤

تاريخيا بالنهب الاقتصادي، والسيطرة السياسية، وحراسة التخلف في بلادنا ومسئوليتها المعاصرة، بصناعة أو حراسة نظم الحكم «المحلية» التي تكرس «التبعية» للغرب.. فتبقى أرضنا البكر بورًا! وموادنا الخام نهبًا مباحًا بأبخس الأثمان.. وسلاحنا منزوعًا.. والعلم النافع عنا بعيدًا! فيتحكم فينا البؤس الاقتصادي، وتأخذ بخناقنا «الكوارث المادية» - التي صنعوها.. وحرسوها - ثم جاءوا يستغلونها في صرفنا عن التدين بالإسلام.

لقد فاق هؤلاء المنافقون المعاصرون نفاق أسلافهم القدماء!

بل إننا ونحن نتأمل هذا الموقف الذي اتخذه قساوسة التنصير هؤلاء من الكوارث المادية التي يعاني منها العالم الإسلامي، نجد أنفسنا أمام سنة من سنن الله في «الاجتماع الديني» تؤكد أنهم إنما يسيرون على درب أسلافهم الكفار..

فهم عندما يكتبون في بروتوكولاتهم أن البلاد الإسلامية التي أصابت قدرًا من الغنى والرخاء، قد جعلها هذا الغنى عصية على التفريط في إسلامها، بل وقادها هذا الغنى «إلى شعور بالتعالي على التنصير».. ويرون في ذلك مشكلة من مشكلات «الواقع الاقتصادي والسياسي الراهن» بعد الثراء «الذي حققته الدول المنتجة للنفط» بل يرون في هذا الغنى، الذي خلق شعورًا بالتعالي على التنصير «اختراقًا» إسلاميًا لآليات التنصير[٤]..

إنهم حين يكتبون ذلك معبرين عن القلق والحزن اللذين أصاباهم للغنى الذي جعل فريقًا من المسلمين «يتعالى على التنصير» - في ذات الوقت الذي يكتبون فيه أن السبيل لتحويل المسلمين عن دينهم هو سبيل الكوارث المادية، التي تجعلهم أسرى للقمة العيش يستبدلونها بالإسلام.. فتجهر بروتوكولاتهم بمثل هذه الكلمات:

«.. ولكي يكون هناك تحول فلابد من وجود أزمات معينة ومشاكل وعوامل إعداد وتهيئة تدفع الناس، أفرادًا وجماعات، خارج حالة التوازن التي اعتادوها، وقد تأتي هذه الأمور على شكل عوامل طبيعية، كالفقر والمرض والكوارث والحروب، وقد تكون معنوية، مثل التفرقة العنصرية والحساسية بسبب تسامح المجتمع تجاه النفاق، أو الوضع الاجتماعي المتدني، وفي غياب هذه الأوضاع المهيئة فلن تكون هناك تحولات كبيرة إلى النصرانية..»[٥].

(٤) التنصير: خطة لغزو العالم الإسلامي: الطرقية والتحول والتأصيل - لـ «تشارلي. ر. تبر» - ص ٢٦٣
(٥) المصدر السابق: تطبيق «مقياس إينكل» في عملية تنصير المسلمين - لـ «ديفيد. أ. فريزر» - ص ٢٤٢

إننا ندعو إلى قراءة العبارة الأخيرة، وتأملها والتفكر فيها مرات.. ومرات: «في غياب هذه الأوضاع - (الكوارث) - المهينة، فلن تكون هناك تحولات كبيرة إلى النصرانية» أى دين هذا الذى لا يتحول الناس إليه إلا إذا كانوا ضحايا الفقر والجوع والمرض والكوارث والحروب والتفرقة العنصرية والنفاق؟! وأى رجال دين هؤلاء الذين يصنعون بالمسلمين هذه الكوارث ليحولوهم عن الإسلام إلى هذه النصرانية؟!

إن الذين يسوءهم غنى المسلمين ورخاؤهم لأنهما يصرفانهم عن الارتداد عن الإسلام إلى النصرانية.. ويفرحون للكوارث المادية التى تصيب المسلمين، لأنها هى السبيل «للتحولات الكبيرة إلى النصرانية» هم «الخلف» لأولئك «السلف» الذين حدثنا عنهم القرآن الكريم فقال: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾[6]

وصدق الله العظيم.. إنها سنة من سنن الله فى الاجتماع الدينى.. فالذين يسوءهم الغنى والرخاء - لأنه يثبت الإيمان - وتفرحهم الكوارث والمآسى - لأنها تزلزل الإيمان - هم القوم الكافرون.. وكيف يجوز لعاقل أن يتحول - مهما كانت الظروف - إلى صفوف الكافرين؟! وخاصة مع تدبر ختام الآية الكريمة: ﴿... وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾.. نعم: ﴿... إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾..

* * *

وإذا نحن شئنا مزيداً من الشواهد والشهادات، من هذه البروتوكولات التى اجتمع عليها - فى مؤتمر «كولورادو» - قساوسة التنصير.. فإن لدينا الكثير.

بل لقد اتخذ واحد من أبحاث هذا المؤتمر عنواناً لو اكتفينا به لكفى.. عنوان:

«الغذاء والصحة وسائل لتنصير المسلمين»!

وفى هذا البحث فرحة بما يعانيه المسلمون فى هذا العصر من احتياجات - مادية ومعنوية - وبضغط هذه الاحتياجات على الحكومات الإسلامية إلى الحد الذى جعلها تفتح بلادها لإرساليات التنصير ثمناً لتلبية هذه الاحتياجات.. نعم.. هذا ما يقوله كاتب هذا البحث - بل كُتَّابه - عندما يصرحون:

---

(٦) آل عمران: ١٢٠.

«إن المسلمين في العالم اليوم يواجهون احتياجات ماسة وضرورية في عدة مجالات، منها المياه العذبة، والغذاء الصحي، ومكافحة الأمراض، والطفيليات، ويحتاجون كذلك إلى جوانب روحية أساسية.

إن من إحدى معجزات عصرنا أن كثيرًا من الحكومات والشعوب الإسلامية تدرك معظم الاحتياجات، وترغب في العمل على درئها، وهذا الوضع ينطبق بصورة واضحة على الباكستان والهند وبنجلاديش واندونيسيا، ودول أخرى فيها تجمعات إسلامية كبيرة، ونتيجة لذلك تبدل موقف هذه الدول التي كانت تناهض العمل التنصيري، وأصبحت أكثر تقبلاً للنصارى..»[7].. لقد ألفنا وتعارفنا على شروط ومواصفات «المعجزات» التي تقيم الأدلة على صدق الديانات، فتؤدي إلى انتشارها بين الناس.. لكن الجديد - المبكي والمضحك في ذات الوقت - هو اعتبار قساوسة التنصير أن مآسي المسلمين واحتياجاتهم القاهرة هي «المعجزة العصرية» التي فتحت أبواب العالم الإسلامي لإرساليات التنصير، وجعلت ضحايا هذه الكوارث، من المسلمين، «أكثر تقبلاً للنصارى»!. فأي «دين» هذا الذي تكون «معجزة» تقبله هي البؤس الذي يرغم البؤساء على التحولات الاعتقادية هربًا من المرض والجوع؟! إن المعجزات الدينية الحقة هي «مفاتيح - صدق» للأفئدة والعقول والقلوب.. أما هذا الذي يتحدث عنه قساوسة التنصير فإنه من «مفاتيح البطون والشهوات»!

ولقد ذهبت هذه البروتوكولات لتضرب الأمثال على أن نجاحات التنصير في البلاد الإسلامية إنما جاءت ثمرة لاستغلال هذه المعاناة المادية التي يعيشها كثير من هذه البلاد..

• ففي إندونيسيا «توضح الدراسة التي قام بها «إيفري ويليس» - عن إندونيسيا - أهمية فهم عوامل الخلفية الاجتماعية الثقافية لتفسير أسباب تحول كثير من مسلمي هذا البلد إلى النصرانية بين سنة ١٩٦٥ وسنة ١٩٧١م.. إن تحول مجموعات كبيرة إلى النصرانية تم تحت تأثير ظروف تحولات اجتماعية وثقافية رئيسة، حيث كان المتحولون في أكثر الأحوال من تلك الطبقات التي شعرت بأنها محرومة بشكل كبير. والاستراتيجيات الفعالة التي تسعى لإحداث قرارات مهمة

(٧) المصدر السابق. الغذاء والصحة وسائل لتنصير المسلمين - لـ «روبرت سي بتكبت، ورفينول ل. ماكاكما» - ص ٨٢٦، ٨٢٧.

يلزمها البحث عن تلك الأجزاء من المجتمعات الإسلامية التى يكون مستوى السخط فيها قد بلغ ذروته..»[٨].

- وفى البنجاب - بشبه القارة الهندية - «يذكر كل من «فريدريك ستوك» و«ماركريت ستوك» - فى كتابهما عن تحركات الناس فى البنجاب أن ٩٠٪ من النصارى فى باكستان اليوم ينحدرون من طائفة المتبوذين»[٩].

فهل نلوم - أمام هذه الحقائق - قساوسة التنصير الذين يحققون النجاحات عن طريق البؤس الذى فرضته وتفرضه حضارتهم على شعوب الإسلام.. أم نلوم الذين يتربعون منا على كنوز العالم الإسلامى وثرواته لتركهم أمة محمد ﷺ فى هذا البؤس الذى يجعلها ضحية لاغتيال التنصير والمنصرين؟!.. أم نلعن الفريقين، باعتبارهما وجهين لعملة واحدة أتاحت وتتيح هذا الامتحان الصعب لأمة الإسلام؟!

إن هذه البروتوكولات التى عقدها قساوسة التنصير مليئة بالنصوص التى تفضح هذه السبل اللاأخلاقية فى تحويل المسلمين عن الإسلام إلى النصرانية.

* ففى بلاد «المورو» بالفلبين تدور الحرب بين النصرانية والإسلام - منذ الاستعمار الإسبانى.. فالأمريكى.. وحتى الآن - على امتداد أكثر من أربعة قرون؛ لانتزاع «الأرض» حتى يقذف الفقر بالمسلمين إلى كنائس المنصرين[١٠].

* وفى إفريقيا.. يتحدثون فيقولون: «لقد أوقفنا انتشار الإسلام فى جنوب ووسط إفريقيا، وما نحتاج إليه الآن هو العمل الجاد لإيجاد منافذ إلى داخل الإسلام...».

ثم يحددون أن هذه المنافذ لاختراق الإسلام هى البؤس الذى يعيشه المسلمون الأفارقة، ذلك «أن العون لذوى الحاجة من الذين نسعى لتنصيرهم أصبح أمرًا مهمًا فى عملية التنصير»[١١]!

---

(٨) المصدر السابق: تطبيق «مقياس إينكل» فى عملية تنصير المسلمين - لـ «ديفيد أ. فريزر» - ص ٢٤٢، ٢٤٥.

(٩) المصدر السابق: مقارنة بين وضع النصرانية والإسلام فى شبه القارة الهندية - لـ «ريتشارد بيلى» - ص٤٦٩

(١٠) المصدر السابق: مقارنة بين وضع النصرانية والإسلام فى جنوب شرق آسيا - لـ «فرانك. ل. كولى، بيتر ج. كونك، ألكس ج. سميث، ورن مايرز» - ٤٨٦، ٤٨٧.

(١١) المصدر السابق: مقارنة بين وضع النصرانية والإسلام فى وسط وجنوب إفريقيا - لـ «جيرالد. أو سوانك» - ص ٣٦٤.

وإذا كانت مخططات التنصير لاختراق الإسلام قد اتفقت على ضرورة الهرب من مواجهة الإسلام الحقيقى - فقالوا: إنهم لا قبل لهم ولا لنصرانيتهم به.. واعترفوا بأن التقوى الإسلامية إنما تجبر المنصرين على احتقار تقواهم عند المقارنة معها.. حتى لقد استدعوا صورة تقوى بولس الرسول عندما أرادوا شبيهاً للتقوى التى يثمرها التدين بالإسلام[١٢]..

فإن حديثهم عن «الاحتياجات الروحية» للمسلمين، والتى تمثل مع «الاحتياجات المادية» ثغرات للاختراق، لا يعنى توهمهم لفقر إسلامى فى تلبية الاحتياجات الروحية لمعتنقيه.. وإنما الذى يعنونه «بالاحتياجات الروحية» ما أفاضوا فيه من الحديث عن «العين الشريرة» وشعوذات الاعتقادات التى تجعل بعض العوام أسرى لعوالم الجن والعفاريت والشياطين - وهو ما سبق حديثنا عنه - وأيضًا تلك «المشاكل الاجتماعية» التى تخلق توترًا نفسيًا وقلقًا معنويًا.. فلقد رأوا فى ثغرات هذا القلق الاجتماعى أبوابًا للتنصير أوسع من أبواب الجدل فى المشاكل اللاهوتية.. فقالوا:

«نحن نركز على مجالات المشاكل اللاهوتية للثالوث المقدس وأبوة الرب للمسيح، ونهمل ما قد يكون بالنسبة إلى الكثيرين أبوابًا أوسع للانفتاح، مثل مشاعر المرارة تجاه الوالدين، والشعور بالذنب بسبب الأعمال اللاأخلاقية، وخيبة الأمل والقلق بسبب العمل، والشعور بالوحدة..»[١٣] إلى آخر هذه المشكلات التى تثمر التوترات النفسية والمعنوية!

وفى البحث الذى جعل من «الغذاء والصحة وسائل لتنصير المسلمين».. حديث عن أن هذا النهج الذى جعل البؤس الاجتماعى مصيدة لاصطياد الضحايا وتحويلهم عن الإسلام إلى النصرانية، وقد أثار خلافًا فى صفوف حركة التنصير بين الذين يركزون على «النشاط التنصيرى» ويعزفون عن «استغلال الفرص التى تتيحها لهم احتياجات المسلمين المحسوسة».. وبين الذين يركزون على «الناحية الاجتماعية» و«يستخدمون أية وسيلة مادية أو صحية أو تعليمية لخلق نصارى من المسلمين الذين يواجهون ظروفًا تعسة صعبة»!

(١٢) المصدر السابق: صراع القوى فى عملية تنصير المؤمنين - لـ «آرثر. ف. كلاسر» - ص١٩٣.

(١٣) المصدر السابق: المسلم المتنصر وثقافته - لـ «هارفى م. كون» - ص١٤٧

ويخلص البحث إلى التحذير من أضرار هذا الاختلاف[١٤]. كما خلصت أبحاث أخرى إلى تعليق التحولات إلى النصرانية على الكوارث المادية والاجتماعية.. فقالت: إنه «في غياب مثل هذه الأوضاع – التي تفقد الناس التوازن – لن تكون هناك تحولات كبيرة إلى النصرانية..».

بل إن القوم قد أسفروا عن حقيقتهم عندما سطروا في هذه البروتوكولات تلك العبارات التي تقول: «إنه بينما يوافق المنصرون على أن التحول لدين آخر لا يجب ولا يمكن أن يتم بالقوة. فإنهم مازالوا يشعرون أيضًا بأننا ينبغي أن نجبرهم على الدخول»[١٥]!

فهل هناك سفور للفجور أبشع من هذا السفور؟!

إن قرآننا الكريم يعلمنا أن عبادة الله الواحد الأحد إنما هي بعض من شكرنا له على أن أطعمنا من جوع وآمننا من خوف: ﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ (١) إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (٢) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (٣) الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴾[١٦].

وفقهاء الإسلام يعلموننا أن صلاة الجائع والخائف لا تصح.. لأن انعدام الأمن المادي والمعنوي، مانع من بلوغ المصلي مقام «إقامة» الصلاة.

وحجة الإسلام أبوحامد الغزالي (٤٥٠ – ٥٠٥هـ = ١٠٥٨ – ١١١١م) يجعل صلاح الدين ونظامه مشروطًا بصلاح الدنيا ومؤسسًا على انتظامها.. فيقول: «إن نظام الدين لا يحصل إلا بنظام الدنيا. فنظام الدين بالمعرفة والعبادة لا يتوصل إليهما إلا بصحة البدن، وبقاء الحياة، وسلامة قدر الحاجات، من الكسوة والمسكن والأقوات والأمن.. ولعمري! من أصبح آمنًا في سربه، معافى في بدنه وله قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها.. فلا ينتظم الدين إلا بتحقيق الأمن على هذه المهمات الضرورية، وإلا فمن كان جميع أوقاته مستغرقًا بحراسة نفسه من سيوف الظلمة وطلب قوته من وجوه الغلبة، متى يتفرغ للعلم والعمل وهما وسيلتان إلى سعادة الآخرة، فإذن بان أن نظام الدنيا أعني مقادير الحاجة شرط لنظام الدين»[١٧].

---

(١٤) المصدر السابق: الغذاء والصحة وسائل لتنصير المسلمين – مقدمة المحرر – لـ «دوق. م. ماكري» – ص٨٢٦

(١٥) المصدر السابق: الحوار بين النصارى والمسلمين وصلته الوثيقة بالتنصير – لـ «دانيل آر بروستر» – ص٧٧٠

(١٦) قريش: ١: ٤.

(١٧) الغزالي (الاقتصاد في الاعتقاد) ص ١٣٥. طبعة القاهرة – مكتبة صبيح – ضمن مجموعة – بدون تاريخ.

والشريعة الإسلامية كما طبقتها الدولة الإسلامية لم تحقق «نظام الدنيا» لينتظم به «الدين» للمسلمين وحدهم دون غيرهم من أهل الشرائع الدينية الأخرى.. بل لقد فرضت في أموال الأغنياء ما يكفي حاجات الفقراء. وكفل بيت مال المسلمين – في الدولة الإسلامية – لأهل الكتاب ما تنتظم به «دنياهم» حتى يتسنى «لدينهم» الانتظام. فكان إقرار الإسلام بحرية الاعتقاد الديني، وبأنه لا إكراه في الدين، متجاوزًا الموقف «النظري» إلى حيث أتاح وضمن المقدمات والأسس المعيشية والمادية والأمنية التي تجعل من حرية الاعتقاد ومن انتظام إقامة العقائد نظامًا مقررًا ومحكمًا وملموسًا.

تلك كانت «معجزة الإسلام» في التأسيس لحرية الاعتقاد الديني، فأين منها «معجزة النصرانية الحديثة والمعاصرة» التي رأت في بؤس العالم الإسلامي وفي فقر المسلمين وكوارثهم الباب الذي فتحه يسوع للنصارى وللنصرانية في عالم الإسلام والمسلمين؟!

إن المثل الشعبي يقول: «كل فولة» ولها «كيِّال» – يناسبها – فهل لهذه الأنواع من «الضحايا» كانت حصيلة التنصير وحصاد المنصرين من النوع الذي قالوا هم عنه: «إنهم إما مراهقون، أو شباب غير متزوجين، وفي بعض المناطق تكون غالبيتهم من الفتيات أو النساء المسنات..»[18].. وفي كل الأحوال فإنهم من الذين قالوا عنهم: إنهم «لا يعرفون إلا القليل عن الإسلام الأصيل..»[19] أو أن غالبيتهم – ٦٣٪ – كما قالوا – هم ممن كانوا مسلمين بالاسم فقط»[20].

فعلى قدر «لاأخلاقية الوسائل».. و«عكارة مياه الصيد» تكون «قيمة الحصاد» و«الحاصدين».

* * *

(١٨) التنصير: خطة لغزو العالم الإسلامي – مقارنة بين وضع الإسلام والنصرانية في شمال إفريقيا – لـ «كريكوري، م. لفنكستون» – ص ٣٧٨.

(١٩) المصدر السابق: تطبيق «مقياس إينكل» في عملية تنصير المسلمين – لـ «ديفيد. آ. فريزر» – ص٢٥٢

(٢٠) المصدر السابق: المسلم المتنصر وثقافته – لـ «هارفي. م. كونن» – ص١٤٤، ١٤٥.

الفصل الثامن

التنصير

من خلال «المرأة» و«الأسرة»!

(بدلاً من البحث عن صراع مباشر بين الكتاب المقدس والقرآن.. دعونا نعلم المرأة المسلمة كيف تعيش في سلام من ضغوط السحر!

ونقدم المسيح بديلاً نصرانياً للتأثير الشيطاني الذى يهاجم النساء وخاصة فى المجتمعات الإسلامية!

إن النساء هن المفتاح لزرع الكتاب المقدس فى المجتمعات الإسلامية!

أمّا تخطيط الأسرة – تحديد النسل – وهو عامل رئيس ومؤثر وله أهمية كبيرة – فمن الأفضل عدم تناوله خلال المراحل المبكرة من العمل مع المسلمين..).

من أبحاث مؤتمر كولورادو

لتنصير المسلمين

الفصل الثامن

التنصير
من خلال «المرأة» و«الأسرة»!

عندما بدأت الموجة الحديثة للتنصير وجاءت إرسالياته، في ركاب الغزوة الاستعمارية الغربية، وخاصة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي كان المنصرون - الذين ربطوا نصرانيتهم بثقافتهم الغربية - يشعرون بزهو تفوق حضارتهم وثقافتهم الغربية على حضارة الإسلام وثقافته.. وساعد على تضخم هذا الشعور لديهم أن أمراض حضارتهم وعيوب ثقافتهم لم يكونا قد ظهرا على النحو الذي نراه الآن.. كما أن المقابلة كانت بين «القوة» و«الازدهار» الغربيين وبين «الضعف» و«التخلف الحضاري الموروث» للمسلمين، وهما اللذان حمّلهما المنصرون على «الإسلام» كمدخل أساسي للتنصير.

وانطلاقًا من هذا الموقف الحضاري الغربي كانت مقابلات المنصِّرين - وهذا هو العجيب - بين حضارتهم الغربية وبين واقعنا المسلم - والذي ساووا بينه وبين الإسلام - وليس بين حقيقة نصرانيتهم وبين حقيقة الإسلام.

وفي هذا الإطار الخاطئ كان ترويج المنصِّرين في بلادنا، لنموذج المرأة الغربية - وهو نموذج علماني، لا ديني - وكانت بدايات غزوهم للمجتمعات الإسلامية عن طريق مدارس تعليم الفتيات.. لقد خططوا لتكون «المرأة» هي أولى ثغرات الاختراق لعالم الإسلام[1]!

واليوم.. وبعد أن أجبر الفساد والانحلال والتفسخ - الذي فتك ويفتك بالمجتمعات الغربية - قساوسة التنصير على الاعتراف بالأمراض الاجتماعية والأخلاقية التي توطنت في نموذج المرأة والأسرة بالمجتمعات الغربية.. فإن

(١) أسست إرسالية التنصير الإنجيلية بمصر أول مدرسة للبنات - بحارة السقايين - في القاهرة - في يوليو سنة ١٨٦٠م. انظر: (تاريخ الكنيسة الإنجيلية في مصر) ص ١٧٠.

الغريب والعجيب أن هذا الاعتراف لم يقدهم إلى التراجع عن محاولات الاختراق للمجتمعات الإسلامية من باب «المرأة» و«الأسرة».. وبدلاً من هذا التراجع الذى كان منتظراً من الذين يعقلون، ذهبوا للالتفاف حول حقيقة تفوق النظرة الإسلامية للمرأة وثمراتها الاجتماعية والخلقية على النظرة الغربية، وثمراتها المدمرة – ذهبوا للالتفاف حول هذه الحقيقة..

وكما هى العادة، راحوا يبحثون فى تصورات العامة والدهماء والجهلاء عن «عوالم الجن والعفاريت» و«العيون الشريرة» – أى عن «المياه العكرة» حتى يصطادوا منها النساء المسلمات الأسيرات لهذه الأمراض – بعد أن حسبوا هذه التصورات على الإسلام، فألصقوها به وأسموها «إسلام العامة» و«الإسلام الأرواحى».. جاعلين من هذه التصورات المريضة – وهى نتوءات حرسها وكرسها الاستعمار الغربى – «ثقافات فرعية» و«تحتية»، ركزوا اختراقهم عليها وفيها، هروباً من مواجهة الإسلام وثقافته الإسلامية!

لقد اعترفوا بأن مجتمعاتهم النصرانية – أو ذات التراث النصرانى – قد أفلست فى الأسرة والقيم والأخلاق.. ولم تعد صورتها هى تلك التى كانوا يقدمونها فى زهو يوم بدأت موجة التنصير الحديث، وقالوا:

«لقد اعتبر كثير من الانجيليين أن تفوق النصرانية أمر يمكن ملاحظته بوضوح، وخاصة فى عالم الأخلاق والقيم[2]. وقابل هؤلاء استغلال المرأة المسلمة من خلال الوضع المتفوق للمرأة في المجتمع النصراني. ونتيجة لذلك شمل جزء كبير من العمل التنصيرى إنشاء المدارس وتعليم الرجال والنساء وفق النموذج الغربى.

أما فى الوقت الحاضر، وفيما لا يزال معظم الناس فى جميع أنحاء العالم يقرون التفوق التقنى للحضارة الغربية، فإن هذا التفوق على المستوى الأخلاقى مشكوك فيه، ومحل تساؤل.

واليوم وعلى ضوء الواقع الحالى فى تفكك الأسرة فى مجتمعنا الغربى، وارتفاع معدل الجرائم وحالات الطلاق، والزيادة المستمرة فى الانحرافات الجنسية، لم يتبقَّ لنا إلا القليل الذى نفخر به، وعلينا أن نعيد تقويم موقعنا من المجتمع المسلم، وعلاقة الكتاب المقدس بالمرأة المسلمة والأسرة»[3]

---

(٢) مع أن هذا «التفوق» الذى يتحدثون عنه، ويشيرون إليه كان «تفوق» الحضارة الغربية العلمانية اللادينية.. ولم يكن «تفوق النصرانية»!

(٣) التنصير: خطة لغزو العالم الإسلامى – المداخل النصرانية للمرأة المسلمة وأسرتها – لـ «فاليرى هوفمان» – ص٨٦٧

والغريب.. أنه بعد هذا الاعتراف بالانحدار والانهيار في «مجتمعهم الغربي» وبضرورة «إعادة تقويم موقعهم» – في هذه القضية – قضية المرأة والأسرة – «من المجتمع المسلم».. رأيناهم في هذه البروتوكولات سادرين في المخطط القديم: اختراق الإسلام وعالمه من باب المرأة والأسرة.. بدلاً من رفع البلوى الأخلاقية التي دمرت المرأة والأسرة في «مجتمعاتهم الغربية».. الأمر الذي يؤكد لاأخلاقية التنصير.. بل وأكاد أقول لادينيته أيضاً!

لقد مضوا يتحدثون عن أن «نساءنا المسلمات» هن «مفتاح» التنصير! وضربوا المثل بفريق من المنصرات «ابتعد عن الأسلوب التقليدي العقيم. وطبق بالتدريج نظرية غير متوقعة تقوم على أساس أن النساء هن المفتاح ونتج عن هذا زرع الكتاب المقدس، بعمق وبصورة واسعة في مجتمع قروي في الباكستان لم يسبق تنصيره»[٤].

وصاغوا مقترحات خمسة تمثل خطة للتسلل داخل الأسرة المسلمة عبر «الاحترام» لعاداتها وتقاليدها وأعرافها.. وهي:

١ – أن نحترم أسلوب الحشمة، والفصل بين الجنسين بين الطبقات في البلاد التي يسود فيها ذلك.

٢ – إضافة إلى الشعائر العبادية المشتركة للجنسين، فإن نشاطات النساء في بيوتهن مهمة، كي تشعر النساء بالراحة إذا ما شاركن وعبرن عن أنفسهن بحرية

٣ – أن نعترف بسلطة الرجال الذين هم رؤساء الأسر، ونحترم ذلك ونحاول أن نبلغ أسراً كاملة في وقت واحد

٤ – أن نحاول أن نبحث عن النساء المعروفات بتدينهن أو زعيمات في مجتمعاتهن، وأن نعمل من خلالهن.

٥ – يجب أن نقدم قوة روح المسيح بديلاً نصرانياً لتأثير الشيطان في حياة النساء المسلمات[٥].

وفي هذا المخطط المتكامل لغزو المرأة المسلمة والأسرة المسلمة، لم ترد آية إشارة لمواجهة الإسلام بالنصرانية.. وإنما الذي ورد هو وجوب تقديم النصرانية ليس بديلاً يواجه الإسلام، وإنما بديل يخلص النساء «الممسوسات بالجن

(٤) المصدر السابق: تقرير المؤتمر – لـ «آرثر. ف. كلاسر» – ص٥٤

(٥) المصدر السابق: المداخل النصرانية للمرأة المسلمة – لـ «فاليري هوفمان» – ص ٨٨٠.

والشياطين» من هذا «المس» وتلك الشعوذات.. تلك هي النصرانية الغربية. نصرانية الحضارة العقلانية التي أماتت إلهها في واقع العمران الحضاري، وعلقت آمالها في تنصير المسلمين على الشياطين والعفاريت!

ولذلك فلقد تعلقت آمالهم في التنصير على النساء «اللاتي يلجأن إلى الصالحين والأرواح والشعوذة والسحر»[٦]، وكان نصيب الإسلام الحقيقي من خطط مواجهاتهم، إما التجاهل والالتفاف حوله وبعيداً عنه.. وإما الافتراء عليه ورميه بما ليس منه أو فيه! فهم، حيناً، يدعون إلى الالتفاف حول الإسلام.. والبعد عن مواجهته.. وتنظيم حلقات دراسية للنساء حول سبل خلاص أرواحهن وأجسادهن من الشياطين! فيقولون:

«فعلى سبيل المثال، دعونا نتخيل ردود فعل الفتيات والنساء المسلمات على حلقة دراسية بالمراسلة عنوانها: حقوق المرأة: ماذا يقول الكتاب المقدس؟.. أو: كيف تعيشين في سلام من ضغوط السحر؟ أو حلقة أخرى بعنوان: كيف تجدين حلولاً لمشاكل أسرتك؟ فهذه الحلقات الدراسية تهتم بالمشاكل المؤلمة التي يعاني منها الناس.. فهل من الممكن الاعتقاد بأننا نعقد أمورنا أكثر مما يلزم في البحث عن صراع مباشر بين الكتاب المقدس والقرآن؟!»[٧].

هكذا أعلنوا الهرب من مواجهة القرآن وعلقوا حبال آمال التنصير على إغراء النساء «المجنونات» من مس الجن والسحرة والشياطين.. ومع ذلك يسمون هذا تحويلاً دينيا ينهض به رجال دين!

أما الافتراء على الإسلام فهو – في هذه البروتوكولات – تموذج لخليط من «الجهل.. والتجاهل» و«الغفلة.. والتغفيل» .. وعلى سبيل المثال:

• فهم يقابلون بين الإسلام الذي «لا يتحدث الله فيه إلى النساء»! وبين النصرانية «حيث نرى الرب جالساً فوق حائط يخبر امرأة سامرية يحتقرها المجتمع بأنه يرغب في أن يمنحها حياة أبدية»[٨].

ولم يسألوا أنفسهم عن «الوثنية» التي تجسدها صورة هذا «الرب» الجالس على الحائط.. وهل هذا هو لون «التوحيد» الذي ينسبون نصرانيتهم إليه؟!

(٦) المصدر السابق: المداخل النصرانية للمرأة المسلمة – لـ «فاليري هوفمان» – ص٨٧٦.

(٧) المصدر السابق: تطوير وسائل جديدة لتساعد في تنصير المسلمين – لـ «دونالدر. ريكاردز» – ص٦٤٤.

(٨) المصدر السابق: المداخل النصرانية للمرأة المسلمة – لـ «فاليري هوفمان» – ص٨٧٦.

ولم يخجلوا من الكذب والافتراء على الإسلام، الذى قالوا عنه: إن الله فيه، لا يتحدث إلى النساء متجاهلين حديث القرآن عن أن الله قد أوحى إلى مريم وبشرها: ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ (٤٢) يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾[٩] ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾[١٠] ﴿فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلاَّ تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا (٢٤) وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا (٢٥) فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾[١١].

لقد كلمها وحيا.. وهذا هو اللائق بالتوحيد. فهل يفخرون على هذا التكريم، بالوحى لمريم، مع التنزيه للألوهية الواحدة.. بصورة «الرب الجالس فوق حائط يخبر امرأة سامرية»؟! أم أن قلة الحياء مع الله قد بلغت بالقوم الحد الذى يستدعى الحديث النبوى المأثور: «إذا لم تستح فاصنع ماشئت»![١٢]

وكذلك خاطب الله فى القرآن نساء النبى – صلى الله عليه وسلم – ورضى عنهن.. فقال: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً (٢٨) وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا (٢٩) يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (٣٠) وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا (٣١) يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفًا (٣٢) وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا (٣٣) وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾[١٣].

كما خاطب مع زوجات النبى وبناته كل نساء المؤمنين.. فقال: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[١٤].

---

(٩) آل عمران: ٤٢، ٤٣. (١٠) آل عمران: ٤٥. (١١) مريم: ٢٤ – ٢٦

(١٢) رواه البخارى وأبوداود وابن ماجه ومالك فى الموطأ والإمام أحمد.

(١٣) الأحزاب: ٢٨ – ٣٤. (١٤) الأحزاب: ٥٩

وأنه سبحانه وتعالى قد سمع قول المرأة التى تجادل النبى حول زوجها.. وأنزل فى شكواها وحيا إلهيا. ﴿قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير ۞ الذين يظاهرون منكم من نسائهم ما هن أمهاتهم إن أمهاتهم إلا اللائي ولدنهم وإنهم ليقولون منكرا من القول وزورا وإن الله لعفو غفور﴾[15].

تجاهل قساوسة التنصير خطاب الله فى القرآن للنساء – التى لو ذهبنا لإحصاء آياته لخرجنا عن المقام – ولم يروا لتكريم المرأة غير الصورة الوثنية التى زعموها «لرب جالس فوق الحائط يخبر امرأة سامرية»! ألا ساء ما يفترون!

ومع اعترافهم بأن «القرآن» يعتبر الرجال والنساء متساوين فى القيمة الروحية، كما هو واضح فى خلقهم من نفس واحدة: ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء﴾[16].. وأن الأتقياء من الرجال والنساء موعودون بالجنة ﴿وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم﴾[17]..

فلقد ذهبوا يدسون على القرآن فى قوامة الرجال على النساء: ﴿الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله﴾[18].. متجاهلين أن القوامة مسئولية – لأنها القيام الدائم على شئون الأسرة، وليست استبدادا يحرم المرأة من الرعاية، وهى قوامة فى البيت والأسرة.. فهى – القوامة – توجب على المرأة شيئا وعلى الرجل أشياء، كما يقول الإمام محمد عبده[19] – ثم إنها واردة كدرجة فى سلم القيادة، بالأمور التى تؤهل الطبيعة الرجل لها.. فى مقابل الرعاية التى للمرأة فى الأمور التى تؤهلها الطبيعة لها، وذلك لتكون مساواتهما هى مساواة الشقين المتكاملين، لا مساواة الندين المتماثلين المتنافرين: ﴿ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم﴾[20].

كما ذهبوا يغمزون فى ميراث المرأة «نصف ما يرثه أخوها».. مع أن ذلك ليس فى كل الحالات التى فيها ذكور وإناث فى الميراث.. فكثيرا ما ترث المرأة

(١٥) المجادلة: ١، ٢. (١٦) النساء: ١.
(١٧) التوبة: ٧٢. (١٨) النساء: ٣٤.
(١٩) انظر كتابنا (الإسلام والمرأة فى رأى الإمام محمد عبده) طبعة القاهرة سنة ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.
(٢٠) البقرة: ٢٢٨.

أكثر من الرجل – فابنة المتوفى ترث أكثر من أبيه.. وللميراث فلسفة تحددها عوامل: درجة القربى، وأعباء الإنفاق، وليس الذكورة والأنوثة(٢١).

ولم يكلفوا أنفسهم حديثًا عن صورة المرأة فى النصرانية ولاهوتها.. وهى صورة «الإثم» الذى يسكنه «الشيطان» و«الوسواس» الذى أخرج آدم من الجنة، مرتكبة بذلك «الخطيئة» التى حملتها البشرية جمعاء فناءت بحملها الثقيل.. بل لقد ذهب بهم الافتراء على مكانة المرأة فى الإسلام إلى أن قالوا: إنه «بينما يعتبر حب الزوج لزوجته إلهاء عن عبادة الله، فإن حبه لأمه ينبغى أن يظل رمزًا للعرفان مدى الحياة»(٢٢).

ونحن نسألهم: أليست الأم امرأة من النساء؟! ولماذا تجاهلتم صورة الزوجة التى بلغ بها القرآن مكانة السكن والسكينة للزوج.. وهل يكون ذلك بغير الحب؟! ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾(٢٣).

إن الإسلام ليجعل من المعاشرة الزوجية والاتصال الجنسى الحلال عملاً صالحًا ينال الإنسان عنه ثواب الله، فيقول الرسول – صلى الله عليه وسلم – فيما يرويه أبو ذر الغفارى – رضى الله عنه –: «إن النبى ذكر أشياء يؤجر فيها الرجل، حتى ذكر غشيان أهله، فقالوا:

– يا رسول الله أيؤجر فى شهوته يصيبها؟!

– قال: أرأيت لو كان آثمًا، أليس يكون عليه الوزر؟!

– فقالوا: نعم

– قال: فكذلك يؤجر»(٢٤).

بل إن حنان الرجل على المرأة ومداعبته لزوجه عندما تتخذ صورة اللقمة يضعها فى فمها لهو فى الإسلام عمل صالح يكتب الله له به الحسنات.. وكما يقول رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «المؤمن يؤجر فى كل شىء حتى اللقمة يرفعها إلى فى امرأته»(٢٥). فأين من الإسلام ذلك الافتراء الذى افتراه قساوسة التنصير؟!

* * *

(٢١) التنصير خطة لغزو العالم الإسلامى – المداخل النصرانية للمرأة المسلمة – لـ «فاليرى هوفمان» – ص٨٦٧

(٢٢) المصدر السابق: المداخل النصرانية للمرأة المسلمة – لـ «فاليرى هوفمان» – ص ٨٧٢

(٢٣) الروم: ٢١.

(٢٤) رواه الإمام أحمد.

(٢٥) رواه البخارى ومسلم والترمذى وأبوداود والإمام أحمد.

وإذا كانوا قد خططوا لتكون المرأة المسلمة ثغرة من ثغرات اختراق الإسلام وعالمه وأمته.. فلقد كشفت بروتوكولاتهم عن وقوفهم خلف مخططات تحديد نسل المسلمين. فتنصير المرأة و«تخطيط الأسرة» مداخل لتحقيق مقاصد هذه البروتوكولات.. وفي التدرج والمرحلية على هذا الدرب يقولون:

«إن تخطيط الأسرة عامل رئيس ومؤثر وله أهمية كبيرة، ومع ذلك لم تتناوله هذه الدراسة - (دراسة الغذاء والصحة وسائل لتنصير المسلمين).

إنه من الأفضل عدم تناول التخطيط الأسري خلال المراحل المبكرة من العمل مع المسلمين، حيث يمكن أن يكون الناس أكثر استجابة لتخطيط الأسرة إذا تحسنت أحوالهم الصحية، وتأكد لهم بقاء وصحة الأطفال. ونستطيع أن نعالج مسألة تخطيط الأسرة بكل كفاية وفق هذا الأسلوب. ونخفض معدل المواليد عموماً بالتعليم والرخاء. إننا نأمل أن يتحقق ذلك في كل برامج تطوير المجتمع»[٢٦].

وهنا لابد من أن نسأل: أليس هذا هو المخطط الذي تدعو إليه وتروج له وتنفذه في عالم الإسلام كل المؤسسات الغربية، سياسية واجتماعية واقتصادية وإعلامية؟! وكذلك كل المؤسسات «الدولية».. الخاضعة لهيمنة الغرب! وألا يكشف ذلك عن تكامل المخطط الغربي في هذه الحرب المعلنة على الإسلام وأمته وحضارته وعالمه على مختلف الجبهات من العلمانيين إلى قساوسة التنصير! ثم لو كان هؤلاء القساوسة يبغون خلاص النفوس والأرواح - بالنصرانية - كما يزعمون ويعلنون.. فلم يريدون تحديد عدد النسل في بلاد الإسلام.. ولم لا يرحبون بزيادة الأرواح والنفوس التي سيمنحونها الخلاص؟! أم أن الأمر لا علاقة له بأي دين ولا بأي تدين.. وإنما هي الحرب التي يشنها الغرب على الإسلام والمسلمين، وذلك حتى لا تتحدى «الحضارة المؤمنة» حضارتهم العلمانية التي تأخذ المادية واللاأدرية منها بالخناق؟! إنه استغلال الدين وتسخيره، حتى ممن يلبسون مسوح هذا الدين!

* * *

(٢٦) التنصير: خطة لغزو العالم الإسلامي - الغذاء والصحة وسائل لتنصير المسلمين - لـ «روبرت. س. بتكيت، ورفينول ل. ماكاكيا» - ص٨٣٩

الفصل التاسع

اختراق الشرق الإسلامى من الغــرب النصـرانـى

(يتزايد باطراد عدد المسلمين الذين يسافرون إلى الغرب. ولأنهم يفتقرون إلى الدعم التقليدى الذى توفره المجتمعات الإسلامية، ويعيشون نمطًا من الحياة مختلفًا – فى ظل الثقافة العلمانية المادية – فإن عقيدة الغالبية العظمى منهم تتعرض للتأثر!

وإذا كانت تربة المسلمين فى بلادهم هى – بالنسبة إلى التنصير – أرضًا صلبة.. ووعرة! أفليس بالإمكان إيجاد مزارع خصبة بين المسلمين المشتتين خارج بلادهم، حيث يتم الزرع والسقى والتهيئة لعمل فعال عندما يعاد زرعهم ثانية فى تربة أوطانهم كمنصرين؟!).

من أبحاث مؤتمر كولورادو
لتنصير المسلمين

الفصل التاسع

اختراق الشرق الإسلامى من الغـرب النصـرانـى

واستمرارًا فى «سياسة» و«تكتيك» الهروب من المواجهة الحقيقية مع حقيقة الإسلام وثقافته.. والالتفاف بحثًا عن الثغرات الخلفية والجانبية للاختراق، فالهدم والتدمير.. استمرارًا لهذه «السياسة» ولهذا «التكتيك» وأمام اعتراف قساوسة التنصير - كما تواترت به مطبوعات إرسالياتهم - بأن عالم الإسلام يكاد يكون مغلقًا أمام نصرانيتهم.. دعوا إلى التركيز - كجزء من مخطط الالتفاف للاختراق - على المسلمين المغتربين فى البلاد الغربية، ليجعلوا منهم «مزارع» يزرعون فيها وينمون بذور النصرانية تمهيدًا إلى إعادة غرسها فى عالم الإسلام! وتحدثوا فى ذلك عن افتقار هؤلاء المغتربين إلى الدعم الفكرى والثقافى من بلادهم الإسلامية، فى جوٍ علمانى مناهض للحياة والمثل والقيم الإسلامية، الأمر الذى يسهل على المنصرين زرع نصرانيتهم فى ضحايا تفتقر إلى المقاومة!

هكذا تكشف بروتوكولات مؤتمر «كولورادو» عن قسمة أخرى من قسمات الاختراق النصرانى لعالم الإسلام! إن الخطاب الرئيس للمؤتمر، والذى يوجز الخطوط العريضة للمشكلات والحلول، يعترف بأن مطبوعات إرساليات التنصير مليئة بالعبارات المعبرة عن عجز هذه الإرساليات عن مواجهة الإسلام على أرضه وفى ربوع عالمه وتحت ظلال ثقافته.. ومن هنا كان اقتراح رئيس المؤتمر لهذه «المزارع» التنصيرية فى ظل ثقافة الغرب العلمانية المنحلة، استنباتًا للنصرانية فى هذا الجوِّ الملائم للتنصير!

ويا عجبًا من «دين» وأهل «دين» يرون فى اللادينية والانحلال الجوَّ الملائم والجو المواتى لهذا «الدين»!

يقول الخطاب الرئيس للمؤتمر راسمًا هذه القسمة من قسمات المخطط التنصيرى:

«إن مطبوعات الإرساليات التنصيرية، التى تعمل فى صفوف المسلمين، مليئة بإشارات وعبارات مثل: عدم الاستجابة أو منطقة صعبة أو نمو بطىء أو أرض وعرة.

والسؤال الذى أريد طرحه هو هل نستطيع أن نؤمن بإمكانية اختراق البلدان الإسلامية، والتى ستكون خارج نطاق مجمل تجاربنا المشتركة؟.. فإذا كانت تربة المسلمين صلبة ووعرة، أفليس بالإمكان إيجاد مزارع خصبة بين المسلمين المشتتين خارج بلادهم، حيث يتم الزرع والسقى والتهيئة لعمل فعال يقوم به الرب عندما يعيد زرعهم فى تربة أوطانهم؟».

ثم يمضى رئيس المؤتمر، فى الخطاب الرئيس بعد تحديد «المشكلة» والإشارة إلى «الحل» يمضى فيعرض الإمكانات المساعدة على التنفيذ والتطبيق، فيقول:

«إنه يتزايد باطراد عدد المسلمين الذين يسافرون إلى الغرب.. ولأنهم يفتقرون إلى الدعم التقليدى الذى توفره المجتمعات الإسلامية[1]. فإنهم يشعرون بالتمزق، ويكونون غير واثقين بأنفسهم، ويعيشون نمطًا من الحياة يختلف عن ذلك الذى يجب عليهم اتباعه.

ولقد كتب «ماكس كيرشو» فى بحثه الذى قدمه إلى هذا المؤتمر يقول: «يبدو أن عقيدة الغالبية العظمى من المسلمين فى الغرب، سواء أكانوا مهاجرين أم طلابًا أم زوارًا، تتعرض للتأثير، ويؤلف هذا تهديدًا خطيرًا للتماسك الإسلامى

وقد أشار أحد الكتاب المسلمين إلى أن انتشار النزعة العصرية لم يزرع الارتباك فقط، ولكنه أضعف من قبضة الإسلام وتأثيره..»[2].

فى هذا الجو اللادينى رأوا البيئة المناسبة لزرع واستنبات النصرانية فى صفوف المسلمين المغتربين، الذين يفتقرون إلى «الدعم التقليدى الذى توفره

(1) تجدر الدراسة - المقارنة - لتجربة مصر، على عهد محمد على باشا الكبير فى النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادى فى رعاية بعثاتها العلمية فى الخارج، وتهيئة نمط الحياة الإسلامية للطلاب: من العبادة والفقه فى الدين إلى الطعام الحلال، إلى ضبط السلوك الإسلامى فى الجو غير الإسلامى.. مع رقابة الدولة ومتابعة سلطاتها العليا لحياة هذه البعثات.. انظر فى ذلك على سبيل المثال: عمر طوسون (البعثات العلمية فى عهد محمد على وعباس وسعيد) طبعة القاهرة سنة ١٣٥٢هـ - سنة ١٩٣٤م

(2) التنصير: خطة لغزو العالم الإسلامى - الخطاب الرئيس - لـ «د. ستانلى مونيهام» - ص٢٤، ٢٦ - ٢٨

المجتمعات الإسلامية» لمواطنيها في بلادها.. وذلك تمهيداً لإعادة زرع هؤلاء المتنصرين – بعد «السقى والتهيئة» – فى «تربة أوطانهم» الإسلامية!

وانطلاقاً من هذا المخطط الذى أجمع عليه قساوسة التنصير ناشدوا كل هيئات التنصير فى جميع أنحاء العالم للاتحاد فى جهودها لاصطياد «الضحايا» من المسلمين المغتربين.. ولم يستثنوا من هذا المخطط بلداً فيه من يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، سواء أكان المسلمون فيه أغلبية أم أقلية.. وتحت عنوان: (مناشدة) نقرأ فى هذه البروتوكولات عن مغتربى المسلمين من روسيا والصين:

«يا هيئات التنصير فى الغرب اتحدى!

اتحدى لتنسيق وتنفيذ اتصال مستمر وشامل للوصول إلى:

أ – المغتربين المسلمين القادمين من روسيا والصين إلى الولايات المتحدة وأوروبا والشرق الأوسط (على الرغم من أن احتمال رجوع هؤلاء المغتربين إلى وطنهم فى آسيا الوسطى يبدو ضئيلاً، إلا أنهم قد يساعدون على ترجمة الإنجيل، وفي مجالات أخرى).

ب – المسلمين فى آسيا الشيوعية عن طريق الرحلات العلمية والأعمال السياسية»!![3]

فحتى المغتربون الذين لن يعودوا فيزرعوا فى «أوطانهم الإسلامية» يمكن أن يخدموا التنصير فى الترجمة، والأعمال الأخرى المماثلة..

وحتى الذين لا نية لهم فى الاغتراب، تناشد البروتوكولات إرساليات التنصير جذبهم إلى الجو الغربى المواتى لتنصيرهم، بـ «الرحلات العلمية والأعمال السياحية» التى تنظمها، من وراء ستار إرساليات التنصير!

ولقد خص هذا المخطط – لاصطياد المغتربين المسلمين – طلابنا الذين يدرسون فى المجتمعات الغربية بمزيد من الاهتمام.

فهناك تركيز تنصيرى على الطلاب.. وكما يقولون: «ففى الحرم الجامعى يجب أن تبدأ ثورة الإرساليات التنصيرية الخاصة بالمسلمين»!![4]

---

(٣) المصدر السابق: المقارنة بين وضع النصرانية والإسلام فى روسيا والصين – لـ «ج. روبرت أوفير برودك» – ص٥١٠.

(٤) المصدر السابق: الحاجة إلى مجلة جديدة خاصة بالإرساليات التنصيرية الموجهة نحو المسلمين – لـ «س. جورج فراي» – ص٨١٤.

وفى بحث آخر – من أبحاث هذا المؤتمر – وبعد الحديث عن عدم ملاءمة حياة المجتمعات الغربية للالتزام الإسلامى – عرض الكاتب لتأثير ذلك على الطلاب بوجه خاص.. فقال:

«يبدو أن أغلبية المسلمين فى الغرب مهاجرين كانوا أم طلابًا أم زوارًا، قد ابتعدوا عن عقيدتهم. إن نمط الحياة هنا لا يساعد على الالتزام بالصوم والمحافظة على الصلوات اليومية وصلاة الجمعة.. إلخ.. فلا توجد ميزة لأن تكون مسلمًا فى الغرب!

إن الثقافة والعلمانية المادية المحيطة، والتى يهتم بتأثيرها بعض النصارى، قادرة على أن تبهر سائر المسلمين فيما عدا الملتزمين منهم، وفى هذا الصدد يلاحظ دائمًا أن القول الشائع لدى المسلمين العرب هو: عندما تكون فى روما افعل كما يفعل أهل روما.

وبوجه عام، فإن الذين يتعاملون مع الطلاب الأجانب يتفقون على أن طلاب الشرق الأوسط أكثر الطلاب استعدادًا للتكيف، ويبدو أنهم قادرون على أن يتأمركوا فى أثناء وجودهم فى أمريكا (ثم يعودوا إلى سيرتهم الأولى عند رجوعهم إلى بلادهم)، وعليه فإنه ليس غريبًا أن نرى نسبة عالية من المسلمين لا يمارسون بنشاط شعائر عقيدتهم فى أثناء وجودهم فى الغرب، ومع ذلك فإن عدد الذين يتحولون عن الإسلام لا يعدو أن يكون رمزيًا فقط»![٥]

أما سر تركيز هذا المخطط على «الطلاب» – إلى الحد الذى رفعوا له شعارًا: «فى الحرم الجامعى يجب أن تبدأ ثورة الإرساليات التنصيرية الخاصة بالمسلمين»!! سر تركيزه على «الطلاب» أكثر من «المهاجرين» ومن «الزوار» إلى بلاد الغرب.. فلأن:

أولاً: هؤلاء الطلاب يجلسون مجلس الدرس والتلمذة.. فهم معرضون – علاوة على تأثير الجو النصرانى والمادى العام – لتأثير فكرى منظم.. ومن خلاله يتسرب التنصير، بأسلوب ناعم وغير مباشر!

وثانيًا: لأنهم لم يرتبطوا – بالزواج والإنجاب – بروابط اجتماعية شديدة الخصوصية تشدهم إلى العلاقات الإسلامية وتصعب عليهم الاقتلاع الذى يمثله ويحدثه التنصير.

(٥) المصدر السابق. مقارنة بين وضع النصرانية والإسلام فى الغرب – لـ «د. ماكس كيرشو» – ص ٣٢٨، ٣٢٩.

وثالثا: أن إقامتهم فى الغرب ليست عابرة، كما هو حال «الزوار».. وإنما لديهم سنوات تتراكم فيها تأثيرات التغريب والتنصير..

ورابعًا: أن إقامتهم ليست دائمة فى الغرب، كما هو حال «المهاجرين».. ومن ثم فلديهم صلاحية إعادة الغرس فى مجتمعاتهم الإسلامية بعد زرع النصرانية فيهم وسقيها وتهيئتهم لدور المنصرين!

وخامسا: – وأخيرًا – فلأنهم كطلاب هم فى مرحلة «التلقى» و«التأثر».. وهم ذاهبون إلى الغرب لطلب «العلم» و«الفكر».. وليس لكسب العيش، كما هو حال «المهاجرين».. ولا للنزهة والمتعة، كما هو حال «الزوار»..

لذلك كان تركيز مخطط الاصطياد للمغتربين واستنبات النصرانية فيهم، ثم إعادة زرعهم فى المجتمعات الإسلامية.. كان تركيز هذا المخطط على «الطلاب» أكثر من الفئات الأخرى للمغتربين!

* * *

ومن الحقيقة التى ختم بها «ماكس كيرشو» العبارة السابقة التى اقتبسناها من بحثه، حقيقة:

«إنه، ومع ذلك، فإن عدد الذين يتحولون عن الإسلام لا يعدو أن يكون رمزيًا فقط»!!

مّن هذه الحقيقة التى عبرت عنها هذه العبارة – والتى أعادت، حتى للتنصير فى صفوف المغتربين المسلمين – إشارات وعبارات: «عدم الاستجابة» و«منطقة صعبة» و«أرض وعرة» و«نمو بطىء».. حتى لكأن العقبة أمام التنصير للمسلمين هى «الإسلام» و«المسلم» مهما كان المكان وكان الجو!

أمام هذه الحقيقة، المخيبة لآمال قساوسة التنصير، كان تساؤلهم:

«ما الذى تم عمله لتنصير المسلمين فى الولايات المتحدة وغيرها من البلاد الغربية؟».

ولما أجاب «ماكس كيرشو» عن هذا السؤال بقوله: «حتى الآن لم يتم شىء كثير»[٦]! لم تكن هذه الإجابة نهاية المطاف.. وإنما كانت مدخلاً لتخطيط يريدون بتنفيذه تحقيق «الشىء الكثير»!

(٦) المصدر السابق: مقارنة بين وضع النصرانية والإسلام فى الغرب – لـ «د. ماكس كيرشو» – ص٢٢٨، ٢٢٩

* فعن تنصير المسلمين فى الولايات المتحدة الأمريكية وكندا يقول «تقرير المؤتمر»:

«وإدراكًا للوجود المتزايد للمسلمين فى أنحاء الولايات المتحدة وكندا نقترح أن يسعى المركز - (مركز زويمر - الذى يقود كل عمليات التنصير للمسلمين) - لإعداد دراسة عميقة حول توزعهم الجغرافى والسكانى. والقيام بدراسة موسعة عن طريق المنصِّرين العاملين فى صفوفهم. ويجب أن يتم هذا العمل بهدف التخطيط الاستراتيجى لتنصيرهم..»!(٧)

* وعن تنصير المسلمين فى فرنسا.. يبدءون الحديث بالتساؤل:

«ماذا يتم عمله للوصول إلى المسلمين فى فرنسا؟» ثم يجيبون

«ينتمى معظم المهاجرين - (المسلمين) - إلى طبقة الفلاحين، وقد وجد من الصعب الوصول إليهم، بل الأكثر صعوبة هو دمجهم فى الكنائس الأوروبية.

وينشط عدد من أفراد «إرسالية شمال إفريقيا» فى الوقت الحاضر فى فرنسا، إضافة إلى منصرين من «محافل الإخوة» و«اتحاد الكتاب المقدس التنصيرى».. ولـ«إرسالية شمال إفريقيا» مركز دولى فى «مونتبيليه» حيث أحرزوا بعض النجاح فى الوصول إلى الطلاب الإيرانيين وتنصيرهم..»!

.. وهنا نلاحظ شكوى المنصِّرين من عدم استجابة الفلاحين وأبنائهم للتنصير.. فالفلاح المسلم هو من أكثر الطبقات نجاةً من تأثيرات التغريب.. التى تمهد الأرض أمام التنصير!!

* وعن تنصير المسلمين المغتربين فى ألمانيا قالوا:

«لقد اشترك عدد من الألمان النصارى والمنصِّرين مع إرسالية الاتحاد التنصيرية وإرسالية عملية التعبئة التنصيرية فى محاولة تنصير المسلمين الأتراك، حيث حققوا بعض النجاح. وفى الوقت الحاضر يوجد فى ألمانيا أتراك نصارى أكثر مما هو موجود فى تركيا..»!

* أما عن التنصير بين المغتربين المسلمين فى إنجلترا، فلقد قالوا:

«إن العمل النصرانى فى وسط المسلمين تقوم به الكنيسة الرسمية والمحلية ومجموعات الكنائس الحرة والإرساليات المستقلة. مثل إرسالية عملية

(٧) المصدر السابق: تقرير المؤتمر - لـ «أرثر. ف. كلاسير» - ص ٧٠، ٧١.

التعبئة، حيث تحقق بعض النجاح. ولكن الكنيسة في إنجلترا تشق طريقها بصعوبة وجهد حتى يبدو أنها تفقد المواقع، وغير قادرة على التغلب على مصاعب التحدي الناتج من التدفق الإسلامي، وقد بيعت بعض الكنائس وتم تحويلها إلى مساجد»!![8]

وإذا كانت حقائق هذا «الحصاد» للتنصير بين المسلمين في الغرب، على هذا المستوى المتواضع.. برغم الجو المناوئ للإسلام.. والإمكانات الهائلة المبذولة لتنصير المسلمين المغتربين.. وهي تبدو أشد تواضعاً إذا ما قوبلت بانتصارات الإسلام وانتشاره بين المواطنين الغربيين أنفسهم.. فإن هذه الحقائق يجب ألا تدع «الغفلة» - بل ولا حتى «الطمأنينة» - تسود بين المسلمين إزاء مخططات التنصير لأبنائنا المغتربين.. فتواضع حصاد التنصير هو الذي دفع قساوسته لهذا التخطيط، الذي يريدون بتنفيذه تغيير هذا الواقع.. لا بتنصير أبنائنا المغتربين فقط، وإنما باستخدامهم بعد زرع النصرانية فيهم، أدوات لاختراق عالم الإسلام!

* * *

(٨) المصدر السابق: مقارنة بين وضع النصرانية والإسلام في الغرب. لـ «د. ماكس كيرشو» - ص٣٢٩ - ٣٣٢.

الفصل العاشر

أساليب التنفيذ ومؤسساته

(للتنصير ثلاثة أساليب:

١ – الأسلوب المباشر: عن طريق المنصِّرين والدراسات الإنجيلية.. وهذا الأسلوب لم يجتذب سوى عدد قليل جداً من المسلمين!

٢ – الأسلوب الشامل: مثل المدارس والكليات والجامعات الأمريكية في القاهرة، وبيروت، وإستانبول!! التي فتحت باباً عظيماً للتنصير.. لكنه فقد تأثيره الإيجابي الذي خطط له مؤسسوه، لعيوب في الإدارة والتوجيه!

٣ – الأسلوب غير المباشر – أو أسلوب التسلل: بالكلمة المذاعة، والصورة المرئية، والصفحة المكتوبة، والرسوم المتحركة.. إلخ.. إلخ.. وهذا هو العنصر الحاضر دائماً، والقوة الصامتة، وغير المرئية.. التي لا تدخل في أي جدال، ولا تقبل أي اعتذار.. وعلى الرغم من ذلك تنتقل من خلال العقل إلى القلب والضمير لتحدث معجزة التنصير!».

من أبحاث مؤتمر كولورادو
لتنصير المسلمين

الفصل العاشر

أساليب التنفيذ ومؤسساته

لقد اتفقت أبحاث ومناقشات قساوسة التنصير فى مؤتمر «كولورادو» على الهدف:

* اقتلاع الإسلام من جذوره، وطى صفحته من الوجود، وتنصير كل المسلمين!

واتفقوا على أن السبيل إلى تحقيق هذا الهدف، هو:

* الالتفاف حول الإسلام، والهرب من مواجهته، لاختراقه تحت مظلة: مصطلحاته، وثقافته.. والأنماط والأشكال المألوفة لأهله فى الاجتماع الإسلامى!

أما آليات التنفيذ لهذه الأهداف، فهى:

* «المؤسسات».. مؤسسات الاختراق للإسلام.. سواء كانت الكنائس المحلية والوطنية.. أو إرساليات التنصير القائمة.. أو المؤسسات الجديدة المقترحة.. والتى حددوا أهدافها عندما قالوا: «إن ظاهرة الإسلام واسعة بالدرجة التى يستطيع المرء أن يتصور الحاجة إلى مئات المراكز المخصصة للتركيز على الإسلام. ليس فقط لفهم أفضل للإسلام، وإنما من أجل اختراق الإسلام»![1]

إن قساوسة التنصير برغم طموحهم لتسخير العمالة المدنية مع الإرساليات.. والعلمانيين مع رجال الكنيسة.. وكنائس الشرق مع كنائس الغرب.. ودارسى الإسلام مع اللاهوتيين النصارى.. برغم طموحهم إلى تسخير كل شىء وكل أحد لاختراق الإسلام وتنصير كل المسلمين، فإنهم قد أكدوا ضرورة إنجاز هذا

(١) المصدر السابق: الحاجة إلى مركز للقيادة فى أمريكا الشمالية – لـ «رالف دى ونتر» – ص ٧٥٢.

المخطط، والوصول إلى هذه الأهداف عن طريق «المؤسسات»: القائم منها - وهو هائل - والذى اقترحوا إقامته وهو كبير وكثير!

وإذا كانوا قد أسسوا مخططهم هذا وبروتوكولاتهم هذه على ضوء نقد الواقع التاريخى للتنصير، والذى أوصلهم إلى طريق شبه مسدود.. فإنهم قد جددوا فى «الأساليب» التى اقترحوها على «مؤسسات التنصير»..

* * *

لقد حددوا للتنصير ثلاثة أساليب:

أولها: «الأسلوب المباشر».. الذى يعتمد على الدعوة المباشرة إلى النصرانية - وهو أسلوب قديم - وقالوا: إن حصاد هذا الأسلوب كان ضئيلاً.. فهو «لم يجتذب سوى عدد قليل جداً من المسلمين فيما عدا بعض الذين جاءوا بصورة سرية وظلوا مجهولين»..

وثانيها: «الأسلوب الشامل».. وهو الذى ينشر الجو النصرانى والأدبيات النصرانية ويجعل النصرانية مألوفة فى الأوساط الإسلامية.. ويجذب إليها الضحايا.. لا من خلال الدعوة المباشرة التى يقوم بها المنصرون السافرون، كما هو حال الأسلوب الأول - المباشر - وإنما من خلال المؤسسات التعليمية التى خطط المنصرون لإنشائها فى بلاد الإسلام.. من المدارس.. إلى الكليات.. إلى الجامعات الأمريكية فى القاهرة وبيروت وإستانبول!

ولقد دعوا إلى تحسين أداء هذه المؤسسات حتى تنجز على جبهة التنصير الأهداف التى أسست من أجلها.. وانتقدوا القصور الإدارى الذى عاقها عن تحقيق كل الأهداف فى هذا الميدان.

وثالثها: «الأسلوب غير المباشر، أو أسلوب التسلل».. وهو الأسلوب الجديد الذى اقترحوا التركيز عليه لتحقيق المخطط الجديد والطموح: اختراق الإسلام لهدمه وتنصير كل المسلمين.. ومن ثم دعوا كل المؤسسات القائمة على التنصير مع المؤسسات الجديدة المقترحة إلى التركيز فى الدعوة إلى التنصير على هذا الأسلوب.. «أسلوب التسلل».. الذى قالوا عنه: «إنه هو القوة الصامتة، وغير المرئية التى لا تدخل فى أى جدال، ولا تقبل أى اعتذار، وعلى الرغم من ذلك تنتقل من خلال العقل إلى القلب والضمير لتحدث معجزة التنصير»!

ذلك هو التخطيط الجديد – في بروتوكولات قساوسة التنصير – الذي حددته أبحاث مؤتمرهم، عندما قالت بالنص:

«إن طريقة الوصول إلى المسلمين وتنصيرهم قد أصبحت موضع دراسة جادة.. وفيها اتجاهات ثلاثة:

١ – الأسلوب المباشر: ولقد اتخذ العمل التنصيري في العقود الماضية شكل مجموعات صغيرة ودراسات إنجيلية موجهة في البيوت وأماكن العمل، كان ذلك هو المنهج الذي سار عليه الإخوة، والذي أدى إلى نتائج باهرة في مصر قبل حرب عام ١٩٥٦م، ولكن بناء السد العالي في أسوان أدى إلى إنهاء عمله هناك[٢]!

إن الأسلوب المباشر يروق لبعض الأفراد، ولا يفقد تأثيره وفعاليته أبدًا، إلا أنه يتطلب قدرًا كبيرًا من الحصافة والحكمة الإلهية، وخاصة في عصرنا المتسم بالحساسية الشخصية والقومية والدينية.

واتخذ أسلوب التنصير المباشر شكل الدعوة العلنية متى كان ذلك ممكنًا، في قاعة خاصة أو في كنائس.. ولكن هذا الأسلوب اجتذب عددًا قليلاً جدًا من المسلمين، فيما عدا بعض الذين جاءوا بصورة سرية وظلوا مجهولين.

٢ – الأسلوب الشامل: ولم يخل الأسلوب الشامل من نتائج شاملة ومؤثرة، وإن كانت عامة.. إن مئات المدارس القروية وعديدًا من الكليات قد فتحت الأبواب إلى عالم جديد لآلاف الناس، ومكنتهم من قراءة الإنجيل والأدب النصراني.. وهذه الكليات التي كانت ومازالت مراكز لتأثير عظيم في الشرقين الأوسط والأدنى هي «كلية روبرت في إستانبول» و«الجامعة الأمريكية في بيروت»[٣]، و«الجامعة الأمريكية في القاهرة»[٤].. وإذا لم تتمكن من إحداث التأثير النصراني الإيجابي الذي خطط له مؤسسوها، فإن الخطأ يقع على عاتق الإدارة والموظفين، وليس بسبب عدم توافر الفرص أو الإمكانات أو الوسائل، كما أن إنشاء هذه المعاهد قد فتح بابًا عظيمًا، ولكن عدم استمرارية تأثيرها يعود إلى المحتوى والتوجيه وليس بالضرورة إلى المنهجية.

---

(٢) هذه حقائق مذهلة ومفاجئة للكثيرين – ولعلها تثير اهتمام باحث ليصل إلى أبعادها ودلالاتها!

(٣) افتتحت في ٣ من ديسمبر سنة ١٨٦٦م باسم «الكلية السورية الإنجيلية».

(٤) تأسست بالقاهرة سنة ١٩٢٠م باسم «مدرسة لنكولن للدراسات الشرقية».. انظر (تاريخ الكنيسة الإنجيلية في مصر) ص١٩٦.

٣ - الأسلوب غير المباشر أو أسلوب التسلل. والواقع أنه في كل العصور والبلاد كانت الصفحة المكتوبة في كل مكان هي المنصر الحاضر دائمًا! أضيف هنا تحذيرًا، هو: أنه من الخطأ إعادة الحياة إلى الكتابات والمطبوعات القديمة لتوزيعها اليوم. إننا بحاجة إلى كتابات «جديدة» لكل جيل، ومطبوعات «مختلفة» لكل بلد وشعب، ويجب أن يَفيض هذا الأدب بروح الحاضر إذا أردنا له أن يجد أذنًا صاغية. إن أي جيل يتطلب أدبًا جديدًا.

هناك وسيلتان أخريان لأسلوب التسلل تهيأتا لجيلنا الحاضر، وأثبتت العقود الأخيرة أنهما مؤثرتان جدًا، هما: الإذاعة، ودورات المراسلة. ولا شك في أن التليفزيون قد يحل محل الراديو في الأهمية، وهذا احتمال مستقبلي، ولكن العصر هو عصر الراديو.

وبعكس الإذاعة التي تتطلب استماعًا مركزًا، فإن دورات المراسلة تتطلب القراءة، والتفكير، والاشتراك في الكتابة، كما أنها تشد العقل، ويشارك فيها الفرد على مستوى عميق، وليس فيها مجال للجدل والنقد.

إن هذا الأسلوب - (أسلوب التسلل) - على كل حال هو القوة الصامتة وغير المرئية التي لا تدخل في أي جدال ولا تقبل أي اعتذار، وعلى الرغم من ذلك تنتقل من خلال العقل إلى القلب والضمير لتحدث معجزة التنصير»[٥]!

تلك هي كلماتهم عن أساليب التنصير.. وهي شهادة واعتراف يفضح مؤسسات التعليم التي أقاموها أوكارًا للتنصير، فتعلم فيها أبناؤنا وتخرج فيها حكامنا - في القاهرة وبيروت وإستانبول!! -.. وهذا هو تفكيرهم المعاصر والمستقبلي عن الكلمة العصرية المكتوبة - «الصفحة المكتوبة هي المنصر الحاضر دائمًا»! وعن الإذاعة، «فالعصر هو عصر الراديو»! وعن دورات المراسلة التي تُعمِلُ ملكات وطاقات «القراءة.. والتفكير.. والكتابة.. وتشد العقل» إلى أدبيات التنصير!!

ومطلوب من جميع هذه الآليات أن تتسلل بالمضامين النصرانية، المغلّفة بالأشكال والأنماط الثقافية الإسلامية.. تتسلل إلى عقل المسلم ووجدانه، لتقتلعه من الإسلام وتقتلع منه الإسلام!

(٥) التنصير: خطة لغزو العالم الإسلامي - نظرة شاملة على إرساليات التنصير العاملة وسط المسلمين - لـ «جورج بيترز» - ص٥٨٨، ٥٩٤.

أما الكلمة المكتوبة والصفحة المطبوعة التى هى - كما قالوا -: «المنصر الحاضر دائماً» فلا يحسبن أحد أنها فقط المواعظ الدينية وكتب اللاهوت.. فالقوم قد أعلنوا الهرب من المواجهة بين لاهوتهم وبين دين الإسلام.. ومن ثم فكلمتهم المطبوعة ومنصرهم الحاضر دائماً، هو الكلمة الجبانة المتخفية فى كل ما لا علاقة له مباشرة بالدين الصرف.. وبعباراتهم عن ثياب وأشكال وأنماط هذه «الكلمة».

«فإننا نعتبر أن المطبوعات ووسائل الإعلام تشمل: الكراسات الدينية.. والصحف.. والرسوم الكرتونية المتحركة.. والكتيبات والكتب.. والمجلات ودورات المراسلة.. والنصوص الإذاعية.. والتسجيلات.. والمسرحيات.. ومواد القراءة والكتابة.. وترجمات الكتاب المقدس.. والصور.. والملصقات.. و أى مواد إيضاحية أخرى»![6]

تلك هى أبرز أنواع المطبوعات ووسائل الإعلام - «المنصر الحاضر دائماً»!

* * *

وعندما قرر قساوسة التنصير أن «العصر هو عصر الراديو».. فإنهم قد خططوا لتنهض الإذاعات التنصيرية بدور «المنصر الحاضر دائماً» والمتسلل تحت كل المظلات الخادعة إلى آذان وعقول وقلوب المسلمين: لأن الإذاعة تخترق حدود البلاد المغلقة أمام المنصرين الرسميين!

وإذا كانت محطات الإذاعات التنصيرية ومحطات الإرسال التليفزيونى قد بلغت ۲۳٤۰ محطة.. - وذلك غير الإرسال النصرانى من إذاعات وتليفزيونات لا تديرها إرساليات التنصير.. وإنما تديرها دول نصرانية - فإنهم قد ذهبوا على درب «التسلل» وتحقيق الحد الأقصى من «الفعالية» إلى حيث اقترحوا مخططاً، اتفقت عليه إذاعات التنصير التى نسقت جهودها، وأقامت «رابطة الشرق الأوسط للاتصالات».. فكان من معالم هذا التخطيط:

١ - استكتاب كتاب مسلمين - خبراء بالإسلام وبعقلية وذوق المستمع المسلم - للنصوص الإذاعية.. على أن يحموا هؤلاء الكتاب من الافتضاح أمام جماهير المسلمين بترجمة نصوصهم إلى لغات أخرى.. وبإذاعتها فى مناطق غير المناطق التى يعيشون فيها.

٢ - تكوين الأطر المدربة على الكتابة للمستمع المسلم.

(٦) المصدر السابق. الوضع الحالى للمطبوعات ووسائل الإعلام الأخرى الموجهة للمسلمين - لـ «ريموند جويس» - ص ٦١٩.

٣ - استخدام الموسيقا الشرقية فى الإذاعات التنصيرية.. وكذلك الأغانى الشرقية - مثل أغنيات فيروز مثلاً.. والاستعانة بأساليب الإنشاد الدينى الإسلامى فى إنشاد النصوص النصرانية.. والشعر العربى كسلّم للمزامير.. والدراما.. وبرامج تعليم اللغة الإنجليزية - بالتنسيق مع هيئة الإذاعة البريطانية.. وصولاً إلى توزيع الإنجيل لتدريب دارسى اللغة الإنجليزية على قراءته كنص إنجليزى! - والبرامج السياحية.. والمصطلحات الإسلامية - مثل «عيسى» بدلاً من «يسوع».. وتسمية الإنجيل «الإنجيل الشريف» بدلاً من «المقدس»..

لقد اقترحوا هذه الاقتراحات - وغيرها مما ماثلها - كأغلفة تغلف فيها المضامين النصرانية، لتصل عبر الإذاعات إلى أسماع وعقول المسلمين.. وقالت بروتوكولاتهم عن هذا المخطط لإذاعات التنصير - التى اتخذ بعضها لنفسه مواقع فى قلب عالم الإسلام أو على مقربة من قلبه - لبنان - فى الجنوب الذى تحتله إسرائيل - وفى قبرص مثلاً - قالت هذه البرتوكولات:

«يبدو أن الإذاعة اليوم هى إحدى الوسائل الرئيسة التى يمكن عن طريقها الوصول إلى المسلمين فى بلدان الشرق الأوسط وشمال إفريقيا المغلقة.. فهى تخترق الحواجز الحدودية.. وتنفذ إلى مجتمعات المسلمين المغلقة.. نحن يتحتم علينا أن نستغل كل وسائل التقنية الحديثة التى وفرها الرب لنا بعنايته!

وفى بيروت جرى اجتماع، حيث تبادلت محطات الإذاعة الخطط والمفاهيم فيما بينها، وكونّا رابطة الشرق الأوسط للاتصالات والتى كانت وسيلة لإنشاء محطة الإرسال فى قبرص.. وهذا أمر ما كان لنا أن نفعله بمفردنا!

إن رابطة العقيدة من أجل المسلمين قد بدأت فى تجميع نصوص إذاعية.. وإننى أرى أن النتيجة ستكون أكثر فعالية إذا وافق الإذاعيون المسلمون على المشاركة ببعض أفكارهم وكتاباتهم، والتى يمكن استعمالها فى مناطق أخرى وبلغات مختلفة، وتحتاج إلى إطار مدرب لكتابة هذه النصوص للجماهير المسلمة[٧].

إن هناك عدداً كبيراً من المتسائلين يفوق عدد من يجيبون عن تساؤلاتهم، إن برامج إذاعة «إرسالية شمال إفريقيا» و«جمعية التنصير المتحدة» (وإلى حد ما، البث الإذاعي الذي يأتي من ليبيريا) قد استثارت مئات الأسئلة الحادة، فليس

(٧) المصدر السابق: الإرسال الإذاعى الحالى الموجه إلى المسلمين - لـ «فريد. ب. أكوورد» - ص ص٥٦٣، ٥٦٤، ٥٧٠، ٥٧١.

هناك عدد كاف من الأشخاص الذين يجيدون اللغة العربية حتى يتصلوا بهؤلاء المتسائلين ويقوموا بزيارتهم»!![8]

فالبث الإذاعي تعقبه زيارات لإقامة علاقات مع المتسائلين.

أما «أغلفة» الأشكال والأنماط الإسلامية، التي يغلفون بها المضامين النصرانية، ثم يرسلونها في الإذاعات.. فإن صراحة – بل وقاحة – القوم قد جعلتهم لا يخجلون – وهم رجال «دين» – من أن يسموها «طعمًا» يصطادون به المسلمين من الإسلام إلى النصرانية.. أي والله! فلقد قالوا عن هذا «الطعم»:

• «إن المستمعين الذين استهدفتهم إذاعتنا – (من قبرص) – كانوا شبابًا تتراوح أعمارهم ما بين ١٦ – ٢٥ عامًا، وأغلبهم طلاب متعلمون، وهم عمومًا يستمعون إلى الإذاعة في المساء عندما ينتهي يومهم الدراسي، ولهذا نوجه برامجنا إليهم ما بين الساعة ٨ – ٩ مساء..»

• «كان هناك قليل من الموسيقا الشرقية النصرانية، وهذا مجال يوجد فيه نقص كبير وحاجة ماسة. وفي الموسيقا استخدمنا أساسًا الموسيقا الشعبية العربية، أي أغاني فيروز والموسيقا لفنانين آخرين.

وفي هذه المرحلة – (أي المرحلة الأولى من البث الإذاعي) – لم تقدم أية رسالة نصرانية. ولكنها (برامج) فقط تكون بمثابة «طعم» لجعل المسلمين يستمرون في الاستماع إلى برامجنا.

وقد يسر الرب «منشدًا» للنصوص المقدسة، ذا صوت جميل، ينشدها» كما يرتل المسلمون القرآن. إن قراءة الكتب المقدسة بهذه الطريقة غيرت الموقف تمامًا. فقد وردتنا مثل هذه الاستفسارات:

• أي جزء من القرآن يقرأ ذلك المرتل؟

وقد أرسلنا إليه الإنجيل، مع الإجابة بأن القراءة كانت من «الإنجيل الشريف» أو من «الزبور» أي المزامير.

إن ذلك المنشد لم يكن يستطيع ترتيل النصوص المقدسة فحسب، ولكنه كان يستطيع أن يعزف على آلة العود عزفًا رائعًا. كما أنه (وآخر مثله) يأخذان قصصًا

---

(٨) المصدر السابق: مقارنة بين وضع الإسلام والنصرانية في شمال إفريقيا – لـ «كريكوري. م. لفنسكلون» – ص ٣٠٨

من الإنجيل، كقصة «الابن المسرف».. ويغنيان القصة بلحن شرقي جميل كان ذلك رائعًا جدًا.

إن العرب يحبون الشعر، وكنا نحن نقرأ بعضًا من عيون الشعر الرائعة - «نحن» تعني دائمًا قارئًا عربيًا - وبعد الشعر نقرأ لهم أجزاء من المزامير. وفي نهاية البرنامج نخبرهم أن أعظم شاعر في الدنيا هو النبي داود، ونسائلهم: عما إذا كانوا يريدون نسخة من أشعاره؟ وترسل إلى كل من يطلبها نسخة من المزامير وانجيلاً..»..

• «إن اللغة الإنجليزية مهمة لكل عربي يرغب في متابعة تعليمه أو يود الهجرة..».

ولقد كتبنا إلى «هيئة الإذاعة البريطانية» - التي لديها سلسلة ممتازة من برامج تعليم اللغة الإنجليزية للناطقين بالعربية - ولقد منحتنا السلسلة وأذنت لنا بتقديمها عبر إذاعتنا، وقد أجرينا بالفعل تعديلات على السلسلة استخدمناها «كطعم».. وفي الختام كنا نتوجه بالسؤال: «عما إذا كان المستمع يرغب في نسخة مجانية من كتاب يحتوي على العربية والإنجليزية جنبًا إلى جنب وعندئذ نرسل إليه نسخة من الإنجيل بالعربية والإنجليزية..»!

• «وكنا محظوظين: إذ كان بيننا شيخ مسلم متنصر يعد لنا البرامج، وكان يلقي الموعظة كشيخ مسلم، وبنفس الأسلوب، ولكن المحتوى كان من الإنجيل، وكان برنامجه يقدم دائمًا يوم الجمعة»!!

• «وكنا نستخدم أساسًا مصطلحات إسلامية، فمثلاً استعملنا عيسى بدلاً من اليسوع أو المسيح - وفي عدن أو الجزيرة العربية - حيث عملنا سابقًا - كان العرب والصوماليون يسألون: من هو هذا الذي يدعى يسوع؟ وكنا نحاول حينئذ أن ننقلهم من عيسى الذي يعرفون إلى يسوع الذي يجهلون»

• «وكانت البرامج الدرامية هي الأولى في قائمتنا، ولكن كان من الصعب الحصول على عدد كاف من الممثلين ليقوموا بأداء الأدوار في هذا المجال. فقد كان لدينا ممثلان عربيان يستطيعان تأدية أدوار الحوار الكوميدي وكان ذلك من قبيل الطعم، وقمنا ببعض التسجيلات الدرامية في مدرسة نصرانية، وخاصة في أيام العطلات»!

- «وكانت برامج الرحلات وسيلة مهمة أخرى للوصول إلى آذان المستمعين العرب، وقد قدمنا سلسلة من برنامج مرحبًا بك في قبرص - لقد سافرنا (أنا وزميلي العربي) إلى جزيرة قبرص وتجولنا فيها ومعنا أجهزة التسجيل التي تخبرنا عن الجزيرة، والتقطنا الأصوات وكنا خلال ذلك نتحدث عن قصة الرسول بولس وبرنابا، وقدمنا سلسلة أخرى من برنامج مرحبًا بك في لبنان وأفضنا الحديث عن المناظر الخلابة والآثار التاريخية فيها، وكانت تلك أنواعًا من البرامج التي قدمناها هادفين من ذلك إلى جعل المستمع يكتب إلينا حتى نرسل إليه نسخة من الإنجيل، ونعمل من أجل تسجيله في برنامجنا ودوراتنا بالمراسلة..»[٩].

تلك ألوان من «الطعم» الذي تستخدمه الإذاعات التنصيرية، لتغلف به المضامين النصرانية، ولتجتذب به آذان المستمعين المسلمين!

إنهم يخططون.. وينفذون.. في دقة وأناة، بل إنهم لا يتعجلون الحصاد.. وإنما يتحدثون عن أهمية «التراكم» الذي يحدث تفاعلاته قبل أن يأتي موسم «الحصاد».. ذلك - كما يقولون -:

«إنه ما من أحد يمكن أن يأتي إلى المسيح ويتنصر نتيجة لربع أو نصف ساعة من المواعظ التي تحضه على اتخاذ القرار. إن التنصير هو نتيجة لتراكم العديد من التجارب في حياة المرء، يحركها الروح القدس: ولذلك لابد من أن تتم الخطوات الأساسية الثلاث قبل أن يتنصر المرء:

البذر..

والسقي..

والحصاد..

ويتعين علينا فهم هذه الفكرة، وأن تنطلق خططنا منها»[١٠].

تلك إشارات لدور الاختراق التنصيري عن طريق الإذاعات!

* * *

وعلى جبهة «الكلمة المقروءة» وآلياتها نجد نفس التخطيط.. تغليف المضامين النصرانية في «طعم» وشكل عربي وإسلامي، لزرع النصرانية خلسة في قلب الإسلام!

---

(٩) المصدر السابق: الإرسال الإذاعي الحالي الموجه إلى المسلمين - لـ «فريد د. أكيرود» - ص ٢٧٧ - ٢٧٩.

(١٠) المصدر السابق: الإرسال الإذاعي الحالي الموجه إلى المسلمين - لـ «فريد د. أكيرود» - ص ٢٧٩.

فإلى جانب المجلات التى اقترحوا إصدارها والتى تركز على المنصرين، لإعدادهم وتأهيلهم وتنمية قدراتهم التنصيرية اقترحوا إصدار مجلات موجهة إلى المسلمين، لا تبدو عليها أمارات النصرانية، لا «فى الشكل ولا فى الأسلوب، ولكنها تدعو المسلمين إلى المسيح على أنه المهدى»!! مجلات «تكون إسلامية فى المضمون ونصرانية عن عمد»! كما دعوا إلى إصدار مجلة تختص بتنصير الطلاب المسلمين في الغرب.. وإلى كتيبات تجمع «المصطلحات والأسماء والمفاهيم الدينية الإسلامية والنصرانية»، التى تمثل آليات «الطعم» والاختراق..

وكما صنعوا فى الإذاعات فأسسوا «رابطة الشرق الأوسط للاتصالات» لتنسق التخطيط والتنفيذ بين الإذاعات.. كذلك دعوا إلى إنشاء «دار لرصد وتنسيق المقالات والأخبار الجديدة، والتى سوف يتقاسمها عديد من المجلات الملائمة للمسلمين، أى دار واحدة للمناطق الجغرافية في العالم»! ولقد ضربوا مثالاً على أهمية هذه الدار — دار الرصد والتنسيق للمقالات والأخبار — بتجربة ظهرت فى مصر فى ذلك التاريخ! كما ضربوا مثالاً على المجلات التنصيرية ذات الشكل البعيد عن التنصير بمجلة (المجلة) التى تصدرها «مؤسسة إعلام الشرق الأوسط».

أما نصوص البروتوكولات التى تتحدث عن هذا المخطط فى ميدان «الكلمة المقروءة»، فإنها تقول:

«علق الدكتور «رالف ونتر» من «مركز الولايات المتحدة للإرسالية العالمية» — (وهو أحد أصحاب الأبحاث المقدمة للمؤتمر) — مؤخرًا:

«تقف الكنيسة اليوم متأرجحة على حافة ما يمكن أن يكون أهم تقدم في تاريخها في موضوع الوصول إلى المسلمين الذين لم يتم الوصول إليهم»..

وتعليقًا على هذه الفقرة كتب القس «دكتور ريموند جويس» السكرتير التنفيذى «لزمالة العقيدة من أجل المسلمين» قائلاً: «دعونا نحول هذا «التأرجح» إلى عمل منظم، تدعمه صلاة مركزة»!

وأحد الأساليب لإنجاز ذلك التأسيس الفورى لمجلة جديدة عن الإرساليات التنصيرية العاملة وسط المسلمين.. مجلة ملتزمة بالاعتقاد الذى يقول: إن المسلمين يجب أن يواجهوا بمطالب الإيمان النصرانى التاريخى، وبدعوة إلى قبول المسيح ربًا مقدسًا ومخلصًا.

«لقد تسلمت في ١٠ من مارس سنة ١٩٧٨م خطابًا مثيرًا من «دكتور هارفي كونت» أستاذ الإرساليات التنصيرية في «معهد وست منستر اللاهوتي» في فلادلفيا، وفي إجابته عن سؤالي فيما إذا كان يرى حاجة أولاً لإصدار مجلة عن الإرساليات التنصيرية الخاصة بالمسلمين، كتب يقول: «وبعد أن فكرت مرة أخرى، فإنني رأيت أيضًا أن الحاجة إلى مجلتين هو أمر ملح، هاتان المجلتان سوف تختلفان في التركيز:

• فالأولى تركز على المنصِّرين، وتحث على أنماط جديدة وفعالة لتنصير المسلمين.

• وتستهدف الثانية المسلمين أنفسهم، بحيث تكون الأساس الإعلامي لحركة «المسلمين من أجل يسوع». أي واحدة – (مجلة) – تعمل خارج الثقافة الإسلامية، والثانية تعمل داخلها.

وفي الحقيقة، كلما فكرت في الاحتمال الثاني تزداد حماستي.

• وماذا – بدلاً من مجلة – عن دار لرصد وتنسيق المقالات والأخبار الجديدة، والتي سوف يتقاسمها عديد من المجلات الملائمة للمسلمين؟ أي دار واحدة للمناطق الجغرافية العديدة في العالم؟

• لقد سمعت هذا الأسبوع من «هوراس وليامز» – الذي يعمل في «الحملة الصليبية لتنصير العالم» – أن شيئًا من هذا النوع قد بدأ يظهر في مصر (برغم أنه من نوع أكثر شعبية).

لماذا لا تكون هناك مجلة للباكستان، ولأمريكا الشمالية، ولأفريقيا، ولجنوب الصحراء العربية، وللهند، ولإندونيسيا، وللفلبين؟.. إلخ.. لماذا لا نرى في جميع أنحاء العالم مجلات وجرائد تنشأ، لا يبدو عليها أنها نصرانية في الشكل أو الأسلوب، ولكنها تدعو المسلمين إلى المسيح على أنه المهدي؟.. مجلات موجهة نحو حركة «المسلمين من أجل يسوع»، أو «المسلمين المهتمين»، أو «مسلمي المهدي» أي أولئك الذين هم من نسل إبراهيم، والذين يرون في يسوع «الابن الأعظم والأكبر لأسرتهم»؟!

إن اللغة الإنجليزية هي اللغة النصرانية الرئيسة على وجه الأرض اليوم.. وهذا يضع مسئولية فريدة على الإنجيليين لتأسيس.

• مجلة متخصصة لتنصير مسلمي العالم.

« كما أن الوقت مناسب لمجلة جديدة من نوع ما للمسلمين، وخاصة للطلاب المسلمين في الغرب.

إن كل ما رأيته موجودًا حاليًا - (من المجلات) - ملائم في الغالب للجمهور النصراني، ولا يتلاءم ثقافيًا مع الإسلام. والمطلوب مجلات تكون متكيفة مع الظروف المحلية، وتكون إسلامية في المضمون، ونصرانية عن عمد!»[١١].

« ويجب أن نذكر مجلة (المجلة) التي تصدرها مؤسسة إعلام الشرق الأوسط، التي تصدر باللغة العربية، والتي تنتهج أسلوبًا محافظًا، وتجد رواجًا شديدًا في عدد من الأقطار العربية، وهي تتطلب دعمًا ماليًا كبيرًا، وتمثل نوعًا من التقدم في هذا الوسط الإعلامي المهم

- كما أن الحاجة ملحة لكتيب يقارن بين المصطلحات والأسماء والمفاهيم الدينية الإسلامية والنصرانية»!

« كما يجب القيام بمجهودات أكثر للنفاذ إلى الأسواق العلمانية.. كما فعلت مجلة «المجلة»..»[١٢].

تلك هي ملامح آليات الاختراق التنصيري بالكلمة المقروءة التي تتوسل إلى التسلل بطعم عربي إسلامي يعينها على اقتلاع الإسلام وتنصير المسلمين.. كما سطرتها بروتوكولات قساوسة التنصير!

* * *

وكما رأينا في صنيع الإذاعات التنصيرية، فإن قساوسة التنصير كانوا يقحمون الإنجيل على المستمعين إقحامًا يستخدمون لتحقيقه الخبث والدهاء.

.. يعرضون على من يريد تعلم الإنجليزية «كتابًا» فيه الإنجليزية والعربية. فإن طلب أرسلوا له «الإنجيل».. ويعرضون على المعجبين بالشعر العربي «أشعار» أول شاعر في الدنيا.. فإن طلب أرسلوا إليه «المزامير» ومعها «الإنجيل»!

.. وإذا أذاعوا برنامجًا «سياحيًا» فإن «الإنجيل» هو «المادة» التي يقحمونها في البرنامج «السياحي».. وإذا جاءوا بـ «طعم» في صورة «منشد» يرتل

(١١) المصدر السابق: الحاجة إلى مجلة جديدة خاصة بالإرساليات التنصيرية الموجهة نحو المسلمين - لـ «س. جورج قراي» - ص٨٠٩، ٨١١ - ٨١٣، ٨١٧.

(١٢) المصدر السابق: الوضع الحالي للمطبوعات ووسائل الإعلام الأخرى الموجهة للمسلمين - لـ «ريموند جويس» - ص٥٢٦، ٥٣٤، ٥٣٥.

النصوص على الطريقة الإسلامية كانت نصوص «الإنجيل» هي مادة «الإنشاد»!

ذلك أن الإنجيل هو «الزرع» الذى يريدون إقحامه فى الأرض الإسلامية بدلاً من القرآن والإسلام الذى خططوا لاقتلاعه منها.

ولذلك كان طبيعياً أن يهتم قساوسة التنصير فى مخططهم هذا بترجمة الإنجيل «إلى مختلف اللغات الإسلامية، علاوة على ما له فيها - وخاصة العربية - من ترجمات عديدة وقديمة.

ولنقرأ نص كلماتهم فى هذا المقام:

• «فى إندونيسيا اليوم أكثر من ٥٠ مشروعًا لترجمات الإنجيل إلى لغات المسلمين الرئيسة فيها».

• «وفى جنوب الفلبين أكملت ترجمة العهد الجديد مؤخرًا إلى اللغة السوبانينية..».

• «وفى بنجلاديش، حيث يتحدث ٨٠ مليون نسمة اللغة البنغالية هناك مشروعات لترجمة الإنجيل..».

• «وفى الهند، حيث يؤلف المسلمون ١٠٪ من السكان، فإن مشروع الترجمة الرئيس للإنجيل هو إلى الأردية..».

• «وفى الفترة ما بين عام ١٩٦٧م وعام ١٩٧٧م - أى فى عشر سنوات - كانت هناك طبعات أولى فى نحو ٢٥٠ لغة من لغات العالم» ترجم إليها الإنجيل ترجمات جديدة!

• «وحتى بالنسبة إلى الأميين، الذين لا يقرءون.. ففى المناطق التى تكون فيها معرفة القراءة والكتابة محدودة، أعدت ترجمات على أشرطة كاسيت مصحوبة فى بعض الأحيان بموسيقا محلية..»(١٣)

هكذا أمطر المنصرون الأمة الإسلامية بترجمات الإنجيل إلى كل اللغات.. أما الطباعة الجيدة فى الإخراج، والمتعددة فى الأحجام، وكذلك الإسراف فى التوزيع - بل وفى الإقحام، فحدث عنه بلا حرج ولا حدود!

* * *

(١٣) المصدر السابق: الوضع الراهن لترجمات الإنجيل إلى لغات المسلمين - لـ «وليام. د. رايبرن» - ص٥٤٣، ٥٤٤، ٥٥٠.

ولقد كان طبيعياً أمام هذا «الحلم المجنون» فى اقتلاع الإسلام من جذوره، وطى صفحته من الوجود، بتنصير كل المسلمين.. أن يخطط قساوسة التنصير لتكوين وتدريب «الكوادر» القادرة على إقامة المؤسسات التى تنهض بتحقيق هذا «الحلم المجنون»!

وعلاوة على جيوش المنصِّرين وإرساليات التنصير، التى أمطروا بها عالم الإسلام فيما سبق من عقود.. فلقد تحدثوا عن المشاريع المستقبلية – والتى بدأ تنفيذها فور انفضاض مؤتمر «كولورادو» – لتنمية وتكوين «كوادر» التنصير

ففى «تقرير المؤتمر» يقولون: «من المؤكد أنه ستوجد حاجة فى الأيام المقبلة إلى «كادر» متزايد من النصارى المهتمين كى يعملوا على إتمام تنصير العالم الإسلامى»(١٤).

وفى بحث آخر – مخصص للحديث عن التدريب – حديث عن «مواصفات» هذا «الكادر» يقولون فيه:

«يجب تكوين مجموعات صغيرة من المتخصصين، من الرجال والنساء، من بقاع مختلفة من الشرق والغرب، حيث يقومون بدراسة عقيدتهم بعمق، إضافة إلى دراستهم الإسلام واللغة العربية، والذين لديهم خبرة فى تنصير المسلمين، وموهبة لتعليم الآخرين كيفية مشاركة المسلمين فى العقيدة النصرانية.

إن مثل هؤلاء الناس، يفضل أن يكونوا قد تخصصوا فى الدراسات الإسلامية حتى مستوى الدكتوراه.

• ويقوم بعضهم بإجراء بحوث عليا متقدمة فى نفس المجال، بينما يقضى آخرون وقتا أطول فى التدريس، ويمكن تدريب هؤلاء المتخصصين باستعمال الجامعات العلمانية والنصرانية ومراكز البحوث الإسلامية والنصرانية، ومن خلال دراسات ميدانية».

فكل الإمكانات – الدينية والمدنية.. النصرانية والعلمانية – فى الجامعات ومراكز البحوث – وفى التدريب الميدانى – عليها أن تكون وتدرب أصحاب هذه المواصفات، وبالأعداد التى تزرع أرض الإسلام بهم – فى «البقاع المختلفة.. من الشرق والغرب» كما يقولون!

(١٤) المصدر السابق: تقرير المؤتمر – لـ «آرثر. ف. كلاسر» – ص٦٦

كذلك تحدث نفس البحث عن «استراتيجية عالمية لبرامج تدريبية» تغطى المناطق المختلفة للعالم الإسلامى، ليقيموا فيها شبكة من المنصرين المدربين، تتمثل فى:

* «قاعدة واحدة على الأقل فى كل منطقة رئيسة تابعة للعالم الإسلامى..
* ودورات موسعة فى أجزاء مختلفة فى كل منطقة رئيسة..
* وموظفى قاعدة فى الدرجة الأولى فى منطقة رئيسة واحدة..
* وموظفين مساعدين: يتم تبادلهم، ويكونون متجولين بين القارات، ويتم تجديد خبراتهم فى العالم الإسلامى»!

ولقد حدد هذا المخطط للتدريب إعداد:

* ألف منصر مدرب تدريبًا متخصصًا للعمل فى العالم الإسلامى.
* ٩,٠٠٠ مدنى يدربون تدريبًا متخصصًا للعمل فى العالم الإسلامى..
* وتطوير برامج لتدريب كل النصارى فى الأراضى الإسلامية.(١٥)

فلم يقف الأمر عند حدود تدريب المنصرين - دينيين ومدنيين - من أبناء الغرب - العاملين فى إرساليات التنصير والعاملين فى الوظائف المدنية ببلاد الإسلام - وإنما خططوا لتطوير برامج لتدريب كل النصارى فى الأراضى الإسلامية، للعمل معًا - وبالاعتماد المتبادل - لتنصير كل المسلمين!

* * *

وأمام ضخامة وانتشار هذا «الجيش» التنصيرى، الذى تغطى إرسالياته ومجموعاته وجامعاته ومراكز أبحاثه وموارد تمويله العالم بأسره، مركزة على أمة الإسلام وعالمه فى أوطانها وفى مهاجرها، خطط «المؤتمرون - المتآمرون» فى «كولورادو» لإنشاء قيادة لجيش التنصير هذا، أرادوها أن تكون - حسب تعبيرهم - «مركز الأعصاب» لكل العاملين على تنصير المسلمين.. وما إن انفض المؤتمر حتى أقاموا هذا المركز - فى جنوب كاليفورنيا - تعبيرا عن الدور القائد لأمريكا فى هذه الحرب الدينية! مطلقين عليه اسم أشهر المنصرين وأخطرهم فى العصر الحديث «صموئيل زويمر» ولقد اختاروا واحدًا من أكثر المنصرين

(١٥) المصدر السابق: مستويات وأشكال ومواقع البرامج التدريبية - لـ «فيفيان سيتسى» - ص٦٦٤، ٦٦٥، ٦٧٣.

المؤتمرين حماسًا – «دون ماكرى» – مديرًا لهذا المركز – الذى أطلقوا عليه اسم: «معهد صموئيل زويمر»!

وعن إنشاء هذا «المعهد – القائد» ودوره فى تنفيذ بروتوكولات قساوسة مؤتمر «كولورادو»، يقول الرجل الذى تولى إدارته – «دون ماكرى» –:

«إنه فى أعقاب المؤتمر، وبناء على التوصيات التى قدمتها قوى العمل، تم تكوين لجنة توجيهية فى جنوب كاليفورنيا، أوكل إليها مهمة إنشاء مركز للأبحاث، يكون بمثابة «مركز الأعصاب» وتكون مهمته إعداد الأبحاث وتدريب العاملين فى صفوف المسلمين، وبصورة عامة: تعزيز قضية تنصير المسلمين. وقد انبثقت لجنة تنفيذية عن اللجنة التوجيهية، وكذلك مجلس إدارة للمركز – «معهد صموئيل زويمر» – وسوف يتولى هذا المعهد تنفيذ معظم الأفكار والمقترحات التى طرحت فى المؤتمر..»[١٦]!

أما «تقرير المؤتمر» فإنه فصل فى مهام هذا «المركز العصبى» للتنصير – «معهد صموئيل زويمر» –.. فقال: إنه سترتبط به مراكز إقليمية يكونها فى سائر الأجزاء الرئيسة فى العالم الإسلامى.. وإن الإدارة فى كل مركز إقليمى ستكون لعالم منصر ذى خبرة واسعة، على أن يساعده باحثون خبراء يمثلون مختلف التقاليد الكنسية مع خبراء فى علم الأجناس البشرية والشئون والدراسات الإسلامية.

كما سيقوم المعهد بتجنيد المستشارين الذين يزورون كنائس العالم ويجمعون المعلومات عن المسلمين! وسيكون له «أرشيف» يحوى مكتبة غنية بالمعلومات وسبل الاتصال.

وسيصدر نشرة لإيصال المعلومات إلى مراكز التنصير فى جميع أنحاء العالم الإسلامى.. وسيشجع جميع المدارس والجامعات ومراكز البحث فى أمريكا من أجل زيادة دراساتها التى تخدم مقاصد تنصير المسلمين..

بل وسيقيم «معهد صموئيل زويمر» هذا «اتحاداً» عالمياً لجميع المراكز والمعاهد، لتنسيق المعلومات التى لها علاقة بتنصير المسلمين! تلك بعض من مهام هذا الجهاز القائد للعمل التنصيرى.. كما أفصح عنها «تقرير المؤتمر» الذى قال:

---

(١٦) المصدر السابق: حان الوقت لمنطلقات جديدة – لـ «دون ماكرى» – ص١٨ – وانظر كذلك «مقدمة» أبحاث المؤتمر ص٢.

«إدراكًا منا للحاجة إلى تطوير اتصال حيوى مستمر متبادل بين أولئك العاملين فى مجال تنصير المسلمين، نقترح تكوين مركز رئيس للمواد والأبحاث فى الولايات المتحدة، يتبعه بعد زمن، وكلما دعت الحاجة:

• تكوين مراكز إقليمية فى جميع الأجزاء الرئيسة فى العالم الإسلامى.

• وأن يتم تنظيم وإدارة هذه المراكز من قبل عالم منصر ذى خبرة واسعة، يسانده فى مهمته باحثون من مختلف التقاليد الكنسية، وممن لهم خبرة فى علم الأجناس البشرية، والشئون والدراسات الإسلامية.

• وأن يقوم هذا المركز أيضًا بتجنيد العديد من المستشارين الذين يمكنهم زيارة الكنائس، وتقديم الخدمة إليها، وجمع كمية من المعلومات حول مواقع وطبيعة وحجم المجتمعات الإسلامية كافة، إضافة إلى خواصها النفسية والسكانية.

• كما يجب أن يتضمن أرشيف المركز مكتبة غنية تحتوى على جميع أنواع المعلومات وسبل الاتصال.

• وإدراكًا للحاجة إلى مجموعة من المعلومات عن الشعوب الإسلامية التى لم يتم الوصول إليها، نقترح أن يؤسس هذا المركز اتحادًا يقوم بتنسيق المعلومات التى لها صلة بالموضوع، وعلى مدير المركز أن يرخص بإقامة ارتباط مع سائر مراكز الأبحاث الرئيسة فى أرجاء العالم لتطوير علاقة عمل مع الإرساليات العاملة فى صفوف المسلمين ولجمع المعلومات التى تخص موضوع التنصير من مؤسسات الأبحاث والمعاهد الثقافية التى تقوم حاليًا بإعداد الأبحاث المتعلقة بالإرساليات.

• وإضافة إلى ذلك، يقوم هذا المركز بإصدار نشرة إخبارية شهرية لإيصال المعلومات إلى الكنائس والإرساليات العاملة فى أرجاء العالم الإسلامى.

• ويشجع كل المدارس فى أمريكا الشمالية، والتى تتخصص بالتدريب اللاهوتي والتنصيرى، من أجل تعزيز وتقوية ما تقدمه في مجال الدراسات الإسلامية ولتهيئة المناهج والكتب المناسبة لدورات أساسية عن الإرساليات التنصيرية إلى المسلمين.

• وأن يشجع المركز تطوير نشاطات لإعداد أبحاث موسعة ضمن المواقع الاستراتيجية في العالم الإسلامي بهدف تطوير الطرق والموارد الملائمة. إضافة إلى كتب توجيهية للتدريس:

١ – لغير المتعلمين: تمكن الشاعر والمغنى أو المرتل من إيصال الكتاب المقدس للتعليم والقراءة!

٢ – للنساء والأطفال: تدرس أدوارهم ومستوياتهم في المجتمعات الإسلامية، وتحترم تقاليدهم فيما يخص الحشمة، والفصل بين الجنسين حيثما وجد ذلك، وأن توفر نشاطات منزلية ذات أهداف بعيدة، وتقر بسلطة الرجال، بكونهم يترأسون بيوتهم، من خلال السعي لتنصير عوائل كاملة، وأن تقدم إليهن بطريقة أكثر بهجة البديل النصراني للتأثير الشيطاني الذي يهاجم النساء، وخاصة في المجتمعات الإسلامية(١٧)!

فهو ليس فقط «مركز الأعصاب» لجيش التنصير، وإنما هي شبكة من المراكز القائدة والمنظمة والمتابعة والمطورة لكل مخططات هذه الحرب الشرسة والخبيثة واللاأخلاقية التي أعلنها قساوسة التنصير على الإسلام والمسلمين.

* * *

وإذا كان الحديث المفصل عن مؤسسات التنصير يحتاج إلى دراسة متخصصة، قد تصل صفحاتها إلى مجلد ضخم – وهو ما لا يدخل في مقاصد هذه الدراسة – فإننا نكتفي هنا بإشارات إلى بعض الأرقام، المستقاة – في أغلبها – عن «النشرة الدولية للبحوث الإرسالية النصرانية عن التنصير وأنشطته في العالم» لسنة ١٩٩١م.. ففي هذه الإشارات – وأرقامها – مؤشرات على حجم الأجهزة التنصيرية التي يقودها «معهد زويمر» كجيش جرار يشن حربا ضروسا ولا أخلاقية ضد الإسلام وأمته وعالمه.

• إن عدد مؤسسات التنصير وإرسالياته ووكالات الخدمات النصرانية يبلغ ١٢٠,٨٨٠ مؤسسة.

• والمعاهد التي تؤهل المنصرين وتدربهم يبلغ عددها ٩٩,٢٠٠ معهد.

• والمنصرون المحترفون العاملون على رأس العمل التنصيري يبلغ تعدادهم ٤,٢٠٨,٢٥٠ منصرا.

(١٧) المصدر السابق: تقرير المؤتمر – لـ «آرثر ف. كلاسر» – ص٦٦، ٦٨.

* وفى مؤسسات التنصير هذه ٨٢,٠٠٠,٠٠٠ من أجهزة الكمبيوتر.
* وعدد المجلات التى تصدرها المؤسسات التنصيرية يبلغ ٢٤,٩٠٠ مجلة.
* وعدد الكتب التى أصدرتها هذه المؤسسات فى عام واحد ٨٨,٦١٠ كتب.
* ومحطات الإذاعة والتلفاز التى تبث التنصير يبلغ عددها ٢,٣٤٠ محطة.
* ونسخ الأناجيل التى وزعتها مجانًا فى عام واحد، هى ٥٣,٠٠٠,٠٠٠ نسخة.
* والمدارس ورياض الأطفال التى تشرف عليها كنائس التنصير تبلغ فى العدد ١٠,٦٧٧ مدرسة.
* والطلاب الذين يدرسون فى هذه المدارس الكنسية يبلغ عددهم ٩,٠٠٠,٠٠٠ طالب.
* والمستشفيات التى تملكها هذه الكنائس يبلغ عددها ١٠,٦٠٠ مستشفى.
* ودور إيواء العجزة والأرامل والأيتام التابعة لها هى ٦٨٠ دارًا.
* وعدد الصيدليات المملوكة لها هو ١٠,٠٥٠ صيدلية.
* وميزانية خدمة المشاريع النصرانية تبلغ ١٦٣ مليارًا من الدولارات.
* ودخل الكنائس العاملة فى التنصير هو ٩٣٢٠ مليارًا من الدولارات.
* ودخل الإرساليات الأجنبية هو ٨٩٠٠ مليار من الدولارات.
* ولقد بلغت التبرعات التى قدمت للكنيسة فى سنة واحدة - هى سنة ١٩٩٠م - ١٥٧ مليونًا من الدولارات..
* ولقد خص إفريقيا وحدها من هذه المؤسسات التنصيرية:

١٤,٠٤٠ منصر و١٦,٠٠٠ معهد للتنصير و٥٠٠ مدرسة لاهوتية و٦٠٠ مستشفى[١٨].. تلك إشارات لبعض الأرقام التى تجسد الحجم المهول لمؤسسات جيش التنصير، الذى يقوم بتنفيذ بروتوكولات قساوسة التنصير، تلك التى اتفقوا عليها فى مؤتمر «كولورادو» فى مايو سنة ١٩٧٨م.. والتى عرضنا ملامحها البشعة فى فصول هذا الكتاب.

* * *

(١٨) انظر - علاوة على صفحات ٧٩٠ - ٧٩٣، ٧٩٦ - ٧٩٩ من المصدر السابق - مجلة (اليمامة) - السعودية - ص ١٥، ١٦ - العدد ١١٦٥ - فى ٢٠ من محرم سنة ١٤١٢هـ - ٣١ من يوليو سنة ١٩٩١م - وصحيفة (الاتحاد) - أبوظبى - مقال الأستاذ يوسف الخاطر عن «الأبعاد الحقيقية للأدوار السرية لمجمع الكنائس العالمى» العدد ٦٢٧٦ - فى ٢ من جمادى الآخرة سنة ١٤١٢هـ - ٨ من ديسمبر سنة ١٩٩١م - وهو ينقل الأرقام عن «النشرة الدولية للبحوث الإرسالية التنصرانية عن التنصير وأنشطته فى العالم لسنة ١٩٩١م» - ومجلة «المسلمون» - السعودية - مقال الشيخ محمد الغزالى (الخلق المر) فى ١٢ من ربيع أول سنة ١٤١٢هـ - ٢٠ من سبتمبر سنة ١٩٩١م.

الفصل الحادي عشر

أما بعد ؟!

(فليكن هذا الكتاب ورقة عمل لندوة فكرية. يشارك فيها نخبة من علماء الأمة.. تعد لمؤتمر إسلامي:

* يدرس الواقع على جبهة التنصير.
* ويحصن الذات الإسلامية ضد الاختراق.
* وينقل المواجهة إلى قلب أعداء الإسلام..).

المؤلف

الفصل الحادي عشر

أمـا بعـد ؟!

والآن...

وأما بعد أن وضح هذا المخطط التنصيرى، الذى يقاتل أهله على الجبهة الدينية، ضمن كتائب جيش الحضارة الغربية التى وزعت الأدوار فيما بينها وغطت ثغرات المواجهة مع الإسلام وأمته وعالمه..

فماذا نحن صانعون؟

لقد رأينا عبر فصول هذا الكتاب - ومن خلال نصوصهم وشهاداتهم التى تعمدنا إيرادها، حتى وإن طالت.. حتى لا يظن ظان أننا نبالغ فى القول أو نتجاوز فى الاستنتاج. لقد رأينا الغرب - بكل دوائره الفكرية - يعلن أن العدو لحضارته، بعد انهيار الشيوعية - الخطر الأحمر - هو الإسلام - الخطر الأخضر - لأن الحضارة الإسلامية المستعصية على العلمانية هى التحدى الوحيد لهيمنة الحضارة الغربية على العالمين!

ورأينا - على جبهة النصرانية الغربية - كيف أزعجت الصحوة الإسلامية هذه النصرانية، فهبت إلى مؤتمر «كولورادو» تخطط لتنصير كل المسلمين، قبل أن تَسُدَّ النهضة الإسلامية أمام التنصير سبل الاحتواء وثغرات الاختراق!

وكيف انتقدوا واقع التنصير وتاريخه الذى أوصلهم إلى طريق مسدود فقرروا - فى بروتوكولاتهم - مخططًا جديدًا.. لاختراق الإسلام من خلال مصطلحاته، التى أرادوا صب المضامين النصرانية فى أوعيتها.. واختراق الثقافة الإسلامية، لفك ارتباطها بالإسلام، وتنصير المسلمين تحت ظلال أشكالها وأنماطها.. والاستعانة بالكنائس الوطنية والمحلية فى ديار الإسلام، لتنصير المسلمين

بالاعتماد المتبادل معها، واستخدام العمالة المدنية الأجنبية العاملة في البلاد الإسلامية، في تنصير المسلمين، رفعًا لطاقات إرساليات التنصير إلى ما هو أكبر من ضعف طاقاتها، واختراق عقائد المسلمين واختطافهم من دينهم بسبب الكوارث المادية التي هم صانعوها أو حارسوها، وفي كل الحالات مستغلوها لتنصير المسلمين، والتركيز - في التنصير - على المرأة، والأسرة، والطلاب، وزرع واستنبات النصرانية بين أبنائنا المغتربين، تمهيدًا لإعادة غرسهم ثانية في بلاد الإسلام! وأخيرًا رأينا أساليب وآليات ومؤسسات جيش التنصير للمسلمين، القائم على تحقيق بروتوكولات اقتلاع الإسلام من جذوره وطي صفحته من الوجود..

لقد رأينا عبر فصول هذا الكتاب معالم هذا المخطط كما رسمه قساوسة التنصير في مؤتمر «كولورادو» سنة ١٩٧٨م..

والآن..

فإننا أمام اختيار لواحد من مواقف ثلاثة:

الأول: موقف «التهوين» من هذا الخطر، اعتمادًا على الحقيقة الثابتة والخالدة، المتمثلة في أن الله - سبحانه وتعالى - قد تعهد بحفظ هذا الدين: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[1] ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[2] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ (٣٦) لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾[3].

لكن التهوين من هذا الخطر - اعتمادًا على هذه الحقيقة الثابتة والخالدة - ينسى أصحابه ويتناسون الفارق بين «حفظ الله لدينه» - وهو ما تعهد به سبحانه وبين «إقامة هذا الدين» ليتحول من «وحي محفوظ» إلى واقع متجسد في الحياة له السيادة والظهور على شرائع الضلال والانحراف.. وتلك هي مسئولية المسلمين الذين يقيمون الدين، وفق سنن الله - سبحانه وتعالى - التي لا تتخلف، إنْ في التقدم أو التراجع، وإنْ في تحقيق الانتصارات أو الانكسارات..

(١) الحجر: ٩.

(٢) التوبة ٣٣، الصف: ٩

(٣) الأنفال: ٣٦، ٣٧.

فالله هو الذى شرع الدين.. وتعهد بحفظ وحيه.. لكن إقامة هذا الدين هى مهمة المتدينين به.. ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾(٤). وفى الصراع بين الحق الإسلامى والضلال والكفر، على هذه الجبهة، جبهة إقامة دين الإسلام، لله سنن فى الاجتماع الدينى، ليس لها تحويل ولا تبديل: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾(٥).

وإن تاريخ الصراع بين حق الإسلام وبين باطل الكفر على مر تاريخ الإسلام، وفي كل بقاع عالم أمته – مداً وجزراً – لشاهد على ضرورة التمييز بين «حفظ الله الوحى».. وبين «موقفنا نحن المسلمين وعملنا لإقامة هذا الوحى ديناً له السيادة والهيمنة والشهود على العالمين»!

هذا عن موقف «التهوين» من خطر المخطط المرسوم لتنصير كل المسلمين.

والموقف الثانى: هو موقف «التهويل» من خطر هذا المخطط إلى الحد الذى يزعجنا عن التفكر والتدبر، ويسلمنا إلى اليأس والقنوط.

صحيح أننا أمة تمر، حضارياً، بمرحلة الاستضعاف.. وأن تقدمنا المادى.. وتشرذمنا.. ومظالمنا.. وتبعيتنا للآخرين هى ثغرات قاتلة فى كيان أمتنا الإسلامية – ولو ذهب الإنسان ليعدد أمراض تخلفنا الموروث وكوارث الاستلاب الحضارى الذى فرضه علينا الغرب – على امتداد قرنين من الزمان – لبدت الصورة سوداء، تبعث على اليأس والقنوط.. فإذا ما أضيف إليها هذا المخطط التنصيرى بدت مخاطر «التهويل» الذى قد يفضى إلى الاستسلام.

وأمام هذا الموقف «التهويلى» علينا أن نتذكر:

١ – أن هذا المخطط، الذى يشبه فى مطامحه – بل ومطامعه – «حلماً مجنوناً» – إنما تصاعد بأحلام المنصِّرين التاريخية القديمة، كى يعاجل «الصحوة الإسلامية» – التى هى أعظم ظواهر عالمنا الإسلامى المعاصر قبل أن تسد هذه الصحوة، بالنهضة الحضارية الإسلامية، على أعدائنا ثغرات الاختراق وسبل الاحتواء إلى الأبد.. بل وخوفاً من أن تنقل هذه الصحوة معركة التدافع الحضارى إلى قلب الغرب الذى تعانى حضارته – باعتراف أهله –

(٤) الشورى: ١٣.
(٥) النساء: ١٢٣

من «اللاأدرية وفتور الهمة واللامبالاة - وهي آفات من شأنها أن تؤدي إلى هلاك تلك المجتمعات ماديًا، فضلاً عن هلاكها المعنوي»[٦].

فهم يألمون كما نألم.. بل وأكثر مما نألم؛ لأننا بإزاء صحوة.. وهم يخططون لمعاجلتها.. نفيًا لنا، حتى لا يطوى الحق صفحة الباطل الذي ينصرون.

٢ - أن القاسم المشترك بين قسمات هذا المخطط الذي جسدته بروتوكولات قساوسة التنصير، في مؤتمر «كولورادو» هو «الهرب» من حقيقة الإسلام.. ورسم الطرق والمسارب للالتفاف حوله، لاختراقه باسمه وتحت مظلته!

وهذه الحقيقة تعلمنا عظمة ومنعة وحصانة الإسلام.. وتهافت وضعف وبؤس النصرانية التي يريدون إحلالها محل هذا الإسلام العظيم..

فقط علينا أن نعي قيمة النعمة التي أنعم الله علينا بها، عندما هدانا إلى الإسلام.. وأن نحسن استخدام هذا الكنز العظيم، ونستنير بنوره في مواجهة الضلال والظلام.. ﴿... وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (٤) بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾[٧].

فمع وعينا بما يمثله الإسلام لا مجال لليأس ولا للقنوط.. وصدق الله العظيم: ﴿إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾[٨] ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ﴾[٩]..

٣ - إننا نكتب هذه الدراسة التي تفضح هذا المخطط بعد خمسة عشر عامًا من اعتماده سنة ١٩٧٨م.. وإذا كنا نفتقر إلى «شهادة الواقع» على مدى النجاح أو الإخفاق الذي حققه هذا المخطط على أرض واقعنا الإسلامي.. فإن كل الشواهد، وإن استبعدت موقف «التهوين» فإنها تستبعد أيضًا موقف «التهويل»..

أما الموقف الثالث: - الذي نختاره ونحبذه وندعو إليه - فهو الذي لا يستهين بمخاطر هذا المخطط التنصيري، ولكن دونما «تهوين» يوقعنا في الغفلة عن الخطر - وهو حقيقي.. بل ورهيب! - وأيضًا دونما «تهويل» يوقعنا في اليأس

(٦) مجلة «شئون دولية» - كمبردج عدد يناير سنة ١٩٩١م.

(٧) الروم: ٤، ٥

(٨) يوسف: ٨٧.

(٩) الحجر ٥٦

والقنوط.. فكلا «التهوين» و«التهويل» سيقودان خطانا إلى الوقوع فريسة لهذا المخطط الذي رسمته هذه البروتوكولات.

• إن قساوسة التنصير، في حديثهم عن الانتصارات وعن الحصاد الذي حققوه في تنصير المسلمين.. يتحدثون كثيرًا حديث اليائس الذي يكابر.. كما يتحدثون أحيانًا حديث الفاتح الذي تغريه الانتصارات!

فعن «حصادهم» في شمال إفريقيا يقولون: إنهم لم يلتقطوا سوى النفايات.. فأكثر الذين وقعوا في حبائل التنصير «مراهقون غير متزوجين»! و«فتيات» باحثات عن أزواج! و«نساء مسنات» باحثات عن الخلاص من العين الشريرة والعفاريت! ومجموعة من المحبطين «الذين يشتكون من الإهمال وكثير منهم يأملون في أن يقوم المنصر بترتيب أمورهم، حتى يتمكنوا من الدراسة في الخارج، أو يساعدهم ماديًا»[١٠]! ذلك هو قدر «الحصاد» في شمال إفريقيا.. وتلك هي قيمته!

لكن علينا أن نتعلم أن السبب في هذا الفشل التنصيري هو صعوبة الاختراق، لعدم وجود الكنائس المحلية! ونظر الناس إلى النصرانية كمرادف للاستعمار الغربي، بسبب التجربة الاستعمارية الفرنسية المأساوية في تلك البلاد!

فتحصين الذات والموقع.. واكتشاف الأبعاد الحضارية والاستعمارية للتنصير معركة مقدسة لابد لنا من حمل تبعاتها، وخوضها.. دونما تهوين من الخطر أو تهويل له!

• أما عندما كان حديث قساوسة التنصير عن «الحصاد» في البلاد الإسلامية التي يختلط الإسلام - لدى طوائف من أهلها - بالمواريث الوثنية والتصورات غير الإسلامية.. والتي يفتك الفقر والعوز والحاجة بأبنائها.. فإن حديث القساوسة عن هذا «الحصاد» يمتلئ بالزهو والاستبشار.. وتسمع هذه النغمات أيضًا في الحديث عن البلاد التي فتحت فيها ثغرات كثيرة للاختراق!

في منطقة الخليج العربي، بفعل التبعية.. والعمالة الأجنبية.. وفي الهند وباكستان وبنجلاديش وإندونيسيا، حيث الفقر والاختراق، والمواريث غير الإسلامية التي جعلت جمهورًا من الناس ضحايا للتنصير؛ لأنهم - بسبب

(١٠) التنصير: خطة لغزو العالم الإسلامي - مقارنة بين وضع الإسلام والنصرانية في شمال إفريقيا - لـ «كريكوري، م. لفنكستون» - ص٣٧٨ - ٣٧٩

المواريث غير الإسلامية – كانوا «مسلمين بالاسم فقط»! فقادهم الفقر، وقادتهم التبعية دون عناء كبير إلى مصيدة التنصير! وفى الصومال، حيث المجاعات.. والحروب.. قد مكنت المنصرين من ربط «الحفاظ على الحياة» بالكفر بالإسلام[11].

وهذا درس – هو أيضًا – يضع يدنا على ثغرات الضعف والاختراق.. وعلى سبل المناعة والتحصين.. فنقف الموقف المتوازن.. دونما «تهوين» أو «تهويل»!

* * *

إننا أمام خطر حقيقى.. ومخطط خطير وخبيث.. يستهدف أغلى ما نملك – إسلامنا – ويستهدف وجودنا الذى يتمحور حول الإسلام!

وهو خطر قديم، قدم الإسلام.. لكنه قد بلغ فى مؤتمر «كولورادو» مستوى لم يبلغه عبر التاريخ الطويل لصراعه مع الغرب الحضارى، وصراع إسلامنا مع النصرانية.. وإذا كانت يقظتنا الإسلامية المعاصرة هى أمضى أسلحتنا فى مقاومة هذا الخطر، بل وفى نقل المعركة إلى قلب الغرب ذاته.. فإن الثغرات التى فتحها الغرب فى جدار المقاومة الإسلامية – من الفكر العلمانى المادى.. إلى تغريب النصرانية الشرقية، وإغراء كنائسها لتكون أوكارًا للتنصير إلى التبعية السياسية والاقتصادية والعسكرية.. إلى الكيان الصهيونى - الذى يتخذ له الآن موقعًا فى مقاومة الإسلام بعد انهيار الشيوعية.. إلخ.. إن هذه الثغرات التى فتحها الغرب فى جدار المقاومة الإسلامية، هى أخطر نقاط الضعف فى هذه المواجهة التى فرضها علينا المنصرون.. وإذا كانت يقظتنا الإسلامية هى مصدر قوتنا فإنها أيضًا هى السبيل لسد ثغرات الاختراق!

* * *

لكن هذه الحقيقة.. بقدر ما هى مفتاح انتصارنا على هذا المخطط التنصيرى.. بقدر ما ستظل مجرد كلمات وحبر على ورق إذا لم توضع على أرض الواقع «حياة» متجسدة فى «عمل» من خلال «المؤسسات» التى تفل حديد بروتوكولات قساوسة التنصير، المجسد هو أيضًا فى «عمل» تمارسه «مؤسسات».. وإذا كان هذا الكتاب – الذى يكشف هذا المخطط التنصيرى – قد

(١١) المصدر السابق: الخطاب الرئيسى – لـ «ى. ستانلى موتيهام» – ص٢٩، ٣١.

تأخر موعد صدوره خمسة عشر عامًا، فإننا - ونحن نعتذر إلى الله.. وإلى رسوله ﷺ وإلى أمة الإسلام بالجهل بخبره طوال هذه السنوات عن هذا التأخير - ندعو عقلاء الأمة وعلماءها ومفكريها إلى:

١ - ترجمة هذا الكتاب إلى اللغات الإسلامية التى يتعرض أبناؤها أكثر من غيرهم إلى خطر التنصير.

٢ - عقد «حلقة بحث» - تحت رعاية الأزهر الشريف - تشارك فيها:

أ - رابطة العالم الإسلامى..

ب - وجمعية الدعوة الإسلامية العالمية..

ج - ومنظمات الدعوة والإغاثة الإسلامية..

د - ومجامع الفقه والبحوث الإسلامية..

هـ - ومراكز الدراسات الإسلامية..

و - والمنظمة الإسلامية للثقافة والعلوم..

ز - والمنظمة العربية للثقافة والعلوم..

على أن يكون هذا الكتاب «ورقة عمل» لـ «حلقة البحث» هذه: لتقدير حجم الخطر المحدق بالإسلام والمسلمين من هذا المخطط التنصيرى..

٣ - على أن يتلو «حلقة البحث» هذه «مؤتمر إسلامى».. يدرس

أ - ماذا تحقق - حتى الآن - على أرض الواقع الإسلامى - من مخطط التنصير هذا، عبر هذه السنوات؟

ب - سبل تحصين الإسلام والفكر الإسلامى والأمة الإسلامية ضد الاختراق الذى يمثله هذا المخطط.

ج - الرد الإسلامى الذى ينقل المعركة إلى قلب النصرانية، من موقع الهجوم بالحق لا من موقف الدفاع!

* * *

إننا أمام مستوى غير مسبوق فى تاريخ العداء النصرانى للإسلام والمسلمين..

ومع أن القرآن الكريم قد حدثنا عن أن الذين هم أشد عداوة لنا هم (اليهود والذين أشركوا).. وعن أن الذين (قالوا إنا نصارى) هم الأقرب مودة لنا - ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾[١٢].

مع هذه الحقيقة القرآنية الخالدة.. فإننا أمام تحول كامل في الموقف النصراني من الإسلام والمسلمين.. من موقع «الذين هم أقرب مودة» إلى موقع «الذين هم أشد عداوة».. فهل تخلف الوعد.. وتبدلت السنة.. وتحول القانون الذي تحدثت عنه هذه الآيات في القرآن الكريم.. كلا.. وحاشا.. وألف مرة كلا وحاشا! وإنما نحن بإزاء ثمرات التحولات التي طرأت على نصرانية الغرب - وخاصة البروتستانتية منها:

- فهم لم يعودوا الذين (لا يستكبرون) منذ أن أصبحت نصرانيتهم مجرد تراث وقسمة من قسمات حضارة الاستكبار والاستعلاء والاستعمار الغربي.
- ثم هم - وهذا مهم جداً - قد اختلطت نصرانيتهم باليهودية - التي حدثتنا آيات القرآن هذه عن أن أهلها - مع المشركين - هم أشد الناس عداوة للذين آمنوا.. ويشهد على هذا التحول:

أ - النشأة «النصرانية - البروتستانتية» للمشروع الصهيوني[١٣]..

ب - المصالحة «النصرانية - اليهودية» في مواجهة الإسلام والمسلمين[١٤].

ج - وصول الخلط والاختلاط إلى مستوى «الدين - الملفق» - «اليهودي - النصراني» الذي أصبح أهله في الغرب الآن يعدون بعشرات الملايين[١٥].

---

(١٢) المائدة: ٨٢، ٨٣

(١٣) انظر: محمد السماك (الأصولية الإنجيلية - أو الصهيونية المسيحية) طبعة مركز دراسات العالم الإسلامي. سنة ١٩٩١م وانظر كذلك: غريس هالسل (النبوءة والسياسة) ترجمة محمد السماك طبعة جمعية الدعوة الإسلامية العالمية

(١٤) والشواهد عليها كثيرة.. من تبرئة اليهود من دم «صلب» المسيح - وهو مخالف لعقيدة «الخطيئة» النصرانية.. إلى الاشتراك في الخدمات الكنسية والصلوات بين الأحبار والقساوسة.. فضلاً عن التحالف في مواجهة الإسلام مع الوثنية المغولية قديماً.. ومع الصهيونية والعلمانية واللادينية حديثاً!

(١٥) (الأصولية الإنجيلية) و(النبوءة والسياسة).

فنحن أمام خطر قديم.. يبلغ فى درجاته مستويات غير مسبوقة.. وتلك هى كلمتنا الكاشفة لهذا الخطر.. والداعية إلى مواجهته، على النحو اللائق بالذين أنعم الله عليهم بنعمة الإسلام. وأشركهم معه - سبحانه وتعالى - ومع رسوله - صلى الله عليه وسلم - فى «العزة»: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[16]، وجعلهم «الأعلون» بالإيمان بالإسلام: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[17].. وبها نكون قد بلغنا.. والله على ذلك شهيد.. وبها ندعو إلى مواجهة الخطر - بما اقترحناه.. أو بما هو أجدى منه - وإنا لمنتظرون.. وعلى الله قصد السبيل.. فهو حافظ الدين.. ندعوه إلى تسديد خطانا على درب إقامة هذا الدين.. إنه سميع مجيب الدعاء.

القاهرة فى ٩ من ذى القعدة

سنة١٤١٢هـ

١٢ من مايو سنة ١٩٩٢م

(١٦) المنافقون:٨

(١٧) آل عمران: ١٣٩

المصادر

- **المصدر الرئيس للدراسة**

(التنصير: خطة لغزو العالم الإسلامى) - وهو أعمال مؤتمر تنصير العالم الإسلامى، الذى عقد بمدينة «جلين آيرى» بولاية «كولورادو» الأمريكية سنة ١٩٧٨م - تحرير «دون ماكرى».

ا - الطبعة الإنجليزية: أصدرتها دار MARC للنشر سنة ١٩٧٩ بعنوان The Gospel and Islam A 1918 Compendium

ب - الطبعة العربية - الأولى - ترجمها وطبعها «المعهد العالى للفكر الإسلامى» بواشنطن.

ج - الطبعة العربية - الثانية - مصورة عن الأولى - أصدرها «مركز دراسات العالم الإسلامى» سنة ١٩٩١م.

- **المصادر المساعدة**

- ابن رشد : (فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال) دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة، طبعة القاهرة سنة ١٩٨٣م.
- ابن ماجه: (سنن ابن ماجه) طبعة القاهرة سنة ١٩٧٢م.
- أبوداود: (سنن أبى داود) طبعة القاهرة سنة ١٩٥٢م
- أحمد بن حنبل (الإمام): (مسند الإمام أحمد) طبعة القاهرة سنة ١٣١٣هـ.
- أحمد حسين الصاوى (دكتور): (فجر الصحافة فى مصر) طبعة القاهرة سنة ١٩٧٥.
- إدوارد مورتيمر: (الإسلام والمسيحية) - مجلة «شئون دولية» - جامعة «كمبردج» - إنجلترا - المجلد ٦٧ - عدد ١ يناير سنة ١٩٩١م.
- أديب نجيب سلامة: (تاريخ الكنيسة الإنجيلية فى مصر) طبعة القاهرة سنة ١٩٨٢م.
- إرنست جيلنر: (الإسلام والماركسية) - مجلة «شئون دولية» - جامعة كمبردج - إنجلترا - المجلد ٦٧ - عدد ١ يناير سنة ١٩٩١م.

- أرنولد (سيرتوماس): (الدعوة إلى الإسلام) ترجمة: د. حسن إبراهيم حسن، د. عبدالمجيد عابدين، إسماعيل النحراوى، طبعة القاهرة سنة ١٩٧٠م.
- الأفغانى (جمال الدين): (الأعمال الكاملة) دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة، طبعة القاهرة سنة ١٩٦٨م.
- البخارى (الإمام): (صحيح البخارى) طبعة دار الشعب - القاهرة.
- الترمذى: (سنن الترمذى) طبعة القاهرة سنة ١٩٣٧م.
- الدارمى: (سنن الدارمى) طبعة القاهرة سنة ١٩٦٦م.
- شاتليه (أ. ل): (الغارة على العالم الإسلامى) ترجمة: محب الدين الخطيب، مساعد اليافى، طبعة القاهرة سنة ١٣٨٥هـ.
- عبدالوهاب الكيالى - (دكتور - محرر) : (موسوعة السياسة) طبعة بيروت - المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- عجاج نويهض (مترجم): (بروتوكولات حكماء صهيون) طبعة بيروت. (د. ت).
- عمر طوسون: (البعثات العلمية فى عهد محمد على وعباس وسعيد) طبعة القاهرة سنة ١٣٥٣هـ سنة ١٩٣٤م.
- الغزالى (أبوحامد): (فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة) طبعة القاهرة سنة ١٩٠٧م.
: (الاقتصاد فى الاعتقاد) طبعة مكتبة صبيح - ضمن مجموعة - القاهرة (د. ت)
- غريس هالسل: (النبوءة والسياسة) ترجمة: محمد السماك، طبعة جمعية الدعوة الإسلامية العالمية.
- فهمى هويدى: (من يعادى من؟) - مقال فى (الأهرام) بتاريخ ١٧ من يوليو سنة ١٩٩٠م.
- مالك بن أنس (الإمام): (الموطأ) طبعة دار الشعب - القاهرة.
- مجمع اللغة العربية - القاهرة: (المعجم الكبير) طبعة القاهرة سنة ١٤٠١هـ سنة ١٩٨١م.
- محمد السماك: (الأصولية الإنجيلية - أو الصهيونية المسيحية) طبعة مركز دراسات العالم الإسلامى - سنة ١٩٩١م.

- محمد عبده (الأستاذ الإمام): (الأعمال الكاملة) دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة، طبعة بيروت سنة ١٩٧٢م.
- محمد عمارة (دكتور): (الإسلام والمرأة فى رأى الإمام محمد عبده) طبعة القاهرة سنة ١٤٠٥هـ سنة ١٩٨٥م.
- محمد الغزالى (الشيخ): «الحق المر» – مقال – فى صحيفة «المسلمون» – السعودية – بتاريخ ١٢ من ربيع الأول سنة ١٤١٢هـ – ٢٠ من ديسمبر سنة ١٩٩١م.
- محمد فؤاد عبدالباقى: (المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم) طبعة دار الشعب – القاهرة.
- مسلم (الإمام): (صحيح مسلم) طبعة القاهرة سنة ١٩٥٥م.
- النسائى: (سنن النسائى) طبعة القاهرة سنة ١٩٦٤م.
- نيكسون (ريتشارد): (الفرصة السانحة) ترجمة: أحمد صدقى مراد. طبعة القاهرة سنة ١٩٩٢م.
- وليم سليمان (دكتور): (مجلس الكنائس العالمى من واقع قراراته) طبعة القاهرة – مراجع – بيت التكريس بحلوان سنة ١٩٦٢م.
: (مجلس الكنائس العالمى من واقع مواقفه) طبعة القاهرة – بيت التكريس بحلوان سنة ١٩٦٢م.
: (مجلس الكنائس العالمى من واقع تاريخه) طبعة القاهرة – بيت التكريس – بحلوان سنة ١٩٦٣م.
- وينسنك (أ.ى) وآخرون: (المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى الشريف) طبعة ليدن سنة ١٩٣٦ – سنة ١٩٦٩م.
- يوسف الخال: (الأبعاد الحقيقية للأدوار السرية لمجمع الكنائس العالمى) دراسة بصحيفة (الاتحاد) – أبوظبى – العدد ٦٢٧٦ – بتاريخ ٢ من جمادى الآخرة ١٤١٢هـ ٨ من ديسمبر سنة ١٩٩١م.


الملحق

The Gospel and Islam:

A 1978 Compendium

Don M. McCurry, Editor

MARC
919 West Huntington Drive, Monrovia, California 91016
A Ministry of World Vision International



خطة لغزو العالم الإسلامى

التـرجمة الكاملة لأعمال المؤتمر التبشيرى
الذي عقد فى مدينة جلين آيرى بولاية كولورادو فى الولايات
المتحدة الأمريكية سنة ١٩٧٨م ونشرته دار MARC للنشر بعنوان :

The Gospel and Islam
A 1978 Compendium



صورة غلاف الترجمة العربية للكتاب
(التنصير : خطة لغزو العالم الإسلامي)

الأستاذ الدكتور

محمد عمارة

■ سيرة ذاتية .. في نقاط :

* مفكر إسلامي.. ومؤلف.. ومحقق.. وعضو «مجمع البحوث الإسلامية» - بالأزهر الشريف.
* ولد بريف مصر - ببلدة «صروه»، مركز «قلين»، محافظة «كفر الشيخ» - في ٢٧ من رجب سنة ١٣٥٠هـ - ٨ من ديسمبر ١٩٣١م - في أسرة ميسورة الحال - ماديًا . تحترف الزراعة .. وملتزمة دينيًا.
* قبل مولده، كان والده قد نذر لله: إذا جاء المولود ذكرًا، أن يسميه محمدًا، وأن يهبه للعلم الديني - أي أن يطلب العلم في الأزهر الشريف.
* حفظ القرآن وجوّده بـ«كُتّاب» القرية.. مع تلقّي العلوم المدنية الأولية بمدرسة القرية - مرحلة التعليم الإلزامي -.
* في سنة ١٣٦٤هـ - ١٩٤٥م التحق بـ«معهد دسوق الديني الابتدائي» - التابع للجامع الأزهر الشريف -.. ومنه حصل على شهادة الابتدائية سنة ١٣٦٨هـ ١٩٤٩م.
* وفي المرحلة الابتدائية - النصف الثاني من أربعينيات القرن العشرين - بدأت تتفتح وتنمو اهتماماته الوطنية والعربية والإسلامية، والأدبية والثقافية.. فشارك في العمل الوطني - قضية استقلال مصر.. والقضية الفلسطينية - بالخطابة في المساجد.. والكتابة - نثرًا وشعرًا - وكان أول مقال نشرته له صحيفة (مصر الفتاة) - بعنوان «جهاد» - عن فلسطين - في إبريل سنة ١٩٤٨م - .. وتطوع للتدريب على حمل السلاح ضمن حركة مناصرة القضية الفلسطينية.. لكن لم يكن له شرف الذهاب إلى فلسطين.

- فى سنة ١٩٤٩م، التحق بـ«معهد طنطا الأحمدى الدينى الثانوى» -- التابع للجامع الأزهر الشريف - .. ومنه حصل على الثانوية الأزهرية سنة ١٣٧٣هـ سنة ١٩٥٤م.
- وواصل - فى مرحلة الدراسة الثانوية - اهتماماته السياسية والأدبية والثقافية.. ونشر شعرًا ونثرًا فى صحف ومجلات [مصر الفتاة] و[منبر الشرق] و[المصرى] و[الكاتب] .. وتطوع للتدريب على السلاح بعد إلغاء معاهدة ١٩٣٦م فى سنة ١٩٥١م.
- فى سنة ١٣٧٤هـ سنة ١٩٥٤م التحق بـ«كلية دار العلوم» - جامعة القاهرة.. وفيها تخرّج ، ونال درجة «الليسانس» فى اللغة العربية والعلوم الإسلامية - ولقد تأخر تخرجه - بسبب نشاطه السياسى - إلى سنة ١٩٦٥م بدلاً من سنة ١٩٥٨م.
- وتواصل - فى مرحلة الدراسة الجامعية - نشاطه الوطنى والأدبى والثقافى.. فشارك فى «المقاومة الشعبية»، بمنطقة قناة السويس، إبّان مقاومة الغزو الثلاثى لمصر سنة ١٣٧٥هـ ١٩٥٦م.
- ونشر المقالات فى صحيفة [المساء] - المصرية - ومجلة [الآداب] - البيروتية - ... وألّف ونشر أول كتبه عن [القومية العربية] سنة ١٩٥٨م.
- بعد التخرج فى الجامعة، أعطى كل وقته - تقريبًا - وجميع جهده لمشروعه الفكرى، فجمع وحقّق ودرس الأعمال الكاملة لأبرز أعلام اليقظة الإسلامية الحديثة: رفاعة رافع الطهطاوى.. وجمال الدين الأفغانى.. ومحمد عبده.. وعبدالرحمن الكواكبى.. وعلى مبارك.. وقاسم أمين.. وكتب الكتب والدراسات عن أعلام التجديد الإسلامى.. من مثل: الدكتور عبدالرزاق السنهورى باشا.. والشيخ محمد الغزالى.. وعمر مكرم.. ومصطفى كامل.. وخير الدين التونسى.. ورشيد رضا.. وعبدالحميد بن باديس.. ومحمد الخضر حسين.. وأبى الأعلى المودودى.. وحسن البنا.. وسيد قطب.. والشيخ محمود شلتوت.
- ومن أعلام الصحابة الذين كتب عنهم: عمر بن الخطاب.. وعلى بن أبى طالب.. وأبو ذر الغفارى... وأسماء بنت أبى بكر.. كما كتب عن تيارات الفكر الإسلامى - القديمة والحديثة - وعن أعلام التراث الإسلامى، من مثل: غيلان الدمشقى.. والحسن البصرى.. وعمرو بن عبيد.. والنفس الزكية، محمد

ابن الحسن.. وعلى بن محمد.. والماوردى.. وابن رشد (الحفيد).. والعز بن عبدالسلام.. إلخ.

* وتناولت كتبه - التى تجاوزت المائة والثمانين - السمات المميزة للحضارة الإسلامية.. والمشروع الحضارى الإسلامى.. والمواجهة مع الحضارات الغازية والمعادية.. وتيارات العلمنة والتغريب.. وصفحات العدل الاجتماعى الإسلامى.. والعقلانية الإسلامية.
* وجاور وناظر العديد من أصحاب المشاريع الفكرية الوافدة.
* وحقق عددًا من نصوص التراث الإسلامى - القديم منه والحديث - .
* وكجزء من عمله العلمى ومشروعه الفكرى، حصل - من كلية دار العلوم - فى العلوم الإسلامية - تخصص الفلسفة الإسلامية - على الماجستير سنة ١٣٩٠هـ سنة ١٩٧٠م. بأطروحة عن [المعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية].. وعلى الدكتوراه سنة ١٣٩٥هـ سنة ١٩٧٥م، بأطروحة عن [الإسلام وفلسفة الحكم].
* أسهم فى تحرير العديد من الدوريات الفكرية المتخصصة.. وشارك فى العديد من الندوات والمؤتمرات العلمية فى وطن العروبة وعالم الإسلام وخارجهما.. كما أسهم فى تحرير العديد من الموسوعات السياسية والحضارية والعامة، مثل: [موسوعة السياسية] و[موسوعة الحضارة العربية] و[موسوعة الشروق] و[موسوعة المفاهيم الإسلامية] و[الموسوعة الإسلامية العامة] و[موسوعة الأعلام].. إلخ.
* نال عضوية عدد من المؤسسات العلمية والفكرية والبحثية، منها: «المجلس الأعلى للشئون الإسلامية» - بمصر - ، و«المعهد العالمى للفكر الإسلامى» - بواشنطن - ، و«مركز الدراسات الحضارية» - بمصر - ، و«المجمع الملكى لبحوث الحضارة الإسلامية» - مؤسسة آل البيت - بالأردن - .. و«مجمع البحوث الإسلامية» بالأزهر الشريف.
* حصل على عدد من الجوائز والأوسمة.. والشهادات التقديرية.. والدروع.. منها: «جائزة جمعية أصدقاء الكتاب» - بلبنان - سنة ١٩٧٢م.. وجائزة الدولة التشجيعية - بمصر - سنة ١٩٧٦م.. ووسام العلوم والفنون.. من الطبقة الأولى - بمصر - سنة ١٩٧٦م.. وجائزة على وعثمان حافظ -

لمفكر العام – سنة ١٩٩٣م – .. وجائزة المجمع الملكى لبحوث الحضارة الإسلامية – سنة ١٩٩٧م – .. ووسام التيار القومى الإسلامى – القائد المؤسس – سنة ١٩٩٨م.

* جاوزت أعماله الفكرية – تأليفًا وتحقيقًا – مائة وثمانين كتابًا، وذلك غير ما نشر له فى الصحف والمجلات.

* ترجم العديد من كتبه إلى العديد من اللغات الشرقية والغربية.. من مثل: التركية، والمالاوية، والفارسية، والأوردية، والإنجليزية، والفرنسية، والروسية، والإسبانية، والألمانية، والألبانية.

* الاسم – رباعيًا – محمد عمارة مصطفى عمارة.

* العنوان : جمهورية مصر العربية – ١٣ ب شارع كورنيش النيل. أغاخان: القاهرة – هاتف: ٢٠٥٥٦٦١ – فاكس : ٢٠٥٥٦٦٢ .

* * *

أحدث إصدارات

الأستاذ الدكتور
محمد عمارة

ضمن سلسلة (فى التنوير الإسلامى)

١ - الصحوة الإسلامية فى عيون غربية.
٢ - الغرب والإسلام.
٣ - أبو حيان التوحيدى.
٤ - ابن رشد بين الغرب والإسلام.
٥ - الانتماء الثقافى.
٦ - التعددية.. الرؤية الإسلامية والتحديات الغربية.
٧ - صراع القيم بين الغرب والإسلام.
٨ - د. يوسف القرضاوى: المدرسة الفكرية والمشروع الفكرى.
٩ - عندما دخلت مصر فى دين الله.
١٠ - الحركات الإسلامية رؤية نقدية.
١١ - المنهاج العقلى.
١٢ - النموذج الثقافى.
١٣ - تجديد الدنيا بتجديد الدين.
١٤ - الثوابت والمتغيرات فى اليقظة الإسلامية الحديثة.
١٥ - نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم.
١٦ - التقدم والإصلاح بالتنوير الغربى أم بالتجديد الإسلامى ؟
١٧ - إسلامية الصراع حول القدس وفلسطين.
١٨ - الحضارات العالمية تدافع؟.. أم صراع؟
١٩ - الحملة الفرنسية فى الميزان .
٢٠ - الأقليات الدينية والقومية تنوع ووحدة؟، أم تفتيت واختراق؟
٢١ - مخاطر العولمة على الهوية الثقافية.
٢٢ - الغناء والموسيقى حلال أم حرام ؟
٢٣ - هل المسلمون أمة واحدة ؟
٢٤ - السنة والبدعة.
٢٥ - الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان.
٢٦ - تحليل الواقع بمنهاج العاهات المزمنة .
٢٧ - القدس بين اليهودية والإسلام.
٢٨ - مأزق المسيحية والعلمانية فى أوربا (شهادة ألمانية).
٢٩ - السنة النبوية والمعرفة الإنسانية.
٣٠ - الحوار بين الإسلاميين والعلمانيين.
٣١ - مستقبلنا بين العالمية الإسلامية والعولمة الغربية.
٣٢ - السنة التشريعية وغير التشريعية.
٣٣ - شبهات حول الإسلام.
٣٤ - المستقبل الاجتماعى للأمة الإسلامية.
٣٥ - شبهات حول القرآن الكريم.
٣٦ - أزمة العقل العربى.
٣٧ - فى التحرير الإسلامى للمرأة.
٣٨ - روح الحضارة الإسلامية.
٣٩ - الغرب والإسلام افتراءات لها تاريخ.
٤٠ - السماحة الإسلامية.
٤١ - الشيخ عبد الرحمن الكواكبى هل كان علمانيًا؟!
٤٢ - أزمة الفكر الإسلامى المعاصر.
٤٣ - إسلامية المعرفة ماذا تعنى؟
٤٤ - الإسلام وضرورة التغيير.
٤٥ - النص الإسلامى بين التاريخية.. والاجتهاد.. والجمود.
٤٦ - الإبداع الفكرى والخصوصية الحضارية.
٤٧ - الإسلام والمرأة فى رأى الإمام محمد عبده.



نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع

الغارة الجديدة على الإسلام

على جبهة الدين - وهو أعز ما نملك - وبعد جبهات السياسة.. والثقافة.. والعسكرية.. والاقتصاد - يشن الغرب حرب إبادة - خبيثة ومعلنة! - ضد الإسلام.. وذلك لتنصير المسلمين، وطى صفحة الإسلام من الوجود!..

ولكشف هذا المخطط الغربى الذى تعلن وثائقه:

- الهرب من مواجهة الإسلام، لاختراقه فى صبر ودهاء!..
- وصبِّ المضامين النصرانية فى المصطلحات القرآنية!..
- والتنصير من خلال الثقافة الإسلامية!..
- والاستعانة بالكنائس المحلية فى تنصير المسلمين!..
- واللجوء للعلمانية.. والمادية.. والإلحاد لتشكيك المسلمين فى دينهم!..
- وصنع الكوارث والحروب والمجاعات لتحويل ضحاياها عن الإسلام إلى النصرانية!..

لكشف هذا المخطط، الذى يعلن الحرب على الإسلام، يصدر هذا الكتاب.. بلاغا للأمة.. ودفاعا عن الإسلام.

الناشر



